

عشر مسرحيات



المسرح في فلسطين

الجزء الأول

الاختيار و ترجمة

870

حمادة إبراهيم

المشروع القومي للترجمة

عشر مسرحيات

(الجزء الأول)

تأليف : مجموعة من الكتاب

ترجمة : حمادة إبراهيم



٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

– العدد : ٨٧٠

-- عشر مسرحيات (الجزء الأول)

– مجموعة من الكُتّاب

– حمادة إبراهيم

– الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة عشر مسرحيات مختارة

حقوق النشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تقديم المترجم

مشروع جرىء ، بل هو الأول من نوعه فى النشر العربى ، أن يصدر كتاب يضم عشر مسرحيات معاصرة لعشرة مؤلفين مختلفين . وهم ليسوا مختلفين فى الأسماء فقط ، بل فى البيئات أيضا . فإذا كان معظمهم فرنسيين ، فإن منهم إيطاليين وعربيا وآخر من أوراجواى . علماً بأن الترجمة تمت من اللغة الأصلية سواء كانت الفرنسية أو الإيطالية .

- تغطى المسرحيات مساحة زمنية تربو على ستين عاماً ؛ فأقدمها يرجع إلى عام ١٩٢٥ ، وأحدثها صدرت عام ١٩٨٧ .

- لا تنتمى إلى نوع مسرحى محدد أو إلى نوع معين من الكتابة المسرحية ، بل هى تجمع بين الكوميديا والمأساة والميلودراما والدراما الشعبية ، كما ينتمى بعضها إلى مسرح العبث والمسرح الشعارى . ومنها ما يخضع للكتابة الكلاسيكية المقننة والمنضبطة ، ومنها ما يتحرر من كل القيود والأعراف .

- معظمها فاز- أو فاز أصحابها - بجوائز عالمية ومحلية . فرومان رولان وداريو فوفازا بجائزة نوبل ، الأول عام ١٩١٦ والثانى عام ١٩٩٢

وبول جوت فاز بجائزة الاكاديمية الفرنسية . وإدواردو دى فيليبو فاز
بالجائزة العالمية " أنطونيو جيلترينيللى " عام ١٩٧٢ ، وراعل دامونتى
نوتال فاز بالجائزة الكبرى للأدب المسرحى فى باريس عام ١٩٧٧ ،
وكاتب ياسين حصل على جائزة جان أمروش لمؤتمر ثقافة البحر المتوسط
عام ١٩٦٣ ، وياسمينه رضا حصلت مرتين على جائزة موليير لأفضل
عمل درامى ، عام ١٩٨٧ وعام ١٩٩٥ ، أما تييرى مونييه فقد حصل على
عضوية المجمع الفرنسى ١٩٦٤ .

عشاق المترو

باليه كوميدى دون رقص ولا موسيقى
جان تارديو

ترجمة
د. حمادة إبراهيم

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى ٢٢ أبريل عام ١٩٥٢ على مسرح " لانكرى " .

قام بتصميم الديكور : جاك نوويل Jacques Noel

قام بالإخراج : سيلفان دوم Sylvain Dhomme

اللوحه الأولى تجرى أحداثها على رصيف إحدى محطات المترو .

أما اللوحه الثانية فتجرى أحداثها داخل إحدى العربات فى أثناء سير المترو .

جان تارديو

يُعد "تارديو" متخصصا فى المسرحيات الطليعية ذوات الفصل الواحد . وقد أسهم مسرحه فى مولد المسرح الطليعى كما قدمت مسرحياته على مسارح العالم التجريبية .

والحقيقة أن مسرح "تارديو" فى معظمه من النوع التجريبى أو المختبرى ، وهو نفسه يعلق على هذه الحقيقة فى تقديمه لمسرحياته محددا هدفه من ولوج هذا الفن بأنه : "معالجة المسرح من خلال وسائله ، لا من خلال أغراضه وأهدافه " ، " والاهتمام بقضايا المنصة أكثر من الاهتمام بموضوعات المسرحيات " .

وقد حاول "تارديو" فى البداية أن يصنف هذه المحاولات وهذه التجارب تصنيفا فنيا مثل "كوميديا اللغة ، و" كوميديا الكوميديا " و " المونولوجات والحوارات " و " الحلم والكابوس " وذلك مع إعطاء كل مسرحية عنوانا ثانويا مثل " تعسف الألفاظ " و " تعسف الاستخدامات " و " كوميديا الدراما البرجوازية " و " المنصة الخالية " و " رقصة الموت " . ويقول تارديو فى هذا الصدد : " لقد حاولت بهذه البحوث أن أكتشف عن أسرار ذلك الجهاز الضخم ، المادى والمعنوى ، الذى يسمى المسرح فى أشكاله البالية وإمكانياته المستقبلية " .

وكان ميل تارديو إلى المسرحيات القصيرة نوات الفصل الواحد أمرا طبيعيا ؛ فهذه المسرحيات هي التي تتلاءم مع هذه الأهداف التجريبية .
كذلك يُعد " تارديو " مؤسسا للمسرح التجريبي الإذاعي . وقد كان له دور كبير فى تطوير الوسائل الفنية الخاصة بالدراما الصوتية أو التي يعتمد فيها التلقى على عنصر السماع دون عنصر المشاهدة .

وبصفة عامة تنقسم مسرحيات " تارديو " إلى نوعين : " مسرحيات السخرية " و "مسرحيات الجزع " . أما الأولى فهي تسخر من مواقف الحياة اليومية كما فى مسرحية "شركة أبوللو " أو كيف نتحدث عن الفن " ومسرحية " عشاق المترو " وأغلب هذا النوع من المسرحيات يهدف إلى السخرية من أشكال المسرح التقليدى ومكوناته مثل الحوار المصنوع والتجنيبات أو التحدث على انفراد ، والمسرح الواقعى حيث الشخوص تتحدث فيما بينها ولا تهتم بالمشاهدين الذين لا يعرفون بالضبط عما يتحدثون ، كما يحدث فى مسرحية " هم وحدهم يعرفون الموضوع " .

وأما النوع الثانى من مسرحيات " تارديو " والتي أطلق عليها " مسرحيات الجزع " فهي تكشف من خلال حادث عارض مضحك فى ظاهره عن وضع الإنسان المزرى فى عالم يعتقد أنه لم يخلق له . ويشيع فى هذه المسرحيات نوع من عقدة الذنب يشعر بها الإنسان دون سبب واضح . كما يحدث فى مسرحية " السيد أنا " ومسرحية " شباك التذاكر " أو يسود إحساس بوجود عدو لا يرحم ولا يتورع عن قتل من يصادفه مثل مسرحية " من هناك " .. ومسرحية " البيانولا " .

فى أثناء الفصل الأول

(وذلك بالاستعانة ببعض التفصيلات السريعة مثل الشوارب وشعر
الرأس والنظارات ، إلخ . وكذلك بفضل تكوينات أصوات وأوضاع)

أول رجل اجتماعى

ثانى رجل اجتماعى

المرأة المتعجلة

الرجل الذى يعرج

الرجل المدعى

حبيبة القلب

القارئ القس

القارئ العلمانى

الطالب

الطالبة

الفتاة العانس

الفتاة

الشيخ الأول
الشيخ الثانى
الأجنبية المتأنقة الأولى
الأجنبية المتأنقة الثانية
المترجم .

فى أثناء الفصل الثانى

قارئ الجريدة شاب ضئيل الجسم مدقق موسوس .
المرأة المهانة ولكنها مثيرة ضخمة تبعث على الازدراء .
النجمة الخيالية خياطة شابة ، جميلة وغريبة الأطوار .
السمكرى شاب فى مقتبل العمر . لئيم ، مازح .
فى زى العمل . يتدلى من على كتفه
حقيقية العدد والأدوات . يمكن أن يمسك
بيده بعض المواسير الرصاصية .
الحامى مجرد " مانىكان " مما يعرض فى واجهات
المحلات . شوارب مرسومة ، قبعة ، قفازات
رقيق الملامح يبدو عليه البله .
شخص فى حالة نوبان فى الجمهور . غير محدد الأوصاف .

الشخص

هي

هو

وثلاثة وعشرون راكبا من بينهم " مانيكان " . فيما يختص بالركاب
الثلاثة والعشرين فيكفى للقيام بأوارهم خمسة ممثلين (ثلاثة رجال
وامرأتان) يتقمصون بالتوالى الشخص الآتية :

اللوحة الأولى

على رصيف إحدى محطات المترو

(فى البداية ، أقصى المنصة يكون مشغولا بالكامل بإعلانين ضخمين مزركشين بألوان كثيرة متنافرة ، معلقين داخل بروازين خفيفين ، يحملهما من داخل المسرح شخصان لا يمكن رؤيتهما) .

(الإعلانان حافلان فى غير نظام بصور كتب وأشياء أخرى مثل الزجاجات والطيور وشعر الرأس والقاطرات ، إلخ . نطالع وسط هذه الصور العبارات التالية مكتوبة فى كل اتجاه باليد :

خذوا المشهد من الناحية الصحيحة .

اشربوا كلماتى .

إذا ضعفتم ، استردوا صحتكم .

عيشوا وصدقونى .

(يمكن أيضا تعليق بعض اللافتات الزرقاء التى تحمل

أسماء بعض محطات المترو أو الاتجاهات الخيالية) .

(بعد ذلك يبتعد الإعلانان ويختفيان من ناحيتي اليمين واليسار داخل الكواليس) .

(نلمح رصيف إحدى محطات المترو والناس يروحون ويجيئون) .

(هذا الفصل يمكن أيضا أن يتم أمام الستارة . يكفي لذلك وضع ثلاث أو أربع درجات سلم على اليسار تُفضى إلى الكواليس ، ترمز إلى السلم الذى ينزل عليه الركاب إلى المحطة) .

(الشخوص الذين يمثلون تحركات الجمهور يظهرون ويختفون ويصعدون ويهبطون الدرجات . هذه التحركات ينبغي أن توحى بحركة غير عادية وغير متوقعة ، ومع ذلك فهي مضبوطة بدقة)

(فى خلال هذا الفصل كله ، بعض المشاهد القصيرة سوف تؤدي فى البعد الأول (مقدمة المسرح) بينما الركاب مستمررون فى ذهابهم وإيابهم ، بعضهم بسرعة والبعض الآخر ببطء ، كل فريق يتجنب الاصطدام بالآخر فى أداء صامت يبدو غريبا ومثيرا من هؤلاء الناس المجهولين الذين هم صورة منا جميعا حينما نلتقى فى مكان عام لمدى لحظات قصيرة)

(نفر قليل من الممثلين يؤدون هذا الدور ، فيقومون على وجه السرعة بتغيير بعض ملابسهم بحيث يصبحون فى

كل مرة شخصا جددا ، يختلفون فى نبرات الصوت
أو لهجة الكلام أو الأوضاع التى يتخذونها (
(الممثلون فى مجموعهم ينبغى أن يعطوا انطبعا بنوع
من الباليهات مع واقعية فى الإيقاع)
الرجلان الاجتماعيان يتقدمان متجاورين حتى منتصف
المنصة . ثم يتوقفان فجأة)

الرجل الأول : (لطيفا للغاية)

إذن ، إلى اللقاء ، يا عزيزى .

الرجل الثانى : (أكثر لطفا)

تريد أن تقول : إلى اللقاء يا عزيزى ؟

الرجل الأول : ماذا إذن ؟ ألم أقل ذلك ؟

الرجل الثانى : بلى ، لقد قلت ذلك . لقد قلت فعلا : إلى اللقاء
يا عزيزى .

الرجل الأول : أليس ذلك ما كان ينبغى أن أقول ؟

الرجل الثانى : بالضبط ، هو ما كان ينبغى أن تقول . وأنا سأجيبك ...

الرجل الأول : وأنت ستجيبني ؟

الرجل الثانى : سأجيبك قائلا : إلى اللقاء يا عزيزى .

الرجل الأول : هيا ، هكذا كل شىء على ما يرام . إلى اللقاء .

الرجل الثانى : إلى اللقاء .

الرجل الأول : إلى اللقاء .

الرجل الثانى : إلى اللقاء .

الرجل الأول : إلى اللقاء .

(يشد كل منهما على يد الآخر عدة مرات فى حرارة
وينصرفان ، الأول ناحية اليمين والآخر ناحية اليسار .
ولكن قبل اختفائهما ، يتوقفان فجأة)

الرجل الأول : (متلفتا وصائحا)

ومع السلامة !

الرجل الثانى : (الأداء نفسه ، وهو يضع يده على فمه كالبوبق)

نعم ، مع السلامة !

الرجل الأول : مع السلامة !

(يصل " هو " و " هى " كل منهما يمسك يد صاحبه ،

ويتقدمان بطريقة أقرب إلى الرقص . يروحان ويجيئان

مرة أو مرتين على هذا النحو ، ثم يختفيان وهما

بيتسمان)

هو : (بإيقاع الفالس)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هى : (الأداء نفسه)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، مرام .

هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، زحام .

هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، كلام .

هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، سلام .

هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، وثام .

هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، حبيبي .

هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، سماء .
هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، نصيبى .
هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، نداء .
هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، خميلة .
هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، حصان .
هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، جميلة .
هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، ميزان .
هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .
هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

(ينصرفان)

المرأة المتعجلة : (يتبعها رجل يعرج)

بسرعة يا جوستاف ... حتى لا يفوتنا المترو ... بسرعة ؟

الرجل الذى يعرج : (لاهثا)

ياه ، ياه ... كعوبى تؤلنى ...

المرأة المتعجلة : (مغیظة)

يا الله ! ... لن نصل ... وسيتتهى كل شىء !

(يصل رجل وسيدة يجتازان المنصة فى عظمة ظاهرة)

الرجل المدعى : كان عندى واحد منها . ظل عندى زمنا طويلا .

حبيبة القلب : أه ! وكيف كان ؟

الرجل المدعى : كان جميلا . جميلا جدا . جميلا جدا جدا . بحق

جميلا جدا ... ولكنه كان ضعيفا جدا ... وضعيف الفهم

جدا . جدا . جدا . كان لابد من التعود عليه ... جدا !

حبيبة القلب : إلى هذه الدرجة ، يا عزيزى ، الأمر يبعث على المذلة .
أنا أيضا كان عندى واحد ، ظل عندى زمنا طويلا ، زمنا
طويلا . ولكن فى يوم من الأيام فى أثناء تنظيفه ، تنظيفه ...
(تأتى حركة غامضة قد تعنى موت كائن حى أو تحطيم
شئ ما)

الرجل المدعى : أه ؟ وأين كان ؟

حبيبة القلب : فوق مدفأة الصالون ، مدفأة الصالون .

(الرجل والمرأة يختفيان . شخصان يظهران على جانبى
المنصة ويتوجه كل منهما نحو الآخر ، دون أن يرى
أحدهما الآخر ، لأن كلاهما غارق فى قراءة كتاب . زيادة
على ذلك فهما متشابهان بدرجة عجيبة ، ولكن أحدهما
قس والآخر علمانى . يصطدم كل منهما بالآخر
ويتوقفان) .

القارئ القس : أوه ، عفوا !

القارئ العلمانى : أوه ، عفوا !

القارئ القس : (يتحدث عن كتابه كأنه يقدم نفسه بانحناء خفيفة)

القديس بطرس !

القارئ العلمانى : (الأداء نفسه)

المركيز دى ساد !

القارئ القس : معذرة !

القارئ العلمانى : العفو !

(يتبادلان التحية بكل جدية ، ويواصلان طريقهما
مستأنفين القراءة)

(يصل طالب وطالبة يحملان كتبهما تحت إبطيهما)

الطالبة : (بكل جدية)

... أرأيت ، الفتاة كاهنة فى معبد فينوس . يعنى ، على

حد تعبيرهم ، فقد قرر أبواها أن تضع الحجاب .

الطالب : (ساخرا)

ماذا ؟ أهى فى أحد الأديرة ؟

الطالبة : دك من هذا الهراء ! إنها تعيش وحدها فى برج فى

" سيستوس " ، مع خادمة ، على شاطئ البحر .

الطالب : وبعد ؟

الطالبة : فى يوم من الأيام ، لحت شابا فى المدينة فى حفل خيرى .

ولسوء الحظ كان يعيش فى " أبيدوس " على الشاطئ

الآخر من المضيق . ولكن هذا لم يُجِد شيئا كما تعرف ،

فقد أحبته وأحبها . وقرر أن يذهب ليقابلها فى المساء ،

خفية .

الطالب : (مستهزئا)

خفية ممن ؟ من فينوس ؟

الطالبة : كلا ، أيها العبيط . من خادمة المعبد ! وعلى ذلك فقد

راحت فى كل مساء تلوح له بمصباح من أعلى البرج .

حينئذ يأخذ هو فى السباحة للعبور إليها مجتازا الخليج

الذى يفصل بينهما . تصور يقطع خليجا كاملا لكى

يصل إليها ! ... فيقضيان الليل معا . وفى الصباح يعود
من حيث أتى .

الطالب : وبعد ذلك ؟

الطالبة : بعد ذلك ، سار كل شئ على ما يرام طوال الصيف .
أما فى الشتاء ، حينما تهب الريح وتعصف بالماء ...

الطالب : (ساخرا)

أيوه ، أيوه ، أعرف ، أكملنى !

الطالبة : حينئذ ، فى ليلة عاصفة ، صمم بالرغم من ذلك على أن
يسبح إليها ، وكان من الطبيعى أن تسوء حالته فى الماء ...

الطالب : وبعد ذلك ؟

الطالبة : بعد ذلك ، لم يعثروا إلا على جثته التى حملتها الأمواج
إلى الشاطئ ... حينئذ ، شاهدت هى ذلك من أعلى البرج ،
فلما رأت أنه مات ألقَتْ بنفسها من النافذة فسقطت إلى
جواره فاقدة الحياة .

الطالب : ما اسمها ؟

الطالبة : اسمها " لياندروهيرو " قصيدة جميلة . ولكن من
الصعب جدا ترجمتها ! ...

(يختفيان)

(فى الحال ، ومن الجهة المقابلة يصل عاشقا المترو
متشابكين ، يسيران الهوينا ، فى صمت ونشوة .
يتوقفان فى أقصى المنصة ويشرعان فى حديث غرامى
بصوت خفيض دون أن يبرحا المكان) .

(تمر فتاة عانس وبصحبتها فتاة فى مقتبل العمر)
الفتاة العانس : (صارمة ، تحاول أن تمنع الفتاة من النظر إلى
العاشقين)
سيسيل ، أنظرى إلى إعلان شربة ماجى .
الفتاة : (متبرمة وهى تطالع العاشقين بإصرار)
ولكننى لا أشربها .
العانس : لا يهم ... انظرى مع ذلك . يجب علينا دائما أن ننظر إلى
الإعلانات . الإعلانات ، دائما يجب أن ننظر إليها .
الفتاة : لقد قلت لى عكس ذلك قبل قليل .
العانس : لأنه كان إعلاناً لا يجب أن ننظر إليه . هيا ، تعالى .
(تحتفیان بسرعة . الفتاة تخرج على مضض وهى تلقى
نظرة أخيرة على العاشقين)
(العاشقان يتحولان عن مكانهما فى أقصى المنصة
وَيَمْتُلِئَانِ فى المقدمة . يتحدثان بنوع من النشوة لا تبعث
على السخرية ، على أكثر تقدير ، تدعو إلى الابتسام .
وعلى أية حال ، ينبغى أن يكون شعورنا نحوهما هو
التعاطف معهما ، بل وإذا أمكن ، التأثر) .

هــى : أين أنا ؟

هــو : بالقرب منى .

هــى : وأين أنت ؟

هــو : بالقرب منك .

هــى : أنت تكون ؟

هو : أنا أكون .

هي : لم أكن شيئاً ، أنت جئت . أنا أكون .

هو : أنا أكون معك .

هي : أنا لا أكون شيئاً دونك .

هو : نحن نكون .

هي : (متضرعة)

قل : نحن سنكون !

هو : نحن سنكون .

هي : أود أن أكون أنت .

هو : أنت تكونين أنا .

هي : من أجلك ، من حولك .

هو : منك ، وإليك ، ومن خلاك .

هي : نكون كل منا للآخر .

هو : كائن واحد .

(ينصرفان في بطاء)

(يصل رجلان مسنان (شيخان) مهندمان يحملان

الأوسمة والنياشين لعلهما من رجال السياسة)

الشيخ الأول : (بصوت أخنف متكسر)

وهكذا ، ذلك ما تؤيده أنت ؟

الشيخ الثاني : (متردداً في دقة ورقة)

نعم ، إذا شئت ، نعم ... على حد تعبيرك ... هو ذاك ...

الشيخ الأول : أنت إذن مؤيد ؟

الشيخ الثانى : (وقد شعر بالإهانة إلى حد ما)

أوه ، كلا ... كلا ... أرجوك ! لا تُقَوِّلْنى ما لم أقل .

الشيخ الأول : إذن ، فأنت تعتقد أن المرء يمكن أن " يؤيد " دون أن يكون " مؤيدا " .

الشيخ الثانى : إيه ، عفوا ... عفوا ... أن تؤيد " هذا شئ " ، أما أن تكون مؤيدا " فهذا شئ آخر .

الشيخ الأول : إذن لا تؤيد .

الشيخ الثانى : للأسف يا صديقى العزيز ، هذه مهنتى ، ماذا أصبح إذن إذا لم أؤيد ؟

الشيخ الأول : إذن ، تصرف !

الشيخ الثانى : أتصرف ! ولكن قبل أن أتصرف لابد أن أفكر . هناك نعم وهناك لا ، مؤيدون ومعارضون . وهنا أتدخل أنا (يأتى حركة أنيقة) وأؤيد ...

الشيخ الأول : (بشئ من الازدراء)

أرأيت ! فى النهاية تدخل فى زمرة أحد المؤيدين .

(فى الوقت الذى يعترض فيه الشيخ الثانى فى حدة

وعنف على هذه التهمة الشنيعة ، يختفى الشيخان)

(بعد ذلك على الفور ، يظهر عاشقا المترو . ولكن بعد

مشهد الغرام يحل مشهد عادى) .

(يجتازان المنصة سريعا إلى حد ما ، " هى " فى وضع

التوتر والتوبيخ ، و " هو " فى وضع البرىء المظلوم الذى

يدافع عن نفسه معتمدا فقط على سلامة طويته الواضحة)

- مـى : فكر فيما كنته !
- مـو : ولكننى أكون دائما .
- مـى : كلا ، أنت الآن لم تعد أنت .
- مـو : لا ، أنا أكون أنا .
- مـى : كلا .
- مـو : بل أنت لم تعودى أنت .
- مـى : أه ، هذا كثير . أنت الذى لم تعد تكون أنت .
- ومـو : ولكن كيف ؟ ولماذا ؟ لماذا ؟
- مـى : أنت تعرف جيدا أن !
- مـو : أن ماذا ؟
- مـى : أنت نفسك قلت ذلك .
- مـو : قلت ماذا ؟
- مـى : أنت تعرف جيدا . ما كان عليك إلا ألا !
- مـو : ولكننى لم أقصد أن ! لقد قلت إن ! ولكنك فهمت ألا !
- مـى : لقد فهمت أننى فهمت .
- مـو : (وقد بدأ يحتد)
- وأنا أكون ما أكون فى النهاية !
- مـى : (فى لهجة التحدى)
- أه ، أنت تكون ما تكون ! حسنا ، وأنا أيضا .
- مـو : كلا ، ثم كلا . أنت لا يمكن أن تكونى ما أكون أنا .
- مـى : (بنبرة لوم عاطفى ، تكاد تجهش بالبكاء)

لقد كنتُ ذلك فعلا قبل قليل . أنا كنتُ " أنت تكون " الخاصة بك ، وأنت كنت " أنا أكون " الخاصة بى . أه ، كل شيء مختلف تماما !

هو : (متضرعا)

اسمعينى !

هى : (متباكية)

كلا ! تعال ! هيا بنا ! فهاهنا كنا !

هو : (رقيقا)

ولكننا سنكون ، أنت تعرفين ذلك جيدا . سنكون من جديد .
ينصرفان .)

أجنبيتان أنيقتان تتقدمان . تحاولان أن تشرعا فى مناقشة ، ولكن لأنهما تتكلمان لغتين مختلفتين ، فلا تستطيع إحداهما أن تفهم الأخرى)

الأجنبية الانيقة الاولى : أما مady باها " باريس " ؟

الأجنبية الانيقة الثانية : (لم تفهم إلا كلمة باريس)

أوه باريس ، جوش ، جوش ، باريس !

الأجنبية الانيقة الاولى : أويوه بيهو ؟

الأجنبية الانيقة الثانية : (تشير بأنّها لم تفهم)

باكوب ، باكوبى ، بوتوك !

(يصل الترجمان باحثا عن زبائن . لباسه المتباين يوحى بمهنته . فهو مثلا يرتدى طربوشا مغربيا ، وضفيرة شعر تتدلى على ظهره ، وتنورا جندى من نيوقوسيا ... يلحظ الأجنبيتين ويتقدم عارضا خدماته)

المتـرجم : مترجم ؟ مترجم ؟
الأجنبية الأولى : (بإشارة تسأل الثانية عن هذا القادم الجديد)
 أويو إيبيلي ما هي ؟
الأجنبية الثانية : (بإشارة تريد أن تقول إنها لم تفهم الأجنبية الأولى
 ولا المترجم)
 باكوبى ، باتاك ، بوتوك ؟
المتـرجم : (وقد عرف اللغتين اللتين تتحدثان بهما . يخاطب الأولى)
 مترجما هي ؟...
الأجنبية الأولى : (تشير إلى أنها فهمت وموافقة)
 أو ماهو هي ... ماهوى ...
المتـرجم : (مخاطبا الثانية)
 مترجماتوك ؟
الأجنبية الثانية : (مشيرة بأنها فهمت وموافقة بجلبة عالية)
 جوش ! جوش ! مزجوك !
 بيزودى بيليك ؟ بيشيه - بى ، كوتو - كوتس ؟
المتـرجم : (يترجم للأجنبية الأولى)
 مينيه - هي ، مينيه - ها ، إيبيه - هي !
الأجنبية الأولى : (تشير بأنها فهمت)
 فيجييه - هي ، فى - هي - هي ! (وهى تشير بالتوالى
 وبدلال ظاهر إلى ما ترتدى من ثياب) إيفيهيه ، ريميه -
 ها ، هوهاى - هووى دوىو ، ليميه وى ! ... ماذا ...
 أووا ، آدا . دووا ، إيرى - وى .

المتـرجم : (مخاطبا الأجنبية الثانية وهو يشير

إلى ملابس الأجنبية الأولى من رأسها إلى قدميها)

جوش ! بيز ! جيجيه فيفر ، بيم ريدين ، بام سيكتودا ،
بأم داد ووار ! ... كوكوروكس !

الأجنبية الثانية : (ضاحكة)

أشر ! أشر ! كيدبت ! كيدبت ! آرابوراس ماجركس !

الأجنبية الأولى : (ضاحكة)

ميمى - هى ، أماماوى ! ماهووا ، ماهى !

المتـرجم : (ضاحكا بطريقة مبتذلة)

بروبوكس ! هو ! هو ! هو ! بوبوكس ، بوبوكس !

(الثلاثة يتتعدون ضاحكين . العاشقان يعودان . هذه

المرّة منهمكان فى المناقشة)

هو : (بعنف)

وأنت ، وأنت ، وأنت ، وأنت !

هى : (بالعنف نفسه)

ليس أنا ، ولكن أنت . ليس أنا ، أنت !

هو : عفوا ، أنت أنا !

هى : (غاضبة)

كيف ، أنا أنت ؟

هو : نعم ، أنا أنت !

هى : أنا أنت أبدا ، أبدا .

هو : بلى ، أنت أنا !

هـى : أنت الذى !

هو : أنا الذى ماذا ؟

هـى : أنت ، أنت ، أنت ، دائما أنت ! (ساخرة) أه حقا !

(عنيفة وعصبية) وكيف أنا الذى ؟ ولن ؟ ولماذا ؟

هو : (مرهقا)

من أجلك ، ليس من أجلى ! أنتِ التى أنتِ ، فى حين أنا
أنا !

هـى : أنا أنا نعم . يا ربى ، أنا أنا ، أنا أنا دائما .

هو : (وهو يواصل مجهودا صادقا فى الشرح)

وأخيرا : أنا أنا ، لأن أنتِ أنتِ .

هـى : (وقد تملكها الشيطان)

لا يوجد أنت أنت ! انتهى الأنا أنت ، انتهى الأنت ،
انتهى الأنا .

(تجهش بالبكاء)

هو : (متأثرا)

ولكنك تعرفين جيدا أن أنا !

هـى : كلا ، أنا لا ، أنا لا ، أبدا .

هو : (قلقا)

ألن تحاولى أنا ؟

هـى : بلى سأحاول وأنت !

هو : (متضرعا)

فرنشسكا ؟

مى : (مبتعدة خطوة وهى تبكى)
كلا !

و : (مؤثرا بعض الشيء)
أليسا !

مى : (أكثر قليلا)
كلا !

و : (أقوى شيئا فشيئا)
جولييت ! شارلوت !

مى : (مبتعدة أكثر)
كلا ، كلا .

و : لورا ! بياتريكس ! كليوباترا !
مى : كلا ، كلا ، كلا .

(تخرج من المسرح وهى تجرى)
و : (صائحا وجاريا وراءها)

إيما ! إيلووا ! هيلويزا ! ديوتينا ! جورجيا ! هيلدا !
(يختفى وهو يجرى . تظهر " هى " فى المواجهة وهى
تهبط الدرجات ، بين ذهاب وإياب الجمهور . ثم تتوجه
إلى الناحية المقابلة . فى الوقت الذى ستختفى فيه ،
يظهر " هو " وهو يجرى وراءها ويشير إليها بالتوقف ..
صائحا من بعيد)

متى إذن ؟

مى : (الأداء نفسه ، فى ألم)

أبدا .

و : أين إذن ؟

ي : أبدا .

(تتكرر منهما هذه الحركات بين المنصّة والكواليس مرتين أو ثلاث مرات . " هو " محاولاً أن يلحق بها ومعبراً بسرعته المتزايدة عن شعوره المأساوى بفقد حبه ورغبته الحارة فى إعادته) .

(فى أثناء هذا الأداء ، يسمع صوت رتيب ، ولكن بإيقاع واضح ، يواصل تعداد أسماء إناث)

الصوت : (داخل الكواليس أو من خلال مكبر للصوت)

إليزا ، إيميليا ، أنا ،

جوليا ، أورورا ، كاسندرا ،

هيلينا ، أرماند ، أوفيليا ،

ميلوزينا ، أرميدا ، أنيترا ،

لويزا ، جانّا ، ماريا ، كلودينا ،

سوزانا ، ريموندا ، كوليتا ، إنيكّا !

(إيقاع جرى العاشقين يجب أن يزداد سرعة وكذلك نداء

أسماء الإناث) .

(على حين فجأة ، المشهد يخلو . الدرجات الموجودة جهة

اليسار تختفى ، قد يعود الإعلانان إلى مقدمة المسرح فى

البعد الأول لإخفاء تغيير الديكور) .

فإذا بنا أمام ...

اللوحة الثانية

(تصل مقصورة إحدى عربات المترو بطول الرصيف .
المقصورة مفتوحة كائما ذلك بفعل تحطيم أحد جانبي العربة) .
(صف من تماثيل المانيكان ، نظرتهم ثابتة ، ملئوا
المقصورة حتى حافتها تاركين فقط المكان لصف واحد
من الركاب المضغوطين . مع الاستثناء التالي : فى
البعد الأول ، مانيكان واقف (هو الذى يمثل " الحامى ")
يشغل المكان السادس من الصف الأول من ناحية اليسار) .
(وراء الصفين الأول والثانى ، هياكل من الكرتون
المقصوص تمثل أعماق جمهور الركاب المضغوطين
بعضهم فى البعض الآخر) .
(الركاب يصلون يركض بعضهم وراء البعض الآخر ،
ويصعدون بسرعة داخل المقصورة ويظلون واقفين
متلاصقين مواجهين جمهور المشاهدين ، ولكن بحيث
يتكون مكانا خاليا فى كل طرف من طرفى المنصة) .
(يمكنهم أيضا أن يقفوا أولا وظهرهم للجمهور . فى
هذه الحالة تُثَبَّتْ نسخٌ من قناع واحد فوق أقفيتهم

جميعا كما يمكن أن يكسو ظهورهم جميعا " زى موحد " فيما بعد ، أى فى الوقت الذى يقوم فيه " البطل " بتوجيه الحديث إلى " هى " بشكل خاص ، سيقوم كل منهم بالنوران على عقبيه ليواجه الجمهور : حينئذ يقوم الراكب بالإشارة إلى وجهه هو وثيابه الخاصة . فقط ، وبطبيعة الحال ، المانيكان الذى يمثل " الحامى " سيكون منذ البداية مواجهها الجمهور وحتى النهاية) .

هؤلاء الركاب هم ، تبعا لأماكنهم من اليسار إلى اليمين :

- هاوى الجرائد

- المرأة المهانة ولكن مثيرة

- العامل المتفهم

- النجمة الخيالية

- " الحامى " (وهو مانيكان)

- الشخص فى حالة ذوبان فى الجمهور .

(هؤلاء الشخص السطة ، حتى حينما يظهرون من الأمام ، سيكونون فى البداية غير محددى الهوية ، غير محددى الشخصيات ، بلا تعبيرات ، جامدين ، غائبين ، كما لو كانوا جميعا مجرد مانيكانات . يظنون كذلك طالما لم يدخلوا فى مناقشة خاصة مع الشخصية الرئيسة) .

(حينئذ يتخلون عن جمهورهم ويصبحون كائنات بشرية متميزة تفيض حياة) .

(فى البداية ، تحول الشخص الستة بطريقة آلية
رؤسها الواحد نحو الآخر كأنهم أشخاص آليين
ويتناوبون ويجب بعضهم بعضا بمنتهى السرعة بطريقة
موحدة ، أصواتهم بمجرد أن يتحولوا إلى كائنات بشرية
متميزة) .

هاوى الجرائد : (متلفتا نحو المرأة المهانة)

هل تعرفيننى ؟

المرأة المهانة : (متلفتة نحو هاوى الجرائد)

لا أعرفك . (بعد ذلك مباشرة ، وهى تلتفت نحو النجمة
الخيالية)

هل تعرفيننى ؟

النجمة الخيالية (الأداء نفسه)

لا أعرفك (الأداء نفسه مع السمكرى) هل تعرفنى ؟

السمكرى : لا أعرفك (الأداء نفسه مع جاره) هل تعرفنى ؟

الحامى : (بما أنه مانيكان لا يجب)

السمكرى : (مشيرا إلى جاره)

لا يعرفنى ! (منحنيا ليخاطب الراكب السادس)

هل تعرفه ؟

الشخص فى حالة ذوبان فى الجمهور

لا أعرفه ! لا أعرفك ! لا أعرف ! لا أعرف أحدا !

(بمجرد إنهاء هذا الأداء ، الشخص الستة يعودون إلى

جمود المانيكانات)

"هى" تصل وهى تجرى ، وتصعد إلى المكان الذى بقى خاليا فى الطرف الايمن من المقصورة . الشخصوس الستة يتظاهرون بأنهم ينضغطون إلى أقصى حد ممكن لكي يسمحوا لها بالوقوف ، مع المحافظة على المكان الخالى الموجود فى الطرف الايسر من المنصة) .

(بعد ذلك مباشرة " هو " يصل وهو يجرى . يحاول أن يصعد بجوارها ولكن مستحيل ، فيردُ خائبا) .

هو : لا تذهبى دونى . لا تذهبى دونى ! ... (يحاول أن " يخرق " " جبهة " الركاب فى عدة أماكن . فيفشل . فى النهاية ، يقرر أن يشغل المكان المتروك خاليا جهة اليسار . وبذلك يظل يفصله عنها الشخصوس الستة الواقفون متجاورين يمثلون الجمهور . الفتاة ، جهة اليمين ، تبكى فى منديلها . " هو " ، فى الناحية الأخرى ، يجفف جبينه . بابان بارتفاع يتراوح بين أربعين إلى خمسين سنتيمترا ، يدفع أحدهما من " كالوس " اليمين ، والآخر من " كالوس " اليسار ، ويمثلان الأبواب الآلية ، يلتقيان فى منتصف المنصة . تسمع صفارات ناظر المحطة . الركاب الثمانية يمثلون تحرك المترو وذلك بأن يميلوا جميعا فى اتجاه واحد ميله شديدة . يعومون إلى الثبوت . ولكن من أن لآخر سيظلون خلال المشاهد التالية يذكروننا بأن العربى تسير ، وذلك عن طريق بعض الحركات من رؤوسهم وأكتافهم . فى الوقت نفسه ، ينبغى أن يصدر

عنهم وأفواههم مغلقة ، نوع من الطنين يمثل حركة العجلات . هذا الطنين يتبع إيقاعا معيناً (أربعة أزمنة ، الأول منها شديد) للإيحاء بتحريك العربة ، من الممكن أن تمرر في ببطء وبالتوالي من اليمين إلى اليسار الإعلانات التي ظهرت في البداية ؛ للإيحاء بأن المترو يتحرك من اليسار إلى اليمين . وأخيرا اللافتات الزرقاء التي تدل على المحطة ، تختفى . من الممكن أيضا الحصول على ضجيج مسجل لعربة مترو متحرك : يعرض على الأقل في بداية الفصل ثم يختفى في الوقت الذي تبدو فيه الشخصوخ في التحدث .

(هو ، محاولاً أن يخرق له طريقاً بين الجمهور وموجها الحديث إلى جاره المباشر) عفوا يا سيدي ! ... (لا يتلقى إجابة) عفوا ، يا سيدي ! هل تسمح ! ... سيدي ، لو سمحت !

(الجار لا يتحرك)

الجمهور (في كورس ، دون أن نرى أحدا يتكلم ، مادام الشخصوخ يديرون لنا ظهورهم . في البداية " ميتروفوتش " (صوت منخفض) ولكن واضح الإيقاع . أصوات رجال ونساء مختلطة)

ألفريد ، لوسيان ، فيليكس !

روبير ، مارتان ، بأزيل !

بينوا ، ريشارد ، باسكال !

هو : سيدى ، أنا ... هل ... تسمح لى بالمرور ... من فضلك !
ممکن أمر ... يا سيدى .

(ولا حركة)

الجمهور : ألبير ، جوليان ، جاكسون .

إيرنست ، آلان ، إيناس

دانيال ، سيمون ، جوستاف .

هو : (ملتفتا نحو الآخرين فى المقصورة) سيدتى ، سيداتى ،

سيدى ، لو سمحتم ... يجب أن ... معى شخص هناك ،

أريد أن أذهب إليه ... من فضلكم ... هناك ... عفوا

يا سيدتى ! ... يحاول بمرفقه ، يتدافع ، ولكن بلا فائدة .

يصل إلى درجة التضرع ، سيداتى ، سادتى ، أرجوكم !

أرجوكم ! دعونى أمر ... خطوة بسيطة ، شبر ! ...

(يمثل حركة من يسبح) ! ذراع واحدة لا أكثر ... حتى

الشاطئ ، حتى الشاطئ فقط .

(لا نتيجة)

الجمهور : (رافعا الصوت بإيقاع أسرع)

ماريا ، إيناس ، هورتينس !

إيفا ، راشيل ، جوستين .

إيرين ، إيدا ، ليدى ،

أجات ، أولجا ، صوفيا .

هو : (يشب على أطراف أصابعه محاولا التحدث مع صديقتة

من فوق رءوس الركاب ، يُرى وهو يصيح ولكن صوته

- مع أنه صياح - إلا أنه يبدو ضعيفا حيث تغطى عليه
جزئيا ضوءاء الجمهور المستمرة)

هذا أنا ! ... أنا هنا ... فى العربة نفسها ! ... أركب معك .
انتظرينى ! ... لا تنزلى قبلى ! ... ولا بعدى ...

(أصوات تتجاوب بسرعة وتطلق أسماء أشبه بكرات
القتس . الرجال يطلقون أسماء إناث ... الإناث يطلقن
أسماء ذكور)

صوت رجل : (صاعدا - كريشينو)

دينيس ! كوليت .

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

لوران ! إيميل .

صوت رجل : (صائحا)

كريستين ! إيديت !

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

فيكتور ! سيزار !

صوت رجل : (هابطا - ديكريشينو)

لوسى ! مونيك !

صوت امرأة : (هابطا - ديكريشينو)

ميشيل ! فرانسوا !

(الأصوات تصبح بلا تمييز ، تواصل مع ذلك بالإيقاع نفسه)

— (محاولا أن يصبح رغم العجز وشبه اليأس)

هم الذين ! ... ليس واحدا ! ليس اثنين ! ليس ثلاثة ! ...

صوت رجل : (بلهجة شبه عادية ولطيفة)

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

صوت الرجل نفسه : ريموند .

صوت المرأة نفسها : روجيه !

صوت الرجل نفسه : ريموند .

صوت المرأة نفسها : روجيه .

مس : (تشرئب فوق الركاب وبصوت شابة عادى)

الجميع ... يساوون واحدا زائد واحد !

الجمهور : (في مهمة خفيفة تضعف حتى تتلاش)

واحد زائد واحد! واحد زائد واحد! ... واحد زائد واحد! ...

واحد زائد واحد! واحد زائد واحد! واحد زائد واحد! ...!

العقبة الأولى أو هاوى الجرائد

هو : (بعد أن لاحظ جاره لحظات وسعل لكى يجذب انتباهه)

هوم ! هوم ! (لا إجابة) هوم ! هوم ! هوم ! هوم !
(لا إجابة . هاوى الجرائد يستدير على عقبيه ويبدو
بوجهه الحقيقى ، فإذا به رجل مهندس الثياب . دون أن
يتخلى تماما عن جموده السابق . وبحركات شبه آلية
يخرج من جيبه جريدة ، يفضها ويشرع فى القراءة ، انتباهه
بما يقرأ واضح فى حركات رأسه من أعلى إلى أسفل أو
من اليمين إلى اليسار . حركاته تتحول شيئا فشيئا إلى
المرونة والبشرية خلال المناقشة . أخيرا هو يقرر أن يتكلم)
نيوم ، نيوم ، نيوم ، نيوم ، نيوم ، نيوم ، الكلمات
المتقاطعة ؟

هاوى الجرائد : (ينصرف عن قرائته ويلتفت فجأة نحوه . ولهجة فظة
وسريعة)

تيوك . تيوك ، تيوك ، تيوك ، تيوك ، تيوك ، بوليتيكا ،
سياسة ...

هو : (بلهجة من يريد أن يستعلم ويسأل باحترام شخصا
علينا)

بو ، بو ، بو ، بو ، بو ، أخبار سارة ؟

الهاوى : (وهو ما يزال على جموده)

داك ، داك ، داك ، داك ، داك ، أخبار سيئة !

هو : (بأسى صادق)

أوه ! دز ، دز ، دز ، دز ! (صمت قصير ، مشيرا فجأة

إلى فقرة فى الجريدة بفضول مشوب بشيء من الانفعال)

فى ، فى ، فى ، فى ، فى ، فى ، الحوادث ؟

الهاوى : (موافقا)

بوبوب ، جريمة ! بوبوبوب ، جريمة حب !

هو : دوب ، دوب ، دوب ، احكها لى !

الهاوى : (وقد شعر فجأة بتعاطف نحوه)

تهمك ؟

هو : كثيرا .

الهاوى : (بعد أن طوى جريدته ووضعها فى جيبه يشرع فى رواية

الحادث مع تمثيل جميع الحركات)

زو ، زو ، زو ، زو ، فتاة ، زو ، زو ، فى البيت ، زو ، زو ،

وحدها ، زو ، زو ، الأب مسافر ، زو ، زو ، الضيق ، باتا ،

باتا ، أنيقة ، خرجت ، باتا ، باتا ، مهرجان ، باتا ،

شاب ، بان ، بان ، أنيق ، بان ، قبعة . باتاتى ، الفتاة ،

باتاتا ، والفتى ، الرقص ، باتاتا ، كأس شمبانيا ، باتاتا ،

ما أراه ، باتاتا ، طول الليل . بوه ، البيت ، الأب يعود

بوه ، لا توجد فتاة ، بوه ، غاضب ، بوه ، مجنون ،

بادادام ، الشرطة ، بادادينج ، البحث ... دين ، دين ،

دينج . (بنغمة جرس الصلاة) دينج ، دينج ، دينج ،

الصباح ... دينج ، دينج ، الفندق ... لا ، لا ، لا ...

العاشقان لا ، لا ، لا ! بوم ، بوم ، متعبان ، لا ، لا ، لا ،

نوم سعيد ! برور ، بررا الشرطة ! ررر ! الأب ! بوم ،
 بوم ، بحث وتفتيش ! توك ، توك ، أفتح ! لا ، لا ، لا .
 العاشقان المسكينان ! باتاترا ، يصحوان . لا ، لا ، لا ،
 الفتاة : " العودة ... البيت ... أبدا ... " الفتى : " حب ...
 انفصال ... أبدا ... " توك ، توك ، توك ، " ... القانون ! " توك ،
 توك ، توك ، أفتح ، أفتح ! هو ، هو " أبدا " بان " أحبك "
 بان " أقتلك " بان " واقتل نفسى " ودونج ، دونج ، دونج ،
 دونج ، دونج (على شاكلة رنين الكأس) الأب ، الشرطة ،
 العاشقان ، الموكب ! ...

هو : (بعد صمت وصائحا بهذه الأبيات)

الحب ، الحب ، الحب ، نار ، نار ، نار .

بوم ، بوم ، بوم ،

الحب ، حبّار ، حبّار ، حبّار .

الهاوى : أعجبتك ؟

هو : (بغير اهتمام)

داب ، داب ، داب ، أنا أيضا .

الهاوى (باهتمام)

أنت ، أنت ، أنت ، أنت ، أنت نفسك ؟

هو : أنا نفسى . هى نفسها . أحبها ... كبير ، حب كبير ...

تلك الفتاة التى هناك .

(يشير إلى الطرف الآخر من المقصورة)

الهاوى : (مشرئبا لكى يرى الفتاة)

هون ، هون ، جميلة ! هون ، هون ، جميلة ، جميلة
(فجأة ، قلعا) بوه ، بوه ، لا شقاء ؟ بوه ، بوه ، لا خطر ؟
لا حوادث ؟

هو : بلى ! خوف شديد ، خوف شديد .

الهاوى : (وقد تملكته الشفقة)

أوه ! كيف ؟

هو : هى ، زج ، زج ، زج ، زج ، تريد أن تذهب ، أنا ، تيك ،
تيك ، تيك ، الحق بها .

الهاوى : (مشيرا إلى ناحية الفتاة)

أسرع ، زو ، زو ، إليها .

هو : مستحيل ، الزحام شديد !

الهاوى : خذ مكانى .

هو : شكرا يا سيدى .

(هو " والهاوى ، وأذرعهما ملتصقة بطول جسديهما ،

يدوران بحيلة وحذر أحدهما حول الآخر بحيث يتبادلان

مكانيهما ويصبح " هو " وقد كسب درجة) .

الهاوى : أتمنى لك السعادة . أيها الفتى ، والهناء فى الحب إلى
الأبد .

هو : أنت رجل طيب ، يا سيدى . سوف نذكرك حينما نكون
" معا " .

(الهاوى وقد شغل المكان الذى كان يشغله قبلا " هو " ،

أى فى أقصى يسار المقصورة ، يعود فى الحال إلى

قراءة جريدته بعد أن اكتسى وجهه وحركاته بجمود
الرجل الآلى كما كان فى السابق) .

العقبة الثانية

أو

المرأة المهانة ولكن مثيرة

(بمجرد أن يصل الفتى إلى جوار المرأة ، تستدير على
عقبها أشبه بالة يتم تحريكها لتصبح فى منتهى الحيوية
والحركة والضوضاء . تشرع فى مونولوج طويل
لا يتمكن الفتى من أن يعلق خلاله بكلمة واحدة)

(يكتفى بالتعبير عن مشاعره بحركات تنم عن التعجب
والسخط والسخرية والشفقة ، إلخ . فى تلك الأثناء ،
الركاب الآخرون يظلون بطبيعة الحال جامدين ، بلا أى
تأثر ، كأنهم لا يسمعون شيئاً)

المرأة المهانة ولكن مثيرة : أه ! شىء عجيب ! شىء غريب ، تتصور أنتى
لم أر حركاتك ! وأساليبك ! لو لم يكن من المخجل رؤية
ذلك . من الأفضل ألا نرى ذلك . يجب أن نراه حتى
نصدق ! فتاة مسكينة لم تعمل لك شيئاً . أه ! كم عذبتها !
أشياء لا يمكن لأحد أن يعلمها . تهجرها هكذا ! وحيدة
وسط المترو ! بلا أحد ! وفى ساعات الذروة ! وتسعى
معاملتها ! إلى أقصى حد . تسىء معاملتها . أنت
سبىء المعاملة ! (مستشهدة بالركاب الجامدين) وبعد
ذلك هاهو ذا السيد المحترم يأتى ليلحق ضحيته هنا !

فى مقصورتنا نحن . مقصورة لم تعمل له أى شىء
وتخصنا نحن . نحن دافعى الضرائب ! ليس مثل هذا
الوعد . هذا الوعد هو أنت أيها الفتى ! بالضبط ! لذلك
فلن أتكم معك ، لن أوجه إليك الخطاب . بالضبط ! إليك ،
إليك أيها السيد لا أوجه الخطاب . كيف ؟ لماذا ؟ ماذا
عملت لى ؟ آه ، يا له من وقع ! ولكن لحسن الحظ ، أنك
لم تعمل لى شيئاً . كلا ، ولكن من يظن نفسه ؟ ومن
تظننى ؟ آه ! لو رأيت شقيقتى الكبرى هذا . لا يمكن .
لما تمكنت من مواصلة تسكعك حتى هنا ، ولما تحرشت
بى . أيها الوعد الحقيقى ! آه . لو أن خالة شقيقتى الكبرى
رأت هذا ! إنها سيدة بحق ، دولا ب بحق ، دولا ب بأدراج ،
لو عادت أدراجها ، ولكنها عادت أختها المريضة . لقد
ماتت منذ زمن بعيد . ماتت قبل أن تولد . لقد عرفتها
دون أن أعرفها . فى ذلك العصر لم يكن هناك مترو ،
ولا أوغاد ، ولا سفلة . ثم إننى لا أحقد عليك فأنت غبى !
حكم السن . شقاوة أطفال . آه ، يا ربى ، لقد سقطت
حقيبتى ... هل يمكن أن تساعدنى وتعطينى إياها ؟
(المرأة والفتى يثنيان ركبهما بحيث ينزلان مواجهةً دون
انحناء بطريقة مضحكة ، مع المحافظة على النصف
العلوى مستقيماً ، وذلك للبحث عن الحقيبة ، يجلسان
على أعقابهما ويتحسسان بأيديهما مع المحافظة على
النظر إلى الأمام)

(فى هذه الأثناء ، نشاهد " هى " تُخرج ورقة من جيبيها وتخط فيها بعض الكلمات وتنقل الورقة إلى جاراها وهى تميل إلى الأمام ، مشيرة إلى " هو " بوصفه مرسلًا إليه)

هــو : من فضلك ، أعط هذه الورقة للسيد ، هذا الذى هناك .
المرأة المهانة ولكن مثيرة : ولكن لا تنتهز الفرصة لترتكب حماقة ...
لن أسمح بذلك ... حسنا ، هذه هى حقيبتى ! لم يكن معى حقيبة . أنا التى وجدتها . شكرا ، يا سيدى . أنت لطيف للغاية . ولكن ماذا تنتظر ؟ ماذا تنتظر لتصعد إلى السطح ؟ النجدة ! إننى أغرق ! إننى أخشع ! ساعدونى ! (يصعدان معاً كما نزلا . فى هذه الأثناء ، الركاب يتناقلون الورقة من يدٍ ليدٍ بصورة آلية نون رمش .)
أوف ! كنت سأخشع . بطبيعة الحال ، كنت ستستغل الفرصة . أراهن أنك كنت ستستغل الفرصة .

هــو : (مؤدبا ولكن باردا)
أسف ، يا سيدتى . ولكن ياقة معطفك الفرو تحركت من مكانها . اسمحى لى أن أنتقل إلى الناحية الأخرى لأعيدها مكانها .

(يأتى حركة التفاف تسمح له بأن يتبادل مكانه مع المرأة . وبذلك يكسب درجة أخرى . فى أثناء هذه العملية ، تواصل المرأة مونولوجها للحظات)

المرأة المهانة : ولكننا لسنا هنا فى حفل راقص ، ماذا ستفعل فى ظهري ؟ ...
كأننا فى حفل راقص ؟ لو نرقص المزيد من الفالس ؟

أوه ! سيدى ، هذه السهرة لا يمكن أن أنساها ! وهذه
الآلات الموسيقية ! وهذا الشراب ! وضوء ال ...
(تتوقف بغتة لأنها أصبحت تشغل مكانها الجديد بجوار
هاوى الجرائد ، وبذلك عادت إلى صمتها وجمودها)
(هو " يأخذ الورقة التى سلمتها له جارته جهة اليمين
ويقرأها)

مادمت ... مادمت ... (يحاول أن يفهم ، مقطباً جبينه)
مادمت ... مادمت ... مادمت ... ماذا ؟ (محاولاً إعادة
صياغة الجملة) " مادمت ... لا تفهم ... مادمت لم تفهمنى
... مادمت على خطأ ... أقول لك وداعاً ... كلا ، لقد قالتها
فعلاً . (فجأة يشرق وجهه) آه ، وجدتتها ! مادمت ...
بذلت مجهوداً لتلحق بى ، مادمت تقترب ... فإنتى لم أعد
أبغضك . (وهو يكتب على عجل فوق ظهر الورقة)
مادمت قطعتُ ... نصف الطريق ... أليس كذلك ؟ ... رجاء ...
تكمله ... الجملة ! (يسلم الورقة لجارته) بَرَقِيَّة ! .

(الشخص المائلون جهة اليمين يتناقلون الورقة فى
صمت وبصورة آلية دون أن يتخلوا عن عدم اكتراثهم ،
حتى يقوم الأخير بتسليم الورقة لـ " هـى ")

هـى : (تقرأ الورقة ثم تخط شيئاً عليها وتعيدها إلى جاراها)
البريد العاجل !

و : (يأخذ البرقية ويقرأها)

" نعم ... أنا فى انتظارك " (يبدو راضيا ولكن مع شيء
من خيبة الأمل ...) نعم ... أنا فى انتظارك ! نعم ... أنا
فى انتظارك ! (من فرط تكراره لهذه العبارة يصل إلى
درجة الافتتان) مدمت ... مدمت ... نعم ... أنا فى
انتظارك ! مدمت نعم أنا فى انتظارك ! هذا واضح !
مدمت - نعم - أنا - فى انتظارك ! شيء رائع !

العقبة الثالثة

أو

العامل المتفهم

(هو " وقد عاد إليه الأمل ، يلتفت فى حيوية ظاهرة إلى
العامل ، جاره الجديد : يتفرس وجهه لحظة ثم يربت كتفه
برقة)

هو : أنت تعرفنى ، أليس كذلك ؟

(العامل يستدير على عقبيه ، فإذا به رجل ما يزال فى
سن الشباب . ملامح الوجه تدل على الخبث . تتدلى من
على كتفه حقيبة العدد)

العامل : أعرفك .

هو : أنت تسكن فى حيناً ؟

العامل : حيكم أو حيناً ، هذا أكيد . احتمال أن أكون قد حضرت
لإصلاح صنبور المطبخ عندكم .

هو : أه ، أرايت ، أنت فعلا .

العامل : (ضاحكا)

الزبائن هم الزبائن دائما . إنكم لا تحبون أن تنظروا
إلينا ونحن نعمل فى بيوتكم .

هو : (مدافعا عن نفسه)

أنا أسف .

العامل : بينما نحن ، نلاحظكم . أنظر ، أنا أعرف أن السيدة
الصغيرة دائما تثير المتاعب .

هو : أه ! أنت تعرفنا !

العامل : أولا ، رأيكما تمران قبل قليل . هى تحبك ، أليس كذلك ؟

هو : (بحرارة)

نعم ، أنا متأكد من ذلك . (مستدركا) على الأقل ، كنت
متأكدا ...

العامل : لا تتغابى ! أنت تعرف جيدا أنها تحبك فقط كما تحب
النساء ... إلى آخره إلى آخره ! أكيدا أكثر مما تحبها
أنت !

هو : (فى اندفاعه)

لا تقل هذا .

العامل : على أية حال ، بصورة مختلفة .

هو : إذن ، مادمت تعرف الكثير ، قل ماذا حدث لها قبل قليل .

العامل : ربما أنك كنت توجه إليها ألفاظا ...

هو : كيف ذلك ؟ وهى ؟

العامل : هى ؟ كانت تجيبك بألفاظ ليست ألفاظا .

هو : الألفاظ ألفاظ .

العامل : هنا ألفاظ وألفاظ : ألفاظك وألفاظها ! ليس شيئا واحدا !

هو : هل ستمنعني أن أتحدث إليها ؟

العامل : لن يكون في ذلك ضرر أكبر .

هو : (بعد تفكير)

ولكن ماذا أقول لها ؟ ...

العامل : أوه ! الألفاظ ، ليست ألفاظا ، إنها أشياء . حينما نقول

ماسورة فهذا يعنى ماسورة . وحينما نقول مطرقة أيضا ،

وحينما نقول " قدم مسحوقة " أو " يد مقطوعة " ! فهذا

يعنى ما يعنيه هذا . (مغيرا من لهجته) اسمع ،

حقيبتى انزلت من على كتفى . هل تساعدنى فى

إعادتها إلى مكانها من ظهرى .

هو : بكل سرور ، مادامت حقيقة تعنى ...

العامل : (ضاحكا)

هذا يعنى : تقديم خدمة ... (غامزا بعينه فى خبث) كل

المطلوب منك أن تدور حولى ، هذا أسهل .

(هو يتبادل مكانه مع العامل)

العقبة الرابعة

أو

النجمة الخيالية

(هو " يوجه الحديث إلى جارته الجديدة ، وهى فتاة

بسيطة الثياب للغاية . تستدير على عقبيها ثم تدب فيها

الحركة ، ثم تجيب تبعا للألقاب التى سيوجهها إليها)

هو : إيه ، يا أنسة ؟ ... (لا تجيب) هيه ! يا أنسى الصغيرة ؟ ...
(تستدير وتواجه الجمهور) ... عفوا ، يا أنسة ؟ ...
(تصمت) اسمعى يا سيدتى ؟ (تبدأ فى الحركة) ...
عفوا ، سيدتى ، ولكن ... ؟ (تنظر إليه) ... صديقتى
العزيزة الشهيرة ! معقول ! أنت هنا ؟
النجمة الخيالية : (تمثل دور النجمة المشهورة المتحذقة فتحرك أهدابها
وتضبط على مقاطع الكلمات بصورة مبالغ فيها)
نعم ، يا عزيزى ، أنا هنا .

هو : وأنا الذى بحثت عنك هنا وهناك ! لو علمت أنك هنا !
(يخرج من جيبه مفكرة وقلما ويقلد شخصية صحفى فى
جريدة كبرى يقوم بعمل تحقيق صحفى مع " شخصية
مهمة ")

النجمة : أنا هنا حيث أنا . أقول لك هذا بصورة عابرة ،
يا عزيزى . هذه أضمن طريقة لمقابلتى .

هو : حسنا ، حسنا ، حسنا . فى المستقبل ، سأعرف كيف
أصل إليك ... لو تنتهزين هذه الفرصة لتعبرى لى عن
انطباعاتك عن ...

النجمة : ليس عندى انطباعات ...

هو : طبعاً ... طبعاً ... ومع ذلك ، كنت أريد أن أتحدث معك عن
فيلمك القادم .

النجمة : فيلمى القادم . لن أشارك فيه .

هو : وكيف ذلك ؟

النجمة : لقد فضلت أن أضع اسمى فقط . فهذا يكفى . أنا فى الإعلانات . وهذا يساوى عدة ملايين، إذن ، الجميع سيأتون لمشاهدتى

هو : فلا يجدونك .

النجمة : فلا يجدوننى ! ... هذه طريقة مجنونة فى الدعاية ! ... الدعاية بالغياب !... سيكون شيئاً رائعاً ! رايائعا !
(تغير من لهجتها وتشير إلى المانيكان الموجود بعد العامل) هل يبدو عليه الاستغراب ، هذا السيد ؟

هو : (بعد أن ألقى نظرة على المانيكان)

لا يبدو أنه يفهم كثيرا ... (يعود إلى دور الصحفى) وأين كنت أيتها الصديقة العزيزة الشهيرة ، أين كنت قبل قليل ، هناك حيث كنت قبل أن تكونى هنا ، حيث أنت ؟

النجمة تصور أننى كنت أتناول فطورى ، يا عزيزى ، يحدث أحيانا أن أتناول فطورى ... كنت أفطر . أنا أحب الفطور كثيرا .

هو : (وهو ما يزال يتظاهر بأنه يسجل أقوالها فى المفكرة ، تارة كأنه صحفى يسجل حديث شخصية مهمة ، وتارة كأنه " سفرجى " يسجل طلبات زبون)
والطعام ؟

النجمة : (داخله فى اللعبة)

إليك ! ... أولا ، متبلات ومشهيات ، جمبرى وسلجم ، وفلفل وكبد وكلاوى ، وسلطة حيتان ، وماندولين محمر .

هو : (وقد تقمص دور السفرجى)

لا ، يا سيدتى . أسف ، ليس عندنا ماندولين محمر .
النجمة : أوه ! شىء فظيع . إذن دع المشهيات ولندخل فى
الداخليات . حصان بالسايس .

هو : (وهو يواصل التسجيل)

وأعلن لسيدتى أن لدينا ساعات حائط سويسرية .
النجمة : حلوة ؟

هو : (وقد عاد إلى لهجته الطبيعية)

فيما يختص بالفطور ، أين تفطرين ؟

النجمة : (تضحك وقد عادت إلى طبيعتها)

أشتري بعض الطعام ... مرة أشتري بيضة ، مرة
ساندويتش ، قطعة حلوى ، موزة ... ليس عندى وقت !...
(وقد رأت أنه يواصل التسجيل) اسمع ، لا داعى
لتسجيل كل هذا ... فنحن لم نعد نمثل .

هو : ومع ذلك فنحن نمثل ...

النجمة : (ببساطة واضحة)

أنا أعمل خياطة نساء بالنهار .

هو : هل تعيشين وحدك ؟

النجمة : أنا أقوم بتربية أخى الصغير .

هو : (مشيراً إلى المانيكان)

السيد هذا ، من يكون ؟

النجمة : هذا وغد حقير ، لقد هجرنى .

هو : إنهن ، لعلنا أحسنا صنعا حين جعلناه يعتقد أنك أصبحت نجمة سينمائية !

(فى هذه الأثناء ، فى الطرف الآخر من المقصورة ، "هى" تنحنى ، وترى "هو" فى حديث مع المرأة ، تخط بسرعة ورقة وتممرها)

النجمة : (وهى تسلمه الورقة) هيا ، حسنا ! هذه رسالة عاجلة أخرى من صديقتك ، يا لها من " باشكاتبه " .

هو : (يقرأ)

" أرى كل شىء . ستوب . المحادثة طالت . ستوب !

النجمة : هى تشعر بالغيرة ، أليس كذلك ؟

هو : (وهو يكتب الرد على ظهر الورقة نفسها) إذا كنت

ستواصلين ، ستوب . أنا أنزل المحطة القادمة ، ستوب .

(مخاطبا النجمة) أوصليها !

النجمة : (بعد أن مررت الورقة إلى جيرانها)

والآن ... يجب أن تنتقل إلى الجهة الأخرى (وهى تتطلع

إليه بجدية ظاهرة) لقد تسلينا بما فيه الكفاية .

(فى هذه الأثناء ، هى تسلمت الرسالة وقرأتها . ترفع

كتفيتها وتعود إلى الصمت والجمود ، فى حال بين الغيظ

والاستسلام) .

(هوو النجمة يتبادلان مكانيهما)

هو : (وهو يحاول فى أثناء هذه الحركة أيضا أن يتحدث إلى

جارته)

هذا أكيد ! كان بينك و... ولكن لماذا أحدثك بصيغة
الماضى ؟

(بعد الانتهاء من " عملية الدوران " يلاحظ فى أثناء حديثه
مع النجمة ، أن الفتاة عادت إلى جمودها وصمتها
تشويها الكآبة) .
لقد فات الأوان ! ...

العقبة الخامسة

أو

الحامى

(هو " ، وقد أصبح جارا للحامى ، يتحدث إليه بغضب
مكتوم . من الطبيعى أن " الحامى " لا يجيب بشيء
ويحتفظ بنظراته الثابتة فهو ليس أكثر من مانيكان)
هو : (بصوت خفيض فى البداية ، ولكن كأنه يخاطب شخصا
من لحم ودم)

ألا ينتابك أى شعور بالندم ؟ لا ؟ ولا وخز ضمير ؟ ...
ولا خجل ... بسبب هجرك (مشيرا إلى النجمة) لهذه
المسكينة ! ... ولكن أجبنى ، أنا أحدث إليك . (رافعا
صوته) أنا أحدث إليك ، أيها السيد أجبنى ؟ هل
ستظل هكذا تنظر بعيدا ؟ كأن الموضوع لا يخصك .
ولكنك إنسان وقح ! أنا هنا بجوارك . حديث رجل لرجل ! ...
أوه ! لا تخش شيئا . كل إنسان حر فى تحركاته ، وأنا
لا أعرفك ! وليس من حقى أن أوجه إليك أى لوم !

كل ما أريده منك هو ... هو أن تشرح لى ، فقط لا غير ...
أو إذا شئت : وجهة نظرك ! ... هيا ! تكلم : السبب ؟ ما هذا ؟
(يشير إلى جبين المانيكان) اشرح موقفك ! ... أنا أنتظر ! ...
وأستمع إليك : هل يمكن أن تفتح فمك ، لا ؟ تلزم
الصمت ؟ تحيط نفسك بالغموض ، عالم آخر صغير ؟
شئ بسيط بالنسبة للخائن ، بالنسبة للقاتل ! ... لا أحد !
ولا حركة ! ولا صرخة ! الصراخ للآخرين ، أليس كذلك ؟
... قطعاً أنت من معسكر الصمت ، من أولئك الذين ليس
لديهم من الإنسانية إلا المظهر . لا جدوى من الإلحاح !
هيا ! دعنى أمر أيها الأثانى ! أيها الوغد ! . أيها الجبان !
أيها السافل ! شركة محدودة ! مسئولية مشتركة !... أه !
لا أدري ما الذى يمنعنى ! ...

(يزيح المانيكان ويتبادل معه المكان)

العقبة السادسة

أو

الشخص فى حالة نوبان فى الجمهور

(هذا الشخص يبدو من ملامح وجهه وثيابه أنه عادى جداً
غير أن صوته اللاهث ، وإلقاءه المتقطع المتدافع سوف
ينمان عن إحساس رهيب بالجزع ، كأنما أصابه مس من
نيران الجحيم . بمجرد أن يصبح " هو " بجواره ، يأخذ
هذا الشخص فى رعدة تستولى على جميع أعضائه .

يبين وكأنه فريسة حمى شديدة تهزه من رأسه إلى قدميه

(وتغنيه عن الحركات)

هو : هل أصابك مكروه ؟

الشخص في حالة نوبان في الجمهور : لا تمسني ! ... لا تقترب مني ! ... أنا في

خطر ! أنا أحترق !

هو : (مفزوعا)

ماذا بك ؟

الشخص : (وقد أخذت أسنانه يصطك بعضها ببعض)

أفزع شيء ... في الوجود !

هو : هل أسألك عن طبيب هنا ؟

الشخص : (وهو يطلق ضحكة رهيبية ، مفتعلة)

طبيب ! ها ! ها ! لا يوجد طبيب لمثل هذا المرض

الفظيع !

هو : أي مرض ؟

الشخص : ليس له اسم ! ... ليس له اسم بعد ! ... ولكنني أحترق !

أنا محاط بهذا الحريق ! ... إنه يحوم حولي ! وقد بدأ

يمس ملابسي .

هو : هل أنت مريض ؟ هل تخاف من الموت ؟

الشخص : (وقد تملكته الحمى أكثر وأكثر)

كلا ، لا الموت ! ... ولا المرض ! ... بل أسوأ من ذلك !

هناك شيء ما من الخواء ، من الفراغ ، مجهول الاسم

والهوية ، يحوم ، يحوم ، يحوم حولي ! وأنا !

سأختفى ! بين لحظة وأخرى ! س... أخ... تم... فى ! ...
ألا تفهم هذا ؟

هو : كيف تختفى دون أن تموت ؟

الشخص : (وهو يطلق ضحكة أخرى فضيعة)

هيه ! ها ! ها ! هناك مائة ألف طريقة للاختفاء دون أن
تموت . حينما تذوب قطعة من الثلج فى حرارة الشمس .
هل تموت ؟

هو : بطريقة أو بأخرى !...

الشخص : كلا ، يا سيدى ، كلا ! لا تموت ... تختفى . تذوب إذا

شئت . تذوب ! تختلط بالهواء ، بالتراب ، بالآخرين بنوع
خاص . (صائحا) بالآخرين ! الآخرين ! جميعا ! هؤلاء
جميعا ! (بصوت أكثر انخفاضاً) اسمع يا سيدى :
انظر إلى وجهى جيداً . أنت ما تزال ترانى . أنت تعتقد
أننى السيد فلان ؟ السيد فلان ؟ المولود فى المكان
الفلانى ؟ عُمره "س" من السنين ؟ يعمل فى كذا ؟ ...
حسنًا . انظر إلى بانتباه يا سيدى : إننى بصدد أن
أصبح لا أحد ، ولا حتى رقم ، فكرة ، تجريد . سحابة
صغيرة من البخار ، مجرد " بوف " ، بوه ، زرززد ! ...
كنت " شخصاً " ، " مواطنًا " كان اسمى السيد ... السيد
... أه ! ... السيد ماذا ؟ كيف إذن ! (وقد تملكه الرعب)
أرأيت . لم أعد حتى أستطيع أن أتذكر اسمى ، هذا
الشخص ... أنا ، أنت ، هو ، أنا ، هو ، أنتم ، فلان ! ...

مـى : (بصوت حلم ، دون أن تلفت رأسها ، ونظرتها ثابتة
كانها تحت تأثير السحر)

من أنت ؟ أنا أسمعك من بعيد .

و : لقد وصلت ! لقد وصلت ، انظري إلى لكى تتعرفينى !

مـى : أنا لا أعرفك يا سيدى !...

و : لقد جئت إلى هنا ... تذكرى : التكاثر ، التزايد ، جدول
الضرب !

مـى : (بمجهود ، ويلهجة فتاة حزينة تردد درسها)

واحد ... مضروب فى صفر ... يساوى صفرا ...

و : أخرجى من هذا الكابوس ! تذكرى ! لكى أصل إليك
مررتُ " بهم " جميعا الواحد بعد الآخر !...

مـى : الآخرون ؟ ... هم أنا .

و : كلا ! هناك أنت ، هناك أنا وسط الآخرين ، وسط " أنا "
آخرين و " أنت " آخرين .

مـى : لا أفهم ... أنا خائفة .

و : عودى إلى رشدك ، يا حبيبتى . أنت تعلمين جيدا من
أكون ، من تكونين .

مـى : أنا لا أكون شيئا . أنت لا تكون شيئا ، لا يوجد أحد .

و : هات يدك لكى تتعرفينى !

مـى : (فى قمة الرعب)

لا تقترب ! الصحراء ! ... النار !

و : أين أنت ؟

هــى : (صائحة)

أنا أختفى !...

هــو : ولكنك كنت فى انتظارى .

هـى : إذن ، وداعا ، إذا كنت قد عرفتنى فى الماضى !

(صوت صفارة يدوى . الشخصوص يصطدم بعضهم

بالبعض الآخر . وقد هزهم توقف العربى المفاجئ)

هــو : (وهو يجتاز بقفزة الفراغ الضئيل الذى يفصله عن " هـى ")

أين كنت يا حبيبتى ؟ أنا كنتُ هنا ...

هـى : (وهى تمتطى)

لابد أننى كنت نائمة . كنت أحلم . لم أكن أعرف من أكون .

هــو : (بكل حماسة)

والآن ؟

هـى : (وهى تبتسم له)

أنظرُ إليك . فأتعرف نفسى : أنا أكون ، ما دمت أنت

تكون .

هــو : الإنسان يمكن رؤيته من قريب . كل واحدٍ لكل واحدٍ .

هـى : (ضاحكة)

كلُّ واحدٍ له واحدته !

(الركاب ، وقد فكُّ عنهم فعل السحر ، ينزلون ويختفون

باندفاع)

(هو " و " هـى " يمران فى بطاء أمام الستارة وكل منهما

يمسك يد صاحبه كما كانا فى البداية)

هو : (على إيقاع الفالس الذى كان فى البداية)

واحد ، اثنان ، مجهول الهوية .

هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هاوية .

هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أعرف .

هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أبعث .

هو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

(يختفيان فى الكواليس)

ستارة

الجثمان المطوق

كاتب ياسين

كاتب ياسين

الظاهرة الأولى البارزة في أدب الشمال الأفريقي هي أنه لا يمكن عزله عن الثقافة الغربية ، كما لا يمكن أيضا اقتلعه من الأرض الأفريقية الإسلامية .

كان الجزائريون في ظل الاستعمار الفرنسي يشعرون أنهم عرب ويفخرون بذلك . ومع كل فهم لا يستطيعون أن يعبروا عن ذواتهم باللغة العربية ، وكانوا يدركون تماماً أن اللغة الفرنسية التي يتحدثون بها ليست لغتهم . وكان الجزائري أمام أمرين لا ثالث لهما ، فإما أن يظل جاهلاً بكل شيء ، وإما أن يعرف كل شيء شريطة أن يدخل المدارس الفرنسية ويتعلم لغة الأعداء . إذن فليتعلم الجزائريون لغة عدوهم ليتخذوا منها ومن ثقافته سلاحاً ضده . وفي ذلك يقول كاتب ياسين :

" إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب مستقل عن اللغة التي يعبر بها ، مخلص من روابطها العاطفية والعنصرية ، فهو يعبر عن وضع معين ، روح أصيلة بها ملامح من حكمة الشعب الجزائري وعزيمته الثورية المندفعة للقضاء على الأوضاع الاستعمارية الفاسدة ، وإحلال أوضاع جديدة وبناء محلها . "

الظاهرة الثانية الطاغية في الأدب الجزائري أن البطل يلقي الصعاب ويعانى من الظلم والإرهاب ، ولكنه يتغلب عليها جميعاً ولو بالموت . لأن

الموت فى هذا الأدب ليس فناء أو نهاية ، وإنما هو استمرار وبداية ، لأن
البطل عندما يموت يترك وراءه ذرية من الأبطال ، وهو بموته إنما يلهب
الثورة ويلقى عليها الوقود فيضطرم أجيجها .

وكاتب ياسين شاعر وروائى وكاتب مسرحى ، فرض نفسه على
الثقافة الفرنسية التى أصبحت تفخر به وتدرجه فى كتب الأدب الفرنسى
والقواميس الفرنسية واحداً من ألمع نجومها .

ومن الطريف الذى يذكر أن والدته كانت تكتب الشعر ولها تجارب فى
المسرح . وكانت الأم ، على حد تعبير الابن ، مسرحاً كاملاً . وكان هو
المتفرج الوحيد ، أو بمعنى أصح المستمع الوحيد لها .

فى يناير عام ١٩٦٣ عرضت فى باريس مسرحية " الجثمان المطوق "
بعنوان المرأة المتوحشة .

وفى العام نفسه حصل كاتب ياسين على جائزة " جان أمروش " التى
يمنحها مؤتمر ثقافة البحر المتوسط . وفى عام ١٩٦٧ عرضت مسرحية
أخرى له بعنوان " الأسلاف يتميزون غضبا " . وفى آخر العام نفسه
عرضت مسرحية " مسحوق الذكاء " فى باريس أيضا .

كتب ياسين بعد ذلك ثلاث مسرحيات : " الرجل ذو الحذاء المطاط "
(١٩٧٠) ، " محمد ، احمل حقيبتك " (١٩٧١) ، " صوت النساء " (١٩٧٢) .

الظاهرة الثالثة فى انتاج ياسين (الشعر والرواية والمسرح) هى أنه
سيرة ذاتية جماعية ، لا تترجم حياة الكاتب وحده ، وإنما حياة أهله وقومه
وأُمته بالأمها وأمالها .

المنظر

{حى القصبة ، خلف الأطلال الرومانية . فى طرف
الشارع بائع يجلس القرفصاء أمام عربته الفارغة .
زقاق يفضى إلى الشارع فى زاوية قائمة. كومة من
الجثث تطفئ على شقة الجدار. أذرع وروس تهتز فى
يأس . بعض الجرحى يظهرن ويموتن فى الشارع . فى
زاوية التقاء الزقاق بالشارع نور مسلط على الجثث التى
تصدر فى بادئ الأمر أنينا شاكيا يتجسم شيئا فشيئا
ليصبح صوت إنسان ، صوت " الأخضر" الجريح }

الأخضر : هنا شارع الواندال . إنه أحد شوارع مدينة الجزائر ،
أو قسطنطين أو سيتيف ، أو جلمة ، أو تونس أو الدار
البيضاء . أه ! إن المسافة تعوزنى لكى أعرض فى كل
أبعاده شارع المتسولين والعرجان ، لكى أسمع نداءات
الشخصيات السائرة فى نومها ، وأشيع نعوش الأطفال ،
وألتقى فى موسيقى المنازل المغلقة جلبة المشاغبيين
المقتضبة . هنا ولدت ، هنا لازلت أحبو لكى أتعلم الوقوف
بالجرح السرى نفسه الذى فات الألوان لأعادة رتئه ،

وأعود إلى النبع الدامى ، إلى أمانا الباقية أبدا ، المادة
التي لا تنفد أبدا ، المولدة للدماء والطاقة تارة ، وتارة
أخرى مختلطة بالاتقاد الشمسى الذى يحملنى إلى المدينة
المضيئة فى قلب الليل النضير ، رجلا قد قتل لسبب
غامض فى ظاهره طالما أن موتى لم يؤت ثمرة ، كحبة
قمح يابسة سقطت تحت المنجل لكى تتموج عاليا عندما
يأتى موعد دراسها القادم وهى تضم الجسم المسحوق
إلى ضمير القوة التى تسحقها ، فى انتصار عام ، تعلم
الضحية فيه جلادها كيف يستعمل السلاح ، ولا يعلم
الجلاد أنه هو الذى يكابد ، ولا تعلم الضحية أن المادة
تقبع متحصنة فى الدماء التى تجف والشمس التى تشرب ..
هنا شارع الوندال ، شارع الأشباح والمجاهدين
والصبيان المختنين والعرائس حديثات الزواج ، هنا
شارعنا . لأول مرة أشعر به ينبض كالشريان الوحيد
المتدفق والذى أستطيع فيه أن ألفظ أنفاسى الأخيرة دون
أن أفقده . إننى لم أعد جسدا وإنما أنا شارع . لا بد
لى الآن من مدفع لصرعى . وإذا صرعى المدفع فسأزل
ماثلا هنا أيضا وميض نجم يمجى الأطلال . وأى
صاروخ بعد ذلك لن ينال مسكنى إلا إذا تخلى طفل
ناضج قبل الآوان عن الجاذبية الأرضية ليتبخر معى فى
عطر نجم ، فى موكب ودئى لا يكون الموت فيه سوى لعبة ..

هنا شارع نجمة ، نجمتى ، الشريان الوحيد الذى أريد
أن أقضى فيه نحبى . أنه شارع دائم الغروب تفقد فيه
المنازل وضاعتها مثل الدماء بمثل عنف الذرة التى توشك
على الانفجار .

(سكون ، ثم صوت الأخضر يعود من جديد) .

هنا ترقد فى الظلام الجثث التى لا تريد الشرطة أن
تراها . ولكن الظلام شرع فى المسير تحت الضوء
الوحيد المنهار ، وكومة الجثث لاتزال على قيد الحياة وقد
جالت بها موجة رائحة من الدماء ، كتنين أصابته
الصاعقة يجمع قواه لحظة احتضاره وقد أصبح لا يدرى
ما إذا كانت النيران ستلكاً فوق جثته بأسرها أو فوق
صدفة واحدة من الصدف الحى الذى يضىء مغارته .
هكذا يبقى الجمهور على قيد الحياة بعد أن فقد رأسه فى
عملية الإبادة التى تحصنه وتخلصه . هنا ، فى هذا
المكان نفسه وأنا صريع فى زقاق مولدى ، يعود إلى فمى
طعم مذاق قديم ، ولكنه ليس مذاق المرأة التى أنجبتنى
ولا العشيقة التى أحتفظ بعصتها . إنهن سائر الأمهات
وسائر الزوجات اللائى أشعر بعناقهن ، يرفع جسدى
بعيدا عنى ، وبقي لى فقط صوتى ، صوت الرجل أسيد
به كمال الجمع المذكر أقول نحن وانزلنا فى شوارع
لأبعث الحياة فى الجسد الذى أملكه إلى
فى انتظار البعث . وحتى أصعد من العبر إلى سرى سرى

بعد أن قتل الأخضر ، يلزمنى أن أضيف إلى المد المذكور
الجزر الجمع ، حتى تدفعنى الجاذبية القمرية إلى التحليق
فوق قبرى على نطاق كاف .. هنا أحصى نفسى ولم أعد
أنتظر النهاية . لقد متنا . جملة غريبة . متنا مقتولين .
وسرعان ما ستأتى الشرطة لالتقاطنا . أما الآن فإنه
يواريننا لأنه لا يجرؤ على عبور الظلام الذى لا تستطيع
فيه قوة أن تشتتنا . لقد متنا ، لقد أبدنا دون علم المدينة ..
عجوز يتبعها أطفالها كانت أول من رأنا . ولعلها جمعت
بعض الرجال الأصحاء الذين انتشروا بيننا مسلحين
بالفئوس والعصى ليدفنونا بالقوة .. لقد اقتربوا على
أطراف أقدامهم رافعين أسلحتهم فوق رؤوسهم وقد راح
الأهالى يراقبونهم من داخل منازلهم المظلمة ، موزعين
بين الحيرة والرعب لمنظر الأشباح المنحنية على الجثث
المكدسة . مذبحه كبيرة كانت قد وقعت ، وطوال الليل كله ،
وحتى ضوء الصباح الذى يوقظنى الآن ، ظل الأهالى
محبوسين كما لو كانوا يتوقعون مذبحتهم ويتهيئون لها
فى عزلتهم مع أنفسهم ، ثم كفت الأشباح أنفسها عن
الذهاب والإياب . وجلت القطط الأخيرة عن المكان .
والمارة الذين كانوا ينقصون شيئاً فشيئاً كانوا يجزعون
لحشرجاتنا ويتوقفون لحظة فى مكان الاشتباك . ولم تأت
أية دورية ليلية لتعكر تأملاتهم العابرة ، لقد شعروا
بإحساس جديد نحو المجاهدين الغامضين الذين مازال

موجهم يهدر عند أقدامهم . فى هذا الشارع الذى كانوا
قد شاهدوه عفنا كئيبا ، حيث مجد مثل هذه المجزرة
يأتى فجأة ليطيل الزقاق نحو جولات قادمة .
(نجمة ، متشحة ، تغادر حجرتها نحو الزقاق . تمزق
وشاحها وخديها ، وثوبها وتنتحب) .

نجمة : انظروا إلى الصدر الضريع .

بعيدا عن الحبيب المقطوم .

لن ينضج أبدا .

ذلك الثدى الذى سوده الفراق .

لن يستطيع بعد الآن أى فم أن ينال لبنى .

إن الأخضر ينام مع غيرى .

لقد حذرتمنى .

ولقد حلمت بالإعدام رميا بالرصاص .

ولكن كان من المفروض أن يعود عند الغروب .

وكان من المفروض أن أخفى عنه دموعى وخنجره .

وهأنذى محكوم على بليل الوحدة .

أرملة لن يمسنى بشر أبدا .

زهرة عمياء تبحث عن حبيبها المختار الذى حمل بعيدا .

وسط قرابين قرية النمل التى تتردد على تتويجها .

هكذا هجرنى الأخضر ، النملة الذكر

الذى عبر العطر المتغطرس لمخدعى

ليسقط وسط هذه الكومة من الأجساد المجهولة .

حسن : منذ أن رحل الأخضر ، ونحن هنا ، دون أخبار .
 لم تتحرك نجمة طوال النهار . والآن تنصرف صامتة
 تحت جنح الظلام . نعم ، هذا هو شبحها الذى يبتعد
 على طول الجدار . إننى لم أسمعها وهى تخرج .
مصطفى : (وقد نُشِل فجأة من غفوته) نجمة ! لا يجب أن
 نتركها تذهب . نادها .

لا تنس أن الأخضر تركها هنا ، إنه حتى إذا كان
 لم يخطرنا بأنها ستظل تحت حمايتنا .. انظر إليها وهى
 تتخطى الموتى . لا الذهول ولا الخوف يثقل مشيتها .
 هاهى ذى تقف أمام الزقاق المشئوم . أن وشاحها
 يتطاير فى الليل . إن الناظر ليظنها قاربا سكنت حركته
 بعد أن انقلب ليكشف لنا عن الأفق . الحق بها سريعا .
 ففى غمضة عين قد يغمى عليها . إن أصوب فح يُنصب
 للغزاة الشاردة لا يكون فى غالب الأحيان سوى وقفة لها
 تجعلها فى متناول البندقية .

(حسن خرج متلصصا للقاء شبح نجمة . بعد لحظة
 إظلام على المسرح، تدخل نجمة ، شاردة ، وشاحها
 ممزق ، يتبعها حسن من بعيد تجلس فوق مقعد) .

طهارة : (بضحكة مفتعلة) قهوتك لاتزال ساخنة .. ولكن
 أخبرينى إلى أين كنت ذاهبة ؟ إلى أهلك ؟ .
مصطفى : دعها تشرب . إنها بلا عائلة (مخاطبا نجمة) ما عليك
 إلا أن تنتظرى ، فأنت تعرفين الأخضر خيرا منا .

طهار : (وهو يعيد الكرة) أن المرء لا يهجر عائلته من أجل مجنون كالأخضر .

حسن : (حانقا) أعلم جيدا أيتها الجيفة أنه لولا الصديق الغائب ما كنا فتحنا لك بابنا مطلقا . فليس هذا من أجل شعرك الأبيض .

طهار : الأخضر ! الأخضر !... إننى لا أسمع إلا هذا الاسم أليس هو ابنى قبل كل شيء ؟..

حسن : ابن أمه : إننى أحدد هذا لك . لماذا تذكر عقمك هذا ؟ أنك لست سوى ثرثار يهذى ويخرف .

[سكون ، ثم ترفع نجمة الفنجان إلى شفيتها وى تتحدث إلى نفسها بصوت خفيض كما لو كان كلامها نفسه لا يصل إليها] .

نجمة : لم أكن أسمع وقع أقدام الجنود . ولم ينجس شياى اليوم أيضا فى الأماكن المحظورة التى نزحف فيها غير قادرين على النهش ، بهائم سمرتها إلى الأرض حزمة من العشب منيعة يسيطر علينا وجودها كما لو كان جزاء علينا الكفاح من أجله ، وعدا لابد منه فى سبيل الثأر الذى نعهده ، دون أن ننبس بكلمة ، ودون قطعة سلاح ، ولكننا على الأقل واثقون أننا سننهزم وفى قلوبنا كبرياء من يشعرون بأنهم قوم لا يهزمون . وما دام الصديق الوحيد قد هلك ، فسأنتظره أكثر من أى وقت مضى . ساطأ التراب والدماء مثل بقرة تعدو نحو المجزرة

باحثة عن وجه شبه مفقود . كم من وجوه عند قدمي ، وكم من أشباح متناثرة في إثري ولا أثر للأخضر . إن الأخضر يلزم الصمت غالبا عندما نناديه .

طهار : وأنا سأفقد خير ما في من قوة وأنا أجرى كالمسكين

باحثا عن الملعون : هذا الابن بالتبني الذي تلومونني على حبه ، أنا الأب الوحيد الذي لم يعرف سوى حتى اللحظة التي سلبتم فيها عقله بكل أفكاركم الجديدة التي لا أدري من أين استقيتموها .. لقد استحوذ عليه رفاق يجهل أسماءهم في بعض الأحيان ، وهاهو الآن ضائع ليس فقط بالنسبة لزوج أمه ، وإنما بالنسبة لأمه التي تركها صغيرا ، عند خروجه من المدرسة في ذلك اليوم الذي اتفقتم فيه على الاستهزاء بالشرطة بعرض راياتكم التي لا تفهم . ومنذ ذلك الحين وأنتم لا تمارسون إلا هذا العمل . لم تعد الشرطة كافية . إنهم الآن يرسلون إليكم جنودا من الجيش . والنتيجة : هذه الجثث للشبان في الشارع . وهؤلاء أيضا من " الرفاق " الذين نبذتم من أجلهم كل شيء . الكتب المدرسية ، وأدوات العمل ، والمنازل والعائلات لتتجمعوا أيضا ودائما في انتظار أن يرسلكم رجال الشرطة والجنود لتلحقوا بالجثث المجهولة التي لا تستطيعون حتى دفنها ، في حين أن أصدقاكم ، وربما الأخضر أيضا ، يقبعون هنا تحت أبصاركم في الشارع نفسه الذي كانوا يأتون فيه لحضور اجتماعاتكم ..

مصطفى : لقد ولدنا فى هذا الشارع ، كلنا ، وليست الشرطة هى التى ستخرجنا منه . أما بالنسبة للجثث ، فلقد رأى الشارع القديم جثثا غيرها . أنت نفسك أيها العجوز المسكين سيشهد الشارع مرور نعشك ، ونحن جميعا سنمر من هنا . ليس عدد الموتى هو الذى يثقل على شارعنا ، أنه الموت المنعزل ، موت الجبناء والقلقين من أمثالك ، أنتم معشر الآباء المتخلفين ، الذين تخونون أسلافكم . إنكم تظنون أنكم تؤمنون أعماركم المتقدمة بإرسالنا إلى الورش والمدارس التى يطردنا منها دائما أولئك الذين أصبحت سيطرتهم عزيزة عليكم ، إنكم تعجبون بالسطوة والترف وأسلحة المرتزقة التى انتصرت على أجدادنا المشتركين . لم يعد للكفاح معنى فى عيونكم .. وماذا يعنى هذا ، سوى أن نفوسكم ، نفوس الخدم ، قد دفعتمكم إلى عار الهزيمة التى تتلذذون فى قبولها ، ودفعتمكم إلى تغذية أحلام العبودية على حساب أولادكم اقتداء بمستعمريكم هم أيضا يعتقدون أنهم يحبونكم بسذاجة (الفاسق دائما ساذج) ما داموا يعيشون من نشاطكم ويشركونكم فى فحشائهم مع إحساسهم بأنهم هم أيضا آباء معلمون .. ولكنكم ستكونون آخر المخدوعين . أن أولادكم ، على الرغم منكم قد كبروا فى الشارع . لم يكن لديهم وقت ليستعبدوا ، وسرعان ما رأوكم تنفقون مع أجلامكم السعيدة . لن نعمل بعد اليوم من أجل أيام الخدم العتيقة .

طهار : فى هذا البلد الشؤم ، الدماء تسيل كل عشرة أعوام .
لقد رأيت كثيرين من الأغرار المتحمسين مثلكم يتعرضون
دائما للهزيمة نفسها . ماذا فعلتم بأعلامكم ضد المدافع
الرشاشة ؟

جميع المعارك تخمد بسرعة مثل نشيج الأطفال . منازلنا
هدمتها المدافع . فالمليشيات والجيش يأتیان لساندة
الشرطة وهم يضربونكم ويدلونكم ويجبرونكم على العمل
ويطلقون النار على مظاهراتكم الملعونة . وكل هذا
ينعكس على الأبرياء . أمن الممكن أن يعتمد عليكم
الأبناء التسعة لكاتب الحكمة ؟ ، ذلك الكاتب الذى أحرق
حيا بعد أن سكب عليه البنزين لأنه راق له أن يحتفظ
بجرائدكم ومنشوراتكم .

حسن : يبدو أنك تتلذذ بتوجيه هذا اللوم إلينا .
مصطفى : دع الغراب ينطق . ليس هو الذى يثير قلقى .. قل لى
يا حسن ، هل تتذكر ذلك الشاب الذى عاقبته المحكمة
العسكرية بتهمة " إلقاء نظرة مهينة على موظف فى أثناء
تأدية وظيفته " .

حسن : نعم ، أتذكر . لقد كان فى زنزانتنا بعد الهروب .
قال لنا : " لماذا نبقى فى هذا البلد ، إذا كان الثأر
مستحيلا ؟ "

طهار : عندئذ غادر معظمكم البلد ، وسافرتم إلى فرنسا ، وأكلتم
على مائدة أعدائكم ، وتكلمتم لغتهم وارتيتم زيهم مع

أنهم أطلقوا عليكم النيران فى الخفاء وأنتم ترتدونه ،
أما أنا ، فقد كنت أشرب وألهو مع النساء ، ولكننى
ظللت فى بلدى ، ولذلك فلم أكن جنديا ولا عاملا فى
المصانع المشهورة هناك . أنتنى أستطيع بدورى أن
أتهمكم بعدم الوفاء ، إن لم يكن بالخيانة . هاهما عامان
قد مضيا منذ عاد الأخضر من باريس ، ولم يأت لزيارتنا
مرة واحدة . وأمه تقف كل يوم فى النافذة على أمل أن
تراه يمر ، لم أعد أشتهى الشراب والطعام .

حسن : الشراب على وجه الخصوص . إن رائحة النبيذ الآن
تصيبك باشمزاز غريب .

طهار : هذا يحدث لى منذ اعتدت الصلاة . فكرة أخذتها عن
تاجر أمين . أنك لا تستطيع أن تتصور معنى أن تبلغ
المئذنة فى ملابس ناصعة البياض وجسد طاهر .

[يدخل رسول من الحزب]

الرسول : السلام عليكم (يجلس ويقدم سجائر) .

طهار : ما الأخبار ؟

الرسول : (دون أن يلاحظ حركة الارتباب التى يبدىها مصطفى) :

الهدوء مطلوب . إنهم يريدون أن يعرفوا مدى قوتنا عن
طريق القيام بهجمات جديدة .

حسن : سيقولون أن بعض الأوروبيين المسالمين قد هوجموا ..

الرسول : لقد اكتشفوا أمثاكن لقائنا الرئيسة وأصبحت تحت

المراقبة . لم يبق إلا أن نختبئ ، ولكن علينا ألا نعرض

أنفسنا للقبض علينا . فإذا اختفى جميع المسؤولين مثل
الأخضر وكثيرين غيره فسي فقد الحزب عنصره الجوهرى .
حسن : (مشيرا إلى نجمة الواهة) : أننا لم نقرر بعد اعتبار
الأخضر مختفيا .

الرسول : عليكم أنتم أن تعثروا عليه .
مصطفى : كيف نبحت عن الأخضر إذا كانت الأوامر تقضى بأن
نظل مختبئين ؟ أننا لا نعرف ما إذا كان بين الضحايا .
ألا يخطر ببالكم أن الشرطة قد تركت الجثث فى أماكنها
بهدف واحد هو إيقاعنا فى المصيدة ؟

الرسول : (تاركا المقعد) : ربما (يخرج) .
نجمة : (وهى تنهض فجأة) : سأعود لزيارتكم .
طهار : إنها مجنونة .

حسن : صه !
طهار : كلُّ مسيرٍ لما كُتب له . لماذا تخرج ؟ كل مسيرٍ لما كُتب له .
مصطفى : دعها تفعل . يجب عليك أن ترافقها .
[نجمة تخرج ، يتبعها طهار أسفا] .

حسن : أتقول إنها كانت على خلاف مع الأخضر ، صبيحة
يوم المظاهرة ، ظروف غريبة . إننى على يقين من أنها
تعتقد أنه مات بون فائدة ، لمجرد أنه لم يعد يريد أن
يراهما . منذ قليل ، عند خروجي لأول مرة ، تساءلت عما
إذا كانت لم تر الأخضر طريحا فى الزقاق . ألا تظن
أنها تخدعنا خشية الإفصاح عن آلامها ؟

مصطفى : لا شيء تود المرأة أن تنفرد به مثل حدادها .

حسن : ويأسها ، هل ترى أنها تأبى أن تخلطه بياسنا ؟

مصطفى : وعلى فرض أننا نجهل ما قد رأته بالتأكيد ، جليا كما رأيناه ، فهي تعتقد أنها تتجنبنا ..

حسن : ... وهى فى الوقت نفسه تكتم الحزن الذى لن تتحملة ، إذا ما تحدثنا بطريقة مكشوفة . ولكن كيف هجرها الأخضر ؟

مصطفى : لقد قضينا الوقت فى إعداد المظاهرة ، وفى الفجر شرع الأخضر فى إتيان أعمال عظيمة ، كان يريد إغلاق الباب ، وتسريح رجال المقاومة والتكفل بأداء المهمة كلها . وأخيرا لم يبق سوانا نحن الثلاثة : الأخضر ، ونجمة ، وأنا . كنا نجاهد للتغلب على النوم كما لو كنا قد أحسسنا بأن هذه المظاهرة لن تنتهى كغيرها من المظاهرات . كانت نجمة تقف على حدة ، ولكنها لم تكن تبدو غاضبة . كنت وحدى فى بعض الأحيان أقترب منها وأحدثها . وكان الأخضر قد شرع فى الكتابة . وأخيرا نهضت نجمة لفتح الباب ، وانقضت الشمس فوق رؤوسنا ، بسرعة النحل المتجمع ، وكنا نرتعد تحت لسعاتها الطفيفة ، ونحن لم نزل مثقلين من تعب الليل . كنت أنا ونجمة ، قد اقتربنا من الباب لاستنشاق هواء الربيع ، وظللنا مأخوذين بالفجر وحرارته دون أن نجرؤ على قطع هذا السحر . وإذا بصوت الأخضر يردنا إلى الواقع حين

قال : " لا شئ يدعو للحزن " كانت النافذة مفتوحة .
وكانت نجمة مائلة فى نور الشارع وعبير الصباح ،
فهمس لها الأخضر مرة أخرى " لا تغضبى " وابتعد وهو
يوصينى بتنظيم النوبة والاطمئنان عليها . حينئذ فقط
أدركت أنهما خارجان من مشاجرة ؛ من الطريقة التى
كانت تنتظر بها إليه وهو يرحل بعين قاسية وحزينة .
[عند خروجها تلمح نجمة الأخضر بين الجثث . لقد
نهض بمشقة . ثيابه ووجهه ملطخة بالدماء . يترنح فى
الشارع كالمجنون . نجمة تظل صامته محدقة النظر دون
أن تقوى على التقدم خطوة واحدة] .

الأخضر : إننى أجد نفسى مرة أخرى فى مدينتنا . إنها
تستعيد شكلها فى ناظرى . إننى ما زلت أحرك أعضائى
المحطمة ، وشارع الواندال ينتهى أمام عيني كأنه تحت
عاصفة ، قبل دقيقة معينة ينهار فيها الليل وسط الأحجار ،
فى صدر الحشرات التى ينبشها الريح والجليد حتى
الصباح . حينئذ قام حائط ضخم بين المدينة الكبيرة
وبينى . إننى أخرج أخيرا من هذا الموت العنيد ومن هذه
المدينة الميتة التى أنا مدفون فيها .

[طلقات نارية بعيدة ، غير حقيقية يرددها الصدى] .
فوق شجرة هائمة جاهدت عائلتى الثرية ، الثرية بالدم
وبالأصل ، القبيلة ذات الضريح الخالى التى عاشت قبلى
فى عطر البن المحمص ، جيراننا لم يعطوا شيئا منه على

الإطلاق ، " لزهرة " تلك الأم التي لا أجرؤ على رؤيتها مرة أخرى دون أن أنقذها من الرجل المتعجب الذي تزوجها ، فى غياب أبى الحقيقى الذى قضى نحبه فى حادث سيارة ، كان يركبها مع عاهرة ، هذا الأب الذى كانت ميته الفضيعة هاية من المهاوى التى ابتلعت بقايا القبيلة ، ذلك الميت الذى لا يذكرنى بأى شىء إلا بقسوة القدر ، ذلك الميت الذى يتركنى مروره العابر بعيدا ، بعيدا للغاية ، سمكة ميتة خلقت بطريقة غير ملموسة وراء أحشاء الأم ، ولدت مرة ثانية عندما خرجت فى عملية الهضم الكثيبة لسمكة القرش التى عبر هيكلها المشرف على الفناء بعد أن اجتاز فكيها الواهنين : وهكذا فإن ميتتى تجتاز ميتة أخرى أبوية قبل الأوان ، ولم أعد أملك سوى زوج أب لتحويل أمى "زهرة" عن لحدى القريب ، ولم أعد أملك سوى الأصدقاء الذين ستذهب إليهم " نجمة " الحبيبة المبعدة . وهأنذا صريع مرتين ، ولكنى وحدى أنهض ، أشبه بالتماثيل التى تبعثها الزلازل ، أزعزع العوالم وأهزها فى نوبات غضب بارقة ضد الدناسة العمياء ، دناسة الزمن ، ودناسة الموت ، ودناسة النكبة التى لا شىء يخلص منها عقولنا الباقية ، إلا ربما اللحظة التى حانت لى أخيرا ، لحظة بلا ديمومة ولا عودة يختبر المرء فيها قوته مع حشود لا حصر لها عند مخافر القدر الأمامية . أوه ! يا لسمكة القرش التى فقدت

سرعتها قرب السابحين المبهورين ، كذلك تكون عبقرية الموتى متخلفة عن تاريخى ، الآن وقد جئت على شاكلة الحجارة أموت فى الشارع ، وقد راح الزمن يضرب الأرض بقدميه ، وقد أعارنى شكلا أخيرا دون أن يقوى على أن يتغير معنى أو أن يرفع القناع عنى ، الآن وقد انبرى الزمن ينازع الموت ذاكرتى المبعدة عنهما ، لم يعد هناك توقيت يمكن أن يكون توقيتى ، ودمائى المراقبة لن تعرف لها بعد اليوم مقياسا ، ولا رواجاً .

[طلقات نارية]

إننا لم ننف بعد من أرضنا ، ولكننا فقط هزمنا فى الشارع ، حيث أنا بمفردى ، وعلى الرغم من السفاحين ، أحبو لا ميتا ولا حيا ، مهملا بلا عناية بواسطة قرار حكم أصدره الربيع ، فى رائحة دغل محطم ، شأن القنفذ الكبير وقد تخلص عن المقاومة ، يتذوق فى وكره ألم الطلقات الضائعة ، وهو يبلى فى هواده تربة احتضاره الذى ليس إلى نواله من سبيل .

[طلقات نارية]

وحيد وفى ظلى تحوم النداءات الخطيرة لمدينتنا التى هجرت ببسالة ، وقد غزاها كيائننا كله ، المدينة الشابة أبدا ، والتى تحتفل بالعيد على مشارف الخرائب .

[طلقات نارية متتابعة تستمر وتنتهى بسكون جديد يلقى فيه الأخضر بهزيانه ، وسينتصب بكل قامته ليلقى ، فى

بطء ، وكلمة كلمة ، الفقرة الآتية التى يستعيد فيها
رشدّه] .

إننى أسمع ضوضاء الدماء تعيش ، وأعثر على صرخة
أمى وقد جاءها المخاض . إننى أسمع القبيلة تعيش
تحت ريح السّموم التى بلغت عروقى ، وأرتفع عند الغروب
نحو أشجار الحور العتيقة التى يهتز قوامها ورقة ورقة
وفق اكتساح نباتى لا يمكن التصدى له ، اكتساح
يذكرنا فى الليل الذى يسير قدما ، بفرسان نوميين
تفرقوا عند المغرب ليجددوا حملاتهم .

[طلقات متتابعة وعدو جيا ، عدو جيا وطلقات متتابعة .
سكون يبعث من جديد] .

وأخيرا فلكى أقيم سياجا من هذه الأكداس الرهيبة من
الزمن حول القلب المدمر الذى يتلقاها ، فإننى أصبح ،
لا عن تصنع ، وإنما عن عناية - أصبح ذلك الرجل
العنيف الذى لم يكف عن التعدى على الأشباح .
[الأخضر يتطلع حوله ، متخليا شيئا فشيئا عن هوسه ،
ويستطرد بنوع من السخرية]

إن ثقل الخزائن موجود فى الأيدى المتقلصة التى
تحبسنى فى الجبابة ، ومدينتنا المنهارة لم تعد سوى
بهجة للحياة مع الجدران .

[الأخضر يترنح على شفا الجنون فى قهقهة صفراوية] .

نجمّة : (وهى تعدو نحوه) الأخضر !

[ولما كان الأخضر يوشك على الانهيار ، فإن نجمة تسنده .
إنها تساعد في الاتكاء على العربية . البائع ينام نوما
عميقا . الأخضر يعود إلى مناقشة نفسه في هلوسته] .

الأخضر : الرجال المتروكون يلقون فوقى بأيديهم المكبلية في
سلاسل مهولة تأتي ، على ما أرى ، من أجساد
تترصدها الفتانة ..

نجمة : لا أريد أن أسمع !
الأخضر : إننا جميعا في هذه المدينة التي لا يطبقها الأجانب ،
لا نطرد أحدا على الإطلاق . أى فاتح بوسعه أن
يطعننا مرة أخرى ويخصب بدوره قبرنا ، وهو يعلم
يتامانا لغته ، وهو مستقر في أمان مع نويه دون أن ترزعجه
احتجاجاتنا ، الاحتجاجات التي تصدر من العالم الآخر .
فلا أحد يمكن أن يسمعنا . وليس هذا من عدم
الصراخ .. إننا لم نكف عن أن ننادى بكل قلوبنا هذا
المنفى الذي نعيشه مكانكم ، فوق قبرنا ، أرضنا السليبية .
أمن الممكن أن تكون هذه خديعة ؟

نجمة : (تغلق فمه بيدها الممدودة) أنا لا أسمع ! أنا لا أسمع ! .
الأخضر : (وهو يجاهد ليعود وسط الجثث) : دعيني كروح
تقطع آخر روابط الأموات ، أخفى هذه العقول التي
تمزق بعضها في زهور تخالف أوانها فوق أرضها
المحرمة ، أوه أيتها الزهرة المضطربة قرب الرحيق المتقيأ ،
يا حزمة العقول المظلمة التي اجتازها في جماعات كل
هذا النحل من الرصاص الذي يستقر في رعوسنا .

نجمة : لا أريد أن أسمع ! .

الأخضر : انصرفي ، فلنفترق دون إجهاد قلوبنا القاسيين . إن الروح وحدها تكفى لعبور العالم ، مع أننا نادرا ما نتحدث عند النفس الأخير . إنني أصمت . إنك على طرف لسانى ساخنة تماما ، وأنا أجدف فى سكون لكى أبلغك فى سحبة جزر . صدرك كشعب البحر يوقف حركتى . إننى أسبح بالكاد ، بأذرع مقيدة ، نحو نعاس الكهف . والآن آتى لأرد لك الروح . إن الطوفان لم يعد يجذبني . إننى أفضل على النعاس هبة الكلام ، بشرط أن تسدينى . ولكن شواطئ جسدك ليست سوى مهاو ساحقة . إننى وأنا مصاب بجرح مميت ، أرسو؛ يكفينى أن أرفع صوتى حتى تصيبنى الخيانة.

نجمة : لقد بحثت عنك فى أعماق الكهوف ، وعرفت فى مصادقة القتلة صيد القنفذ . لقد كنت دائما تفقدنى .

الأخضر : نعم ، لقد أمضيت أيامى فى خندق ، أرصد أولئك الذين لا يسقطون فى فخاخك . كانوا يسيرون فوق صدرى ، وكنت أنت تتسنمين ، وكنت تمويئ عند رؤية شواربهم . فإذا صدر عنى رد فعل ، كان تمردك يجرفنى إلى مساقط جديدة يستغلها كل غريم فيفرض نفسه فى قفصى . وهكذا كان لابد لى أن أقاسمك رذائلك وأن أتخلى حتى عن العذاب .

نجمة : تكذب . ما هذا العذاب ؟

الأخضر : إن سوء التفاهم هذا يمنحهم كل أنواع الشجاعة . وأنا وحدى كنت أستطيع أن أبدد جهلهم . وكان المنافسون يهيجون ، وهم سيكون فى بعض الأحيان فوق لحدى . ولم يكن بوسعى أن أنسل منهم . ولا أن أواسيهم ، أنا الذى كان لا يزال يحمل مخلبك . وفوق ذلك فإن صوتى كان يثقل العبء ، بحيث أن أية لعنة كانت ترفع من قدرك .

نجمة : (حاسمة وشاردة) مجرد أزمة غيرة .

الأخضر : ولكننى لو كنت أبطلت السحر ، لكانوا قد رضوا بأن يرونى أهجر مضجك الفاتن ، ولأثارونى ضدك . عندئذ كانت تظهر لى قمة العذاب . ولكننى لم أشأ أن أبلغ مستوى ارتفاعك ، إذ أدركت أن الفراغ كان فى النهاية .

نجمة : أنك لم تشأ أبدا أن تتم غزوى . تذكر ذلك الصباح الذى هجرتنى فيه تاركا وراءك سخریات بدلا من الوداع .

الأخضر : فى ذلك الصباح كان الجنود فى المعسكرات ، على أهبة الاستعداد للتدخل، وكان المنظمون عندنا يجهلون ذلك . كنت أعرف فقط أن الشرطة ستأتى آخر الأمر . وكنت أنتظر رجال مكتب النظام ، وكانت الفرق الأولى قد تمت محاصرتها ، والشعب لا يزال يأتى إلى شارع الوندال . كانت لحظة الانتشار فى الشارع الكبير . وفى الليلة السابقة كان رجال الشرطة قد استقروا فى بعض المنازل . كنا جميعا متعبين . ومن إحدى الشرفات ، خرجت

الطلاقات جزافا ، كان الجمهور قد ضاقت حلقاته . وكنا نتخذ من كل شيء قذائف ، ولكن لم تكن لدينا أية حماية . ووصل الجنود فأسطلقوا النيران بعنف ، فإذا بى على الأرض مع مذاق قديم فى فمى ، فاقد السمع ، فاقد الإحساس ، ولكن عينى لا تزالان منفرجتين . ثم شرع الجمهور فى الرقص ، ولم تخرج من صدرى أية حشجة ، أو على الأقل لم أسمع حشجة صدرى كما لم أسمع حشجة الجرحى الآخرين ، فلقد كان هناك رصاص فى جسدى وضوضاء فى المدينة ، كان يلوح لى بكل بساطة أن الجمهور قد شرع فى الرقص . لم يكن هناك ما يدعو إلى الحزن . ومن جهة أخرى ، فقد كنت أحمل بعض السجائر . إن المستنقع الذى كنت أرقد فيه لم أكن أراه . كان الجو جميلا . لم تكن المظاهرة قد انتهت . كان يبدو لى أن الجنود من عالم آخر . أما رجال الشرطة فقد نسيتهم . ولكن الجمهور كان ينقص . عندئذ شعرت بضغفى .

{الحظة . ظلمات . شبها الأخضر ونجمة . طلاقات نارية . أوامر ، أنات . عويل من الجمهور الذى أسكرته مذبحة نفسها . جلبة . عراق . ضوء . المنصة خالية . البائع ، بمفرده يجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال . الوقت الليل . نجمة ومصطفى وحسن يظهران ، وهم يختفون من منزل إلى منزل } .

مصطفى : لا داعى للذهاب أبعد من ذلك . لن نعثر عليه .

حسن : لقد اختفى فى أثناء العراك الثانى .

مصطفى : (بلهجة قاسية) كان يجب الاعتناء به ، ثم حبسه فى المسكن . ولكن لا نتركه هنا .

نجمة : أنا لم أتركه ! فعندما سمعت طلقات النيران والصراخ ،

أخذته من ذراعه . كان متكئا هنا (نجمة تشير إلى

شجرة البرتقال) توسلت إليه أن يتبعنى . فلم يجب .

سمعنا بالقرب منا جماعة من الرجال المسلحين .

فتوسلت إليه مرة أخرى ، وصرخت فيه بأن يذهب إلى

أى مكان إذا كان لا يستطيع أن يتبعنى . لكنه كان

ما يزال يهذى ، وهو يحاول أن يقف على قدميه . وفى هذه

اللحظة ابتلعتنى الجماهير التى كانت تفر من الرصاص ،

وسقطت . ثم نهضت ، وسقطت مرة أخرى . كان

الرجال يتطاحنون من حولى ، وهم يقلبوننى فى طريقهم ،

كما لو كانت رغبتهم الأخيرة هى أن يسحق بعضهم

بعضا فوق جسد امرأة مجهولة .

مصطفى : (بلهجة أشد قسوة) نحن نعرف هذا جيدا : حتى

تحت الرصاص ، فإن المرأة تجد نفسها فى بؤرة النزاع .

بهذه الطريقة فقدت الأخضر . وذات يوم ستفقدين

أصدقاءه إذا لم يكن هذا قد حدث فعلا .

حسن : (ليحول غضب مصطفى) إن هذا البائع موجود هناك

دائما . فلا شك أنه قد رأى الأخضر .

البائع : [يقتربون من البائع . حسن يهزه دون مراعاة] .
(مذعورا) اللعنة على الكافر الذى أيقظنى . أوه ! عفوا .
لقد ظننتكم جنودا .

حسن : ألم تر الأخضر ؟

البائع : يوجد فى بلدنا رجال يدعون بهذا الاسم .

حسن : أنه صديق . الناس جميعا يعرفونه .

مصطفى : (حانقا ، وهو يقترب أكثر) ليس هذا وقت المزاح ،
أخبرنا إذا كنت رأيته .

البائع : كلا . لم أره .

مصطفى : حقا ، أولا تعرف رجالنا ؟ طوال الوقت فى الشارع
ولا تعرفهم ؟

البائع : (مفزوعا) أنا لا أعرف سوى عملى وأولادى .

مصطفى : ماذا تعمل فى هذا الشارع ؟ ألا تحدث أحدا ؟ .

البائع : أه ! يا إخوانى ، أنا لا أعمل بالسياسة . فما عسى
يفيد هذا ؟

مصطفى : هناك من يفيدهم هذا . الشرطة أيضا ، هذا يفيدها .

البائع : إخوانى ، عندى سبعة من الأبناء . أكسب قوتى بقدر
ما أستطيع .

أمن المحظور أن يكسب المرء قوته ؟ .

مصطفى : تعتمد على رجال الشرطة ؟ يتركوك تكسب قوتك ،
ماذا تعطيهـم فى مقابل ذلك ؟ .

حسن : سأخبرك بما تعطى لهم ، أتحب أن أخبرك به ؟

البائع : (وقد جن جنونه) إخوانى ، إن عندى سبعة من الأبناء . لو لم يكن الأطفال جياعا لكبروا بسرعة ، ولتحررت البلاد .

مصطفى : إذا كنا جميعا مرشدين ، فقد يكون هذا وسيلة للتخلص من الفاقة ؟

نجمة : فلنتركه . أنه ليس سوى عجوز ضعيف .

مصطفى : إذن وأنت نائم ، تقوم بهذه المهنة ، مهنة الكلاب ، (مصطفى يجلس القرفصاء بالقرب من البائع ويضيق عليه أكثر) تفكر طبعا فى الحاكم ؟ لديك أحلام مليئة بالأنين مثل أنين الكلاب ؟

البائع : (منبطحا) سامحونى ، لقد ظننتكم من الأعداء . كل إنسان يخطئ . كان صاحبكم مجروحا .

حسن : (وهو يقترب من الجهة الأخرى) إلى أى مكان لجأ ؟

البائع : (مشيرا إلى نجمة) هذه المرأة رأته . لقد تحدثا معاً بالقرب من عربتى دون أن يلاحظا أنى قريب منهما . ثم كانت المعركة الثانية . لم أر شيئا ، أقسم لكم أنى لم أتوان فى حزم أمتعتى .

[ظلام . طلقات متصلة من الجونج . ضوء . الكومندان يثرثر مع ضابط آخر ، وهو يشير إلى خريطة أفريقيا ، المعروضة على الشاشة] .

الكومندان : ... انظر إلى تاريخ " نوميديا " . إنها اليوم شمال أفريقيا ، مع فارق بسيط وهو أننا حللنا محل الرومان

فى مراكز القيادة . قديما ، لم يكن من السهل هزيمة
فرسان " نوميديا " . أما اليوم ، فلدينا الطيران والبلاد
مقسمة إلى ثلاثة أجزاء . ولكنها دائما بلد واحد .
لن ننجح فى ابتلاع سكانها ، حتى بعد أن نقلنا عددا من
المستوطنين لم يصل إليه عدد فى أى إمبراطورية أفريقية .
فى تونس والمغرب وهنا أيضا ، الرجال أنفسهم ينقلبون
ضدنا . أنهم يعاودون الهجوم متدفقين من القرون
الغابرة ، وهم يُقتلون فى المعارك ليظهروا من جديد ،
نوميديين يلوذون بالفرار ولكنهم يوحدون صفوفهم للقيام
بهجمات أخرى ...

[الضوء ينتقل جهة الأخضر المغطى بالتراب والكدمات ،
فى مواجهة مارجريت] .

مارجريت : هل هوجمت ؟

الأخضر : من العسير أن نقول ذلك .

مارجريت : لقد " فرملت " بالضبط أمام جسدك . كنت وحدى إلى
عجلة القيادة . لك حظ ... لقد " فرملت " فى الوقت
المناسب تماما . لقد تحركت أنت وسمعت أنا بعض
الكلمات الفرنسية ...

الأخضر : لا بد أن الأمر اختلط عليك . فقد كان هناك جرحى
آخرون .

مارجريت : كلا ، أنا متأكدة . كلماتك كانت غير مفهومة . لكنها
كانت بالفرنسية .

الأخضر : (خجلا) هذه نتيجة ذهاب المرء إلى المدرسة ...

مارجریت : ماذا تقول ؟

الأخضر : (مستدركا) لا شيء .

مارجریت : لقد تجشمت العناء فى نقلك . لحسن الحظ أنى

ممرضة . أحب أن أعالج الناس لكنها ليست مهنتى .

والدى لا يريد لى أن أعمل . يقول أن مرتبه يكفى . فى

باريس كنت أقوم أيضا ببعض الخدمات الطبية . أما هنا

فالوضع بالغ الدناءة ... المهم أننى أوقفت النزيف .

الأخضر : وأنا اشعر بتحسن .

مارجریت : إذا سمحت ، فإننى سأخطر والذى وسيطلب إحضار عربة

إسعاف .

الأخضر : تعتقدين أن والدك ...

مارجریت : إنه ضابط .

[الأخضر يذعر . مارجریت تحقق فيه باهتمام قبل أن

تستطرد بصوت خفيض] .

مارجریت : أنت أجنبى ؟ كلا . أنت عربى . أرى ذلك الآن ، وأنا

أنظر إليك من قريب . يبدو أن دمك عربى .

الأخضر : نعم ، دمى عربى .

مارجریت : (وهى تفكر) غريب ... الآخرون ، لا أستطيع أن أراهم .

أنهم قذرون .

يظنهم الناظر قملا . أنت لست مثلهم . تمدد فوق

سريرى .

الأخضر : سأنام عند رفاقي .

مارجریت : سأتركك . تنام فوق سريري .

[مارجریت تخرج . تدخل نجمة] .

نجمة : سامحني . أصدقاؤك يبحثون عنك . لقد رآك البعض تنزل هنا .

الأخضر : أنت أيضا ، تراقبيني ؟ هل أنا عبد أو طفل ؟

نجمة : من بعيد جدا تبعتك . ليست أنا التي ستقوم على

حراستك . لا تزال ترقد غارقا في نظرتك أنت ، لو صح

أن نسمى العنكبوت الذي يجري فوق جبينك نظرة . إنني

أقتفى أثرك بينما أنت تعميني وتضربني . أن روحك

القاسية تثقلني ، وأنا أرتدى الحداد ، ولكنك لم تمت

إلا من أجلي .

الأخضر : أبدا لا نفقده .

ذلك الحبيب الذي

تأتي لفحة جديدة

فتواريه التراب في غير وقته

محروثة بعيدا عن خطوط حقلتي

أقدم إلى نيرك الوحدة

وبغايي سيجعل هجراتك يزدهر .

نجمة : في أحشائي ذاتي

القبب بذرتي بلا عودة

وماأت ذا تسبده

سحابة تفجرت كان ماؤها منيتي

الأخضر : وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطاً بك

وأغمرك بفم مخيط

مفعماً بسحابك الممطر

وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطاً بك

أيتها الرفيقة التي لا يمكن التنبؤ بها ، أيتها الأرض التي

أرهمها قمحها اليابس الذي ألقى على الأرض عنوة .

نجمة : أنا التي رأتك والمنجل يقطعك .

الأخضر : ولكنني سأخرج من صومعة الغلال

ولن تعرفي بعد ذلك .

أى هجمة قديمة تغطيك

وسينسى

عريك

الشتوى !

أننى أسحب روحى إلى الموت الذى ينسى نفسه

فلتخلع ثياب عرسها

تلك الساحرة التي هى القدر

ولتهلك عذراء حول النيران !

ولتظهر دون جدوى

سقوطها الهادر

فى أعماق المغارات العرسية !
 الحب ، والموت والروح :
 ندم طمره الأسلاف
 الأسلاف الذين يفضحون حياتهم
 كوياء استعر فى زمن القحط
 فى معسكر عشاق مغمورين لا يستطيعون أن يتعرفوا
 على أنفسهم دون أن يحرقوا آخر عبراتهم فى صراع
 تشعر فيه روح الخصم أنها وحيدة ! .
 [يدخل حسن ومصطفى] .
 مصطفى : (مشيرا إلى الأخضر) هاهو ذا حى ، بل ويثرثر .
 الأخضر : انتظر . .
 [تدخل " مارجريت " ، مذعورة أمام المجاهدين] .
 نجمة : لا تخشى شيئا . سننصرف نحن .
 الأخضر : (متأثرا) إيه كلا ! لنبق معا (مشيرا إلى مارجريت)
 إنها من باريس .
 إن المرء وهو فى بيتها يشعر كأنه قد اجتاز البحر .
 مارجريت : سأغلق الباب .
 نجمة : (متأللة) لا تحملى نفسك كل هذا العناء .
 مصطفى : (بصوت من أتى ذنبا) العناء قد وقع .
 [خمسة كشافات تنتشر فوق المنصة . الكشف الأول
 يظهر بجلاء وجه الأخضر المتورم الذى تحدد فيه
 مارجريت ، وهى مأخوذة ، فى نور الكشف الثانى ،

كاشفة عن هذا الحب الجديد الذى تفتح بون علم
المصاب. الكشف الثالث يبين الإغراء العاجز لنجمة التى
تبدد نظرتها المريرة رقة الغريمة . الكشف الرابع
يتأرجح مع النظرة المزبوجة التى ينقلها مصطفى بين
نجمة والأخضر ، الأخضر الذى بدأ يكره ، ونجمة التى
تدفعه إلى اليأس الكامل . الكشف الخامس ينطفئ أولا
على حسن ، المنزوى قليلا ، منفردا ومتضامنا فى الوقت
نفسه . مصطفى ومارجريت ونجمة يدخلون بالتوالى فى
الظلام . الكشف الأخير ينطفئ على شفتى الأخضر فى
اللحظة التى يبدأ فيها الكلام } .

الأخضر : (رافعا الكفة) هل لديك شراب ؟ أعطنى أى شىء .
ستشربون معنا .

سيتم ذلك بلا ضغينة .

[مارجريت تحضر شرابا . يشربون فى صحة الأخضر]

حسن : جراحك ؟

الأخضر : كلها جديدة .

مارجريت : لقد نزف كثيرا .

نجمة : ستمليئنه كالقربة .

مصطفى : (غيورا) لقد أصبح فاقد الإحساس ، أشبه بتلك

الأشجار التى تمزقها مناقير اللقالق حتى العظام .

الأخضر : (وهو يميل فجأة ناحية مصطفى) اللقلاقة نفسها

(مشيرا إلى نجمة) تضربك بمنقارها . ولكنى مرتاح .

نحن إخوان . أن الغربان لا يمتهن بعضها البعض ...
والآن أخبرنى ، أين رجالنا ؟

[مصطفى ، مغموما ، لا يجيب . صمت . حسن هو
الذى يجيب] .

حسن : لم يعد سوانا فى المنطقة . لابد من إعادة تجميع الرجال .
منزلنا واحد من المنازل النادرة التى لم تهاجم ، الجرائد
تقول إن حالة الحصار لن تستمر . لكن الرجال المشتبه
فيهم ، بين الثامنة عشرة والستين ، أبعادوا عن المدينة فى
مواكب عسكرية ...

الأخضر : (مخاطبا مارجريت) فما رأى أبيك فى هذا ؟

مارجريت : (مفكرة) أنه يقوم بالتنفيذ .

مصطفى : نعم ، إن المستوطنين هم الذين يقررون . لقد توصلوا
فى باريس إلى أن تكون السلطة مقسمة إلى حد ما بين
المليشيا والجيش . والحاكم نفسه مشلول الحركة . من
الممكن أن ننتظر أى شىء .

الأخضر : هل نستطيع أن نقدر خسائرننا ؟

مصطفى : أنا لا أرى سوى ثلاث فئات : الضحايا ، الأسرى ،
الفارين . الأمر لا ينتهى أبدا . فى الجهة الأخرى من
القبر ، تتكاثر الظلمة الحالية . أنهم يحيكون بعض
المؤامرات ، مع أن فترة الإنذار قد انتهت .

الأخضر : بأيديهم هم سيقضون على انتصارهم ، خوفا من
العقاب .

مارجریت : لا تتعشمو أن تعارض باريس الجيش .

مصطفى : نحن نعرف سلطان المستوطنين . ذات يوم سيذهبون لإرهابكم فى فرنسا .

أنهم من الآن يتحرشون بكم ، ويخادعونكم ، ويسيطرون عليكم . إنهم مرتزقتكم الذين لا تقف قوتهم عند حد . سينقلبون ضدكم ، فى قمة العجرفة الذليلة .

مارجریت : (مذعورة) اخفضوا أصواتكم ... من مكتبه ، يسمع كل شىء .

مصطفى : من ؟

مارجریت : أبى !

[مصطفى والأخضر يتبادلان النظر . عند صيحة مارجریت ، الباب يفتح . يطير حطاما تحت حذاء الكومندان ، الذى يصصره حسن فى الحال وهو قريب منه . تنقضى لمحة ، مارجریت تتردد ، ثم تتخذ مكانها بجراءة وسط المعمة . تتخطى جسد أبيها لتقبض على الأخضر الذى يقاوم مذهولا] .

مارجریت : بسرعة ، لنحملهما كليهما . إن السيارة أمام الباب .
[مارجریت تحمل الأخضر ، الذى يكف عن المقاومة . يغادران المنصة يتبعهما مصطفى الذى يحمل جثة الكومندان . حسن ونجمة يظلان وحدهما] .

حسن : (وهو لا يزال تحت تأثير فعلته) إنه أبوها فعلا .

نجمة : لا يهمنى .

حسن : أنت مخطئة إذ تكرهينها . هي ليست سوى أجنبية ، مجرد فتاة مغتربة ، عاطلة ، كتبت عليها حياة الثكنات ، تخنقها روح طبقتها بالقرب من أب مجرد من الشفقة . إن وحدتها ألقت بها بيننا كمن تمشى وهي نائمة . إنها تنضم إلى الشباب كما ينضم المرء إلى العدو ، سائرة فوق دمائها ، دون أن تعرف أولئك الذين تختار معسكرهم ، وقد نزعتهما من عزلتها ضربة من ضربات القدر ...

نجمة : (عابسة) لا يهمنى .

حسن : ألا تشعرين بالغيرة ؟

نجمة : هيا ، أنت حمار ، بمسدسك هذا ... ألم تلاحظ ؟ أمامى ، كان الأخضر ومصطفى ييغض كل منهما صاحبه . وأمام هذه الفرنسية التأمت صداقتهما من جديد .

حسن : هكذا تترك غيرة الحب مكانها لإخوة السلاح .

[أظلام ، ضوء ، دقات جونج . جو مقهى أو بار حائل بالناس . نجمة تتكلم فى منتصف المنصة] .

نجمة : حان الوقت لأتحدث عما وقع عندما كان الأخضر يخرج من مرحلة الطفولة ، كان يبدو له عندئذ أنه خلق ليعيش فى بلد أجنبى لن أذكر اسمه ... لم تقع له كل هذه الأحداث إلا بعد أن انقضت سنوات عديدة على اختمار فكرة رحيله . كان أبوه يعيش فى مقهى ليل نهار .

والأخضر يتذكر أنه اصطحبه إلى هناك ، عندما حلت أوقات
فاقة تركت الناس بلا عمل . كان العمال والفلاحون وصغار
الموظفين وحتى المحامى ، لا يغادرون المقهى . كانوا
يشربون قليلا أو كثيرا . وكانوا يلعبون الورق أو الدومينو .
هكذا كانت تنقضى الأيام العصبية ، كان المحامى يقرأ
الجرائد ، وهو يفرك عينيه ، وكان الآخرون يطرحون رءوسهم
إلى الوراء للتأمل والتفكير . وكان والد الأخضر يريد أن
يستخفى عن الأنظار . كان يقول " إن الجرائد مثل عبارات
السحرة ، لا يستطيع الناس جميعا حل رموزها " ... وذات يوم
قامت الشرطة بعدة هجمات مباغته فى الشارع ، وأسرع
الجميع يلجئون إلى المقاهى والحوانيت ، والحمامات ،
بل وحتى إلى المحطة ... ودخل الأخضر المقهى ...

[نجمة تغادر المنصة . العمال والفلاحون وصغار الموظفين
والمحامى فى وسط المنصة . فى أقصى المنصة يوجد
مصطفى . الأخضر يتسلل نحوه] .

الأخضر : (الذى لمح زوج أمه ، يدمدم متذمرا) اليوم يوجد جمهور
كثير .

طهار : وبك يزداد واحدا .

الأخضر : أنا لا أبحث عنك ، يا أبى ، أنا لا أبحث إلا عن الهدوء .

مصطفى : اجلس ، أيها الرفيق ، احترم أباك قليلا .

[فى هذه اللحظة ، المحامى متوقفا عن قراءة جريدته ،
يطلق صرخة قصيرة] .

المحامى : انتهى الأمر ! لقد صدر الحكم على رئيس الحزب .
بعشرين عاما أعمالا شاقة .

الموظف : (غير مكترث) هاهو الأستاذ ييكى .

المحامى : ليس أنت الذى سيتحمل مهمة إمدادنا بالأخبار ...

الموظف : عفوا ، يا أستاذ ، ولكن طريقتك سيئة فى نقل الأخبار .

مصطفى : هل حكم عليه طبقا للقانون ؟ عفوا ، يا أستاذ .. كيف أدانوا الرئيس ؟

المحامى : (بلهجة الذى يفهم الأمور) القانون ، والمستوطنون ...
لقد أدين تماما .

الأخضر : وهاهو ذا بلا دفاع ؟

المحامى : ليست هذه أول مرة . سيموت فى السجن . لا أمل ، إذن ؟

مصطفى : يبدو لى ، يا أستاذ ، من كلامك أننا جميعا سندان إن عاجلا أو آجلا .

المحامى : آه يا بنى ، لقد فهمتنى ! إن القانون يهددنا على الدوام ،
وهو يشعركنا بهذا التهديد عن طريق مثل هذه الأحكام .

ومع ذلك فإن القانون لا يصيب الجماهير بتاتا . فطالما

نحن معا ، سيتركنا نعيش خاضعين . أما إذا تراءى

لسوء الحظ لأحد الساخطين أن ...

طهار : برفاقو ، يا أستاذ ، علمنا ! .

الأخضر : هل تعنى أن رئيس الحزب كان الوحيد الذى تمرد ، وأنه

يرتكب دائما الخطأ نفسه دون أن يستطيع إقناعنا ؟ هل

تعنى أننا لم نتبعه حتى النهاية ؟

المحامى : نعم ، يا بنى ، أنت أيضا تفهم ، أنا أرى أنه من غير الحكمة أن يخرج المرء من شعب جائع ، جاهل مثل شعبنا ، لكى يسقط من تلقاء نفسه تحت وطأة القانون . إنكم ترون جيدا أن هذا التعس قد خذل نهائيا . إن إدانته لا تؤدي إلا إلى زيادة إرهابنا . ولا عمل لنا إلا أن نقاسى من الهجمات الفجائية دون أن يكون لنا شأن بها ..

الأخضر : برفو ، يا أستاذ ، لا بد وأنت عرفت كثيرا من القضاة . إنك تتحدث عنهم بحكمة .

القاضى : (فى تواضع) منذ عشرين عاما وأنا مقيد فى سجل القضاء ...

الأخضر : أننى أفكر فى ذلك الرجل الذى أدانوه منذ قليل . هو أيضا مسجل فى سلك القضاء منذ عشرين عاما ، ولكن فى الجانب الآخر من المحكمة ... هل تفهم يا أستاذ ، هل تفهم ؟

المحامى : (تأثرا) نعم ، لقد عرفت كثيرا من القضاة .

الأخضر : هل عرفتهم رجلا لرجل ؟

المحامى : بالتأكيد ، فمنذ عشرين عاما واسمى مسجل ..

الأخضر : إذن فقانونهم ليس بعيد المنال ... يكفى أن يسجل المرء نفسه فى سلك القضاء . إنك تغرينى بأن أفعل ذلك .

المحامى : (مغيظا) لقد فات الآوان ، أيها الشاب ، لكى تتم دراستك ...

الأخضر : اقتربوا ، اقتربوا جميعا ! الجميع يستطيعون هنا أن يسجلوا أسماءهم بسلك القضاء . ولكن ذلك سيكون فى الجانب الآخر من المحكمة لأن القانون سيغير معسكره . يا أستاذ ، إن الحكم عليك سيكون خفيفا ...

المحامى : الله فى عونكم يا أبنائى . سأذهب لأرى إذا كانت الجريدة قد وصلت .

(المحامى يخرج ، تشيعه الفرحة العامة) .

مصطفى : إن الأستاذ لا يجب حماستنا .

الموظف : إنه رجل حر ، ولكن لديه بعض الهموم .

عامل : إننى أفضل رأسى ، رأس العبد .

الأخضر : (مخاطبا مصطفى) حان الوقت لكى نبدأ ...

مصطفى : (ساحبا مفكرة من جيبه) فتحت الجلسة .

[فلاحون وعمال يقتربون فى صمت . طهار يظل بمفرده عند منضدة الشراب]

الأخضر : (مخاطبا طهار) سنبدأ عندما تنصرف أنت .

طهار : (مخاطبا صاحب المقهى) معهم ، ستصبح ثريا .

[طهار يخرج ، تتبعه حفنة من صغار الموظفين .

الاجتماع يبدأ بجلبة طفيفة . ثم يسمع جزء من البيان الذى يبدأ بصوت خفيض ، جاذبا الانتباه]

مصطفى : ... زنزانتهم ليست زنزانتنا : إنها لن تكفى لعزل مساجيننا . لابد من تنظيم الحجرات المشتركة ، رغم وجود المحكوم عليهم بمقتضى القانون العام ، وألا يقبض

علينا مباغته ، وإنما يجب أن نتسلل إلى السجون ، بخطة تحرير شامل ، تضم حتى نصوص القانون العام ، لأنه ليس لنا أن نحكم على الذين فى الطرف الآخر من سلاسلنا .

[الأضواء تنطفئ واحدا واحدا ، بينما المجاهدون ينهضون ويذهبون كل إلى وجهته . الظلمة تقع على ظلى الأخضر ومصطفى المعروضين على الشاشة . قضبان السجن الحربى فى نقطة كبيرة ، بالداخل ، الأخضر ومصطفى وحسن مجتمعون فى الزنزانة نفسها . المشاهدون يتعرفون على وجوه المسجونين الثلاثة ولن يروهم طوال المشهد ، لكنهم سيسمعون أصواتهم الواضحة التى ينقلها مكبر للصوت . أمام القضبان ، فى لقطة كبيرة ، وعلى جانبى الشارع الذى يفضى إلى كوة الزنزانة ، يقف كورس الجمهور فى صفين يطفى كل منهما على الآخر . شخصيات الكورس ليست رمزية فيما عدا مارجريت ، الباريسية ، التى تتميز عن المجموعة بأناقتها ، وخطواتها ذهابا وإيابا التى تتسم بالكآبة وسط الشارع ، لأنها تنتظر وحدها أخبارا عن الأخضر ، بينما الجمهور منصرف إلى مشاغله ، يتنزه أو ينفس ، كل هذا فى نوع من التركيز الفكرى اللازم لسماع الثلاثى المسجون] .

حسن : لن يطلقوا عليك النار . مجرد مسرحية لإرغامك على الكلام .

الأخضر : أخبروني بأن هذا سيكون غدا ، فى الساعة الواحدة . كان يبدو أنهم ينتظرون إجابتي .

مصطفى : هل كانت قاسية معرفة هذا الخبر ؟ أكثر قسوة من التعذيب ؟

الأخضر : بمجرد أن سمع الحكم .

لم يعد الزمان سوى ذكرى إعدام مقبل .
من تلقاء نفسها توقفت الأسلحة .

فى خريز شلال تحت الأرض .
لا تطفو عليه سوى أيام الشتاء الأخيرة .
إنها ذكريات مدرسية ...

مصطفى : كنا معا ...

الأخضر : ... فى الشتاء نفسه ، مصطفى وأنا ، خالطين جماعتينا المتنافستين ، كدليلين يقظين ، عند مغادرة المدرسة التى كنا أيضا أول من يبلغها .

مصطفى : كنت أفكر فى ذلك ، كنت أفكر فى ذلك حتى هذا الصباح .
والآن سركت : لم يدرك أحد أن ...
نكتشف لأنفسنا ذاكرة مشتركة ، قبل أن نقدر عمقها المعادل حتى لا يخطر ببالنا أن أحدا سيكون هنا دائما .

الأخضر : لذلك ، وأنا أفكر فى أيام الشتاء ،

أشركتك فى السقطة القادمة .

عند الخروج من المدرسة ، زمن التدافع بالأيدي
عندئذ كنا نجهل الحكم الصادر من الأعداء

أما الآن

فإننى أشعر بدمائى تتدفق
لرؤية رجال لم يتغيروا . منذ الطفولة ،
وأنا أنظر إليهم على أنهم أعداء . كانت الكراهية تخنقنى
منذ ذلك الحين ، الكراهية والحاجة
لأن أصادفهم يوما وجها لوجه
لكى أعلم إذا كانوا حقا قد هزمونا .

مصطفى : منذ الطفولة ونحن نعلم أنه يجب أن نهزمهم ، ومنذ
استطعنا أن نجرى أخذنا النبال ولذنا بالأدغال
ولم يُجدهم شيئا أن يعلموا بضرباتنا قبل وقوعها . ولم يغنهم
شيئا أن نهلك نحن بدلا منهم ... إن قبرنا سوف يخصص
لهم أبدا . سيتساقطون مثل الذباب بتأثير غيابنا فقط .
كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟

[قسما الكورس يرددان كل فى دوره]

" ... كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟ بتأثير غيابنا فقط
سيتساقطون مثل الذباب . كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟ "
[وهكذا فإن صوت السجين انصرف متجها إلى كورس
الجمهور الذى يردده فى صدى ، مشيرا فى نهاية هذه
الفقرة إلى السجناء وجلاديه فى الوقت نفسه ، بينما
نهاية الفقرة كانت تتضمن معنى واحدا فى فم مصطفى
ولا تشير إلا إلى الجلادين . صوت الأخضر يلى صوت
الكورس على الفور]

الأخضر : ترى هل قرب الموت يجعل غضبنا أكثر هولا ،

ترانا نعيش أحلام طفولتنا الحربية

أهى الحرب يا ترى أم هو حلم ؟

منذ مائة عام وهم يجردوننا من السلاح .

لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به إلى الصيد ...

قسما الكورس : (وهما يرددان نهاية هذه الفقرة كل فى دوره) -

" لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به إلى الصيد ... منذ

قرن وهم يجردوننا من السلاح . أهى الحرب يا ترى أم

هو حلم ؟ "

[الصمت يحل ، وصوت حسن يعود فى هدوء]

حسن : (فى دمدمة) ألا تستطيع أن تنام قليلا ؟

مصطفى : النعاس لم يعد من طبيعة هذا العالم

بالنسبة لمن سيرى الفجر العارى تماما

كعاشق يتحدى الليل سباقا ...

قسما الكورس : (وهما يرددان كل فى دوره) كعاشق يتحدى الليل

سباقا... بالنسبة لمن سيرى الفجر العارى تماما ،

النعاس لم يعد من طبيعة هذا العالم .

حسن : (فى صوت واحد مع مصطفى ، فى ثنائى يعيد جمع

قسمى الكورس الذى يلزم مارجريت)

ونحن رفاقه فى الزنزانة

نسهر على نفس الأخضر المتعجل دائما ،

نفس الأخضر الذى يعوزه الزمان والمكان ،

ها نحن نتعثر أمام نظرتة ،
مبهورين فى خلية المعدن المتأجج الذى يخترقه
لحظة الارتقاء

حيث رأسه يجتذب الصاعقة
ويجعل البنادق تخر وتنحنى

[عند نهاية هذا البيت الأخير ، صوتا حسن ومصطفى
المختلطان يشكلان ثنائيا يعيد الجمع بين قسمى الكورس
حول مارجريت . الكورس كله يردد عندئذ الفقرة كلها ،
مخاطبا مارجريت الصامته . ثم يقوم الكورس بسرعة
بغزو السجن ويظل مختفيا عن الأنظار بينما مارجريت
باقية وحدها فى الشارع . ويعود صوت الأخضر من
جديد]

الأخضر : شعورى يزداد بالظلم الشامل

الآن وقد أصبحت أقل كلمة
تزن أثقل من الدمعة

أرى بلدى ، وأرى أنه فقير

أرى أنه ملئ برجال هوت رعوسهم

وهؤلاء الرجال أراهم واحدا واحدا فى رأسى ،
لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير وراءهم .

[الكورس كله وهو لا يزال خافيا عن الأنظار ، يردد هذا
البيت الأخير :] "لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير
وراءهم " !

[بعد فترة يعود صوت الأخضر من جديد]

الأخضر : فى كل عام ، لدى كل موجة عميقة

لأشباحنا المطعونة عبثا

تكون الغطسة نفسها فى الصخرة

يكون هلاك جديد

دائما ما يطول الحزن عليه

ولكن قلما تنوح أرواحنا

لأننا نمسك الزمن جريحا بين أسناننا

كمثل الكثيرين من المفكرين الشبان

المغمورين فى المعابد .

لأنه من وراء الأنصاب تصلنا

ألوان من العذاب خطيرة

تعكر صفو موتنا فى ينبوعه .

[فى هذه اللحظة تهل مجموعة من الجنود وتنسل داخل

السجن . يخرجون منه حالا ، قابضين على ثلاثة

مجهولين يعدمون رميا بالرصاص بطريقة رمزية فى

الشارع على ضوء كشاف يدل على بزوغ النهار .

ثم يغادر الجنود المنصة . ويخرج الكورس من السجن

لكى ينفذ ، بالحركات ، الجثث الثلاث . الكورس ، وهو يترنم

بالدعاء للموتى ، ينتظم فى صفين على جانبي الشارع

كسابق عهده ، حول مارجريت ، التى لا تزال فى

الانتظار . فى أثناء هذا الوقت يكون الكشاف قد كف

عن إرسال ضوئه على المعدمين الثلاثة لكي يعلن حلول
الفجر للأخضر ، الذى يبقى الآن وحيدا]

الأخضر : لقد حان الوقت . فليتركونى لأرى النهار

حتى لو لم يكن هناك إلا الوقت لطرد الأفكار السوداء ،
هذا هو الوقت الذى لا يكون للمرء رأس فيه . غزو
مفاجئ ، كل ما كنت أسعى إليه كان يسعى إلى !
ها نحن تحت الريح المضادة ... محكومون بغليل لا يشفى .
قسما الكورس : (يرددان كل فى دوره) : هانحن تحت الريح المضادة ...
محكومون بغليل لا يشفى .

[ضابطان يدخلان السجن . من المنصة نسمعهما وهما
يعذبان الأخضر]

الضابط الأول : سينفذ فيك حكم الإعدام وأنت فى زنزانتك .

[صراخ الأخضر . الكشاف الهائم يسمح جدران السجن ،
بينما قسما الكورس يرددان بطريقة حزينة]

الكورس : " وأنت فى زنزانتك سينفذ فيك حكم الإعدام ، سينفذ فيك
حكم الإعدام وأنت فى زنزانتك "

[بعد صمت طويل ، نسمع الضباط يعاونون الاستجواب]

الضابط الأول : انظر إليه . ما أغرب نظراته ! ... أنا لم أر هذا إطلاقا .
الضابط الثانى : (مخاطبا الأخضر) لاحظ جيدا أننا نفعل هذا كمجرد
شكليات . إن الرئيس ينوى أن يعدمك . هيا ، تكلم !
الأخضر : (صارخا فى مكبر الصوت) أهذا هو إعدامكم ؟ أهذا
هو ؟ عليك أنت أن تتكلم . هيا تكلم !

[رئيس الشرطة يدخل السجن بنوره . إنه ضابط بلا زى
رسمى . عند دخوله يسمع الأخضر وهو يصرخ بأعلى
عقيرته . صمت . ثم نسمع نهاية الاستجواب]

رئيس الشرطة : إذن ، أَلَمْ تنتهيا منه بعد ؟
الضابط الأول : يبدو أنه فقد صوابه . إن أعمال التعذيب فى شخص
على شاكلته ، مع احترامى لسيادتك ، لا تفيد شيئاً .
إنهم متعودون على ذلك .

الرئيس : إنه مقضى عليه بالهلاك . سيظل يشاهد رؤى طول حياته .
سوف يصرخ كالممسوس . فليعد إلى أصدقائه . فليعد
إلى أمه . عندما يروته سيفهمون .

[الأخضر يغادر الزنزانة لى حرس . يترنح فى الشارع
الغايص بالناس ، بين قسمى الكورس ، أمام الشبح
الرمزى الذى يمثل العدو : إنها مارجريت التى يرهقها
الكورس المتجمع بالتهكم والسخرية]

الكورس (وهو يشير إلى مارجريت)

هاهى الباريسية

روح المدينة المفتوحة

ابنة الجلال

باقة المدومين الشنيعة

هاهى الباريسية

الأليفة البسيطة الساذجة

الجاهلة

القاسية

ابنة الجلال

إنها تأخرت ، تأخرت كثيرا .

فى اللحاق بمعسكر الضحايا .

هاهى الباريسية

[الأخضر يمسك مارجريت من ذراعها . ولما كان

الكورس يواصل دمدمته فإن الأخضر يرد عليه ، وهو

يسحب مارجريت]

الأخضر : (مشيرا إلى مارجريت)

لقد تأخرت ، لقد تأخرت كثيرا

فى اللحاق بمعسكر الضحايا

أبدا لن أحبها أبدا

لكننى أسفت عليها دائما

[المظهر العادى للشارع . باعة . نسوة محجبات يتسوقن .

الأخضر ، زائغ النظرة . البائع أمام . شجرة البرتقال]

السيدة : هاهو الأخضر ! بلحمه وعظمه . ويقولون إنه مات .

البائع : برتقال حلو

برتقال مالح

برتقال نصف حلو ونصف مالح

بالواحدة ، بالكيلو . برتقال !

السيدة : برتقالتين .. يا رجل ! زنهما ! أنت تفضل البيع

بالواحدة .

البائع : (مراوغا) إذا كان الأخضر هو الذى يدفع ...
الأخضر : (الذى سمع من بعد غير قليل) . إيه ؟ ماذا ؟
السيدة : (مخاطبة البائع) خذ نقودك .
الأخضر : (وقد وصل قريبا من العربية) ماذا تريدان منى ؟
السيدة : (بصوت خفيض) اتبعنى ، يا الأخضر ، سأعيد إليك صوابك .

الأخضر : (وهو مازال شاردا) لم أسمع .
السيدة : (وهى تمسك الأخضر من يده) هيا بنا .
[يبتعدان]

السيدة : من أنا فى رأيك ؟
الأخضر : أختى ، أو أخت شخص آخر ، لا يهم .
السيدة : ماذا حدث لنجمة ؟
الأخضر : (وعيناه مرفوعتان إلى السماء) فيما مضى كانت الدب الأكبر . بعد ذلك نمت . كيف يمكن أن نميزه فى وضع النهار ؟

السيدة : (فى حزن) هأنت ذا قد تغيرت كثيرا ... (على حدة)
كنت أفضل أن أجلس على نصبه ، بدل أن أراه يتعثّر كالأعمى أو كالمجنون . اللهم أنزل الليل عليه ...
[جميع الأضواء تنطفئ لحظة . عندما تضاء من جديد ، يتضح أن المرأة المتشحة هى " نجمة " . الأخضر اختفى فى الكواليس . نجمة هذه المرة فى صحبة مارجريت وطهار]

طهار : (فى أشد حالات السكر) اليمام يؤكل صغيرا ونيئا .
نجمة : أيها الثعلب العجوز ذو السحنة الكريهة .
لست أدري ما الذى يمننى من تحطيم أسنانك .
لا شئ سوى ضربة بسوارى .
تعالى ، يا مارجرى ، هذا الرجل لا يعننى فى شئ ،
مع أنه سبب شقائى . لا تردى عليه التحية .
[بينما المرأتان الشابتان تنسحبان ، يظهر الأخضر الذى
يذهب رأسا إلى نجمة]
نجمة : (مرتعدة) تعالى ، يا مارجرى ! لنرحل !
الأخضر : عفوا ، يا أختاه ، إلى أين تذهبين ؟
(وهى تحول عينيها) إنه مجنون ! لا أريد أن أراه .
[فى هذه اللحظة ، طهار الذى كان مستخفيا فى أقصى
المسرح ، يقترب خلصة]
طهار : (منفجرا) يا للسماء ! لقد أطلقوا الأفعى !
[طهار ينقض على الأخضر ويطعنه . المرأتان والقاتل
يهربون فى اتجاهات مضادة . الأخضر يترنح متجها
إلى شجرة البرتقال ويظل متعلقا بها حتى لا ينهار .
الجمهور ينتشر حوله]
رجل : (مشفقا) شقى آخر يولى ...
الأخضر : (وهو لا يزال متعلقا بشجرة البرتقال) إيه يا رجل !
أتبكى لأن الثورة تحطمت ؟ لا تبك .
رجل آخر : أهلى جميعا ماتوا محروقين . المنزل أصبح رمادا .
هذا العام يبدأ وينتهى بالشر ...

الأخضر : (وهو يكافح الهذيان) سننام معا ، عندما تتركنى
الشجرة أسقط .

سيدة : كان لى ولد اسمه فقط بغيض على ...

اسم الولد التائه ، وقد ارتد حتى عضوى الحساس وأنا
فتاة ، هذا الاسم يزداد ثقله فى أحشائى .

أكثر من الوقت الذى كان ينام فيه فى مأواه
قبل أن يفصل عن الكرة الجسدية ،

مضطرا إلى النزول إلى الأرض

فى هذه الصحراء التى يسد فيها رmqه من فمى ،

وإننى لأبغض حتى الاسم الذى يطلقونه عليه

لينزعوه مرة أخرى من عضوى الحساس ،

وإننى لم أعد أرصد سباق السنين

برغبة السعادة القديمة

أنا التى فقدت ثلاثة فصول من أربعة

لكى تنجب وحشا هاربا .

[الجمهور يشكل كورسا ينتظم على جانبي الشارع ،

الرجال والنساء يقفون فى مواجهة بعضهم البعض

ليشكلوا قسمى الكورس . النساء فقط يرددن فى صوت

واحد الفقرة السابقة وقد قمن بالصراخ والعيول الذى

تقوم به الأمهات . السيدة التى كانت قد تحدثت إلى

الأخضر تواصل سرد أسرارها التى ما زال يرددها فى

صدى حتى الآن كورس النساء]

السيدة نفسها : (مخاطبة الاخضر) وما إن شب عن طوقه حتى رحل إلى فرنسا ، ولكننى أعلم أنه عاد ... أنه لا يقوم بزيارتى أبداً ، وهو يصر على أن يعيش فى الشارع مثل قاطع الطريق .
[هنا صف النساء لا يكرر سوى نهاية الفقرة ، لكى يوسع مدلولها الاصلى . كل سيدة تخاطب الرجل الذى يواجهها ، وتشركه فى اللوم الذى وجه منذ قليل إلى الأخضر]

كورس النساء : (مخاطبات رفاقهن من الرجال) ... إنكم لا تقومون بزيارتنا أبداً وتصرون على الحياة فى الشارع مثل قطاع الطرق .

[الأخضر ، وهو مازال متعلقا بالشجرة ، يرد على اللوم الذى وجه إليه بمفرده من قبل]

الأخضر : انصرفى أيتها المرأة التعسة ، لديك كل الوقت الكافى للبكاء .
الزوج والابن بالنسبة لك ليسا سوى شخص واحد :
لقد مات هذا وذاك ،

قبل أن تنشق الأرض لسقوطك ،

لأنه مازال هناك زوج أم

لكى ينغص عليك ترمك

ويلحق يتيمك .

السيدة : (هى تقترب من الاخضر) ماذا تقول ، يا ولدى ، ماذا تقول ؟ أمن الممكن أن يكون سرى هو شرك أيضا ؟
أم ليس الأمر سوى هذيان وهواجس ؟

الأخضر : عبثاً أتحدث عن نفسي فى الماضى ...
السيدة : (وهى تقترب أكثر) هل الأخضر مات ؟ لأن الحداد
هو ميزتى ، وأنا أوجه عند كل احتضار هذا السؤال
القاسى .

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئتك .
أنا آخر الفلاحين
لست أدرى ما الذى يقيدنى
إلى شجرتى المضحى بها
أهو الرجل الذى كنته
أم الخنجر الذى يحل محلى
[هنا قسم الذكور من الكورس يخاطب صف النساء
مكررا بداية الفقرة السابقة]

كورس الرجال : (مخاطبا النساء)
أبدا لن نستطيع أن نطمئنكن
نحن آخر الفلاحين
لا ندرى ما الذى يقيدنا
إلى أشجارنا المضحى بها ...
[الأخضر يكرر هنا كل الفقرة التى يختمها إلى أمه التى
تثبت شخصيتها الآن : المرأة التى اقتربت منه]

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئتك
أنا آخر الفلاحين
لا أدرى ما الذى يقيدنى

إلى شجرتى المضحى بها
 أهو الرجل الذى كنته
 أم الخنجر الذى يحل محلى
 ماذا عساها تجنى هنا أرملة أبى
 حين تعلم أننى قتلت
 بيد الزوج الثانى الذى لم تختره ؟
 هل رأيت الأفاعى التى تسعى إلى اللذة
 وهى تعض بعضها البعض وسط التبن ؟
 هكذا ذاكرتى
 تتحرك خلال القتل والمنفى
 وهذا الخنجر الذى يدفعنى إلى الشجرة ،
 هو الانبهار الذى يستهوى العقرب الشاب ؛
 أنا المطوق فى دغل منبتى ، لا أدين بشئ لزوج أسمى .
 ولا حتى بالاغتيال ، ولا حتى بمنة القربان
 لأنه أبعد من أن يكون إبراهيم الخليل ، وأنا لست سوى قط
 علقت بهومة فوق أوهى غصن
 لا أنتظر إلا أن أسقط منه لكى أعمى الطائر النهارى
 فى ورق الشجر الذى يظن أننى غاف فيه
 [قرع طبله . الجمهور الهائج يخلى المسرح . لا يبقى
 سوى الأخضر الذى لا يزال متعلقا]
 صوت الكورس : (متشتتا من بعيد)
 أيها المجاهدون من حزب الشعب !

لا تغادروا ملاجئكم !
ساعة المعركة لا تزال بعيدة .
أيها المجاهدون من حزب الشعب !
[مصطفى وحسن يدخلان المسرح وهما يتحادثان]

مصطفى : فلنرحل . فلننسحب إلى الجبال .
حسن : الفلاحون سيقدمون لنا المأوى .
مصطفى : هيا نعد تشكيل قواتنا .
حسن : سنغزو أكثر إصرارا وعنفًا .
مصطفى : (متوقفا عن الحركة) . توقف ... أليس هذا هو الأخضر ؟
[يشير إلى الشجرة]

حسن : إنه هو ، دون أدنى شك ، مصاب مرة أخرى !
الأخضر : سلام عليكم ، سلام ! لا ترحلوا دون كلمة واحدة ، كمن
يتركون ميتا .

... على الأقل اتركنا لى تبغا .
مصطفى : لا يمكنك أن تظل على هذا الوضع . (يسير نحو الشجرة ،
يتبعه حسن) سنقوم بحملك .

الأخضر : (بلهجة عنيفة) ابقيا حيث أنتما ! (صوته ينهار .
يستأنف بصعوبة ، دون أن يخفض نبرته) لم أعد أشعر
بالخنجر . إننى أكاد أتوهم أنه مغروس فى الشجرة .
إننى كالدرع أرن فاقد الإحساس ، منذ أن أخذنى الموت
من كتفى ، فى هدهدته التى لا ترجى . أبقيا حيث أنتما
! إذا أردتما إخراج الخنجر فلا بد أن أدير لكما ظهرى ،

ولابد من ترك هذه الشجرة ، فى حين أننى أفنى لأحميها
من الجليد .

مصطفى : أنت تقف على قدميك ، فى هذا الشنق الإرادى ، لكنك
ترفض أن تتقدم خطوة إلى الأمام !

الأخضر : سل الشجرة . سلها إذا كان بوسعها أن تسير ،
أو إذا كان يجب على أن أبدأ السير .

مصطفى : إذن سنقوم بحملك .

الأخضر : لا تُحمل سوى الجثث . اذهبا واتركا لى تبغا ! ...

[قرع الطبول]

[صوت الكورس من بعيد ! أيها المجاهدون من حزب

الشعب ! ...]

· [مصطفى وحسن ينصرفان عن الصديق المحتضر]

حسن : فلنتركه . عبثا يناضل مع جثته . كيف يستطيع أن يتبعنا ؟
أجل ، فلنتركه . إننا فى نظره لسنا أكثر إقناعا من
الأشجار ، أنه يناضل مع جثته .

[حسن ومصطفى يتفرسان طويلا فى وجه الأخضر

الكئيب ، الذى يقطع الصمت فجأة ، فى اللحظة التى

يغادر فيها حسن ومصطفى المسرح فى ببطء ، كما

لو كانا يشيعان جنازة غير حقيقية]

الأخضر : وداعا ، أيها الرفاق ، ما أقطع الشباب الذى عشناه !

[هنا تدخل أم مصطفى ، باحثة عن ولدها الذى رحل إلى

المنفى . تتلمس طريقها أمام الشجرة دون أن ترى

الأخضر . ترتدى القميص الأزرق الخاص بمستشفى الأمراض العقلية . شعرها الذى لا يكاد يخطه البياض منتصب، فوق رأسها . نظرتها الزائفة لا تتوقف عند شيء . هيكلها المتكسر وحركات المفاصل تملأها علامات الانوثة . صوت الطيور المشنومة يتخلل هذيانها فى بعض الأحيان . تنطق كلمة " مصطفى " ! بصوت مختلف دائما ، وكأنها تستطيع من خلال هذا الاسم الذى تنطق به فى عبارة سحرية ، أن تمسك صورة ولدها المتبددة [

الأم : مصطفى ! مصطفى ! (صياح الطيور) مصطفى !
الأخضر : إنه لا يزال هنا . ينتظرني فى هذا العالم ، وأنا أنتظره فى العالم الآخر . إننا نقضى حياتنا يودع كل منا صاحبه .

الأم : (وهى لا تزال فى حالة تنويم مغناطيسى) مصطفى ! مصطفى !
(صياح الطيور)

الأخضر : (مرددا كالصدى) مصطفى !
[صياح الطيور المشنومة ، ينتهى بتغريد الربيع . المجنونة تجمع حواسها مطأطأة الرأس ، ثم يرتفع صوتها ، خفيفا ممزقا ، فيرده كورس النائحات الذى يستخفى عن الأنظار]

الأم : (وهى تجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال التى تسند الأخضر)

فوق مقعد المستشفى الكبير

أنا المجنونة الهاربة
أرملة مؤجلة ، وأم فى المحجر الصحى .
[هياح الطيور يصدره كورس النائحات ، الذى يكرر
الفقرة السابقة ، ثم يستأنف الحوار بين الأخضر الذى
يحتضر وأم مصطفى]

الأم : (وهى تتابع سيرها المتعثر حول الأخضر)

تركت اللبؤات يكبرن
دون أن أستطيع تمشيط شعورهن
الطيور نباتتى بذلك !
لا بد أنهم ذبحوا الولد
وقصوا للبنات شعورهن
فى ذكرى الأم المخبولة
والطيور وهى تقفز ، تسخر
تسخر منى ، تسخر
من الابن الذى ينتظرنى فوق المقعد
فوق مقعد المستشفى الكبير .

الأخضر : إنه كان ينتظرنى أيضا

فى المكان الذى تهذى فيه أمه
دون مراعاة لمشغقتى الخضراء
ودون كلمة ، وكذلك هجرنى
ليحتضن أشجارا أخرى
هكذا نجومنا تتتابع

نساء ورجالا ، أجسادا ومتاعا .
 لا شىء يقاوم الرحيل
 وأم شخص آخر أصبحت أُمى
 فى هذا الهجران الثلاثى المنحوس !
[كورس الرجال المستخفى عن الأنظار يكرر من بعيد]
الكورس : الليل يهبط ، وعالمنا كله ينحنى
 على نافذة العدم !
 فلنمسك عن قذف المجنونة بالحجر
 هى التى نهضت لتغلق النافذة
 ولذلك فإن عينيها تالفتان .
الأم : (وهى تسقط وتنهض فى فرارها)
 الليل هو سبب سقوطى
 والطيور تسخر
[مكبر الصوت يصيح معلنا : " صدمة كهربائية ! صدمة
كهربائية ! صدمة كهربائية ! بينما تضىء الشجرة
بلمحة من صاعقة ، وفى الوقت نفسه يسمع صياح
الطيور المشنومة]
 تسخر منى ، تسخر ...
[بينما أم مصطفى تقفز إلى خارج المسرح ، الكورس كله
يردد]
الكورس : هكذا نجومنا تتتابع
 رجالا ونساء ، أجسادا ومتاعا .

لا شىء يقاوم الرحيل
[الريح تأخذ فى الهبوب ، بينما الأخضر يتشبث
بالشجرة ، فى محاولة أخيرة]
الأخضر : دون مراعاة لمشنتقتى الخضراء
فيض من الرجال ، وفيض من النساء قد مروا . موكب
حزين فيه الموت هو الذى يسهر ويتابع الغائبين
[الضوء ينطفئ . الريح تهب أشد قوة . إنها ريح الموت .
البائع وعربته يدخلان المسرح ، وقد سلط عليهما ضوء
خافت . الأخضر والشجرة دخلا فى الظلام]
الأخضر : كل العقوبات عقوبات قصوى
بالنسبة لمن يبلغ المركز ،
مركز القدر .
هنا هبت ريح تلخصنى ، ولسانى الذى فسد أخيرا مع
النباتات المائية سيفغذى الفضاء المترامى .
هنا يجب أن نتقياً كل شىء
الآلام ، الهموم ، الأوهام ، والعلوم
وكمثل المحيط يجب على أن أُلْفَظ كل شىء
دون أن أحتفظ بلؤلؤة ولا جثة
ولا بد لى من أن أنتقل إلى الاعترافات
إذا أردت أن أرحل إلى الخواء
إلى الطرف الآخر من المصير
حيث لا يدخل قناع مأساة

ولا جمهور ولا عابر سبيل ،
إلى قلب الارتفاعات العفيفة الطاهرة
حيث القبلة تفيض فى نجمة
حيث عرف الطائر يبدأ فى عقبه
حيث العلم يكون بارقة مخلصه
والحب ليلة واحدة بلا ذكرى .

[ظلام . ضوء . دقائق جونج متصلة . البائع نائم تحت
الجدار . الأخضر مستند إلى الشجرة]

الأخضر : إيه أيها النائم !
البائع : (دون أن يرفع رأسه) استمر فى الكلام يا ولدى . أنا
لا أعتقد كثيرا فى الأشباح . بوسعك أن تختفى وراء
الأشجار . لقد تعديت سن الخوف .

الأخضر : (من بين أسنانه)
دائما فى لحظات الاعتراف يبدو المسرح خاليا . ليكن .
أنا وحدى سأجمع إلى الزنزانة . من بين جميع الغائبين
الذين لا يشفع لهم عندي شئ ، واحد فقط لا يزال
يثقلنى إنه أبى الذى حملوا جثته فى ملاءة بينما كنت
أنتظر منه خاتمة حكاية وحلم مختلطين .

ذات يوم كان قد غار فى الخمارات ، فى صحبة بعض
السكيرين والقتلة . كانوا جميعا يبحثون عن أجنبية
بارعة الجمال رفيعة الثقافة ، على درجة من الجمال
والتحفظ حتى إن أصدقاء والدى تطاحنوا حتى الفجر

ليمهدوا لأنفسهم طريقا بين الجمهور ويلحقوا بها ، فى
الفندق الرائع الذى كان يستقبلها فيه عشيقها . كان
الغيظ والحنق يأكلان والدى ، وهو يقتفى أثر المرأة التى
كانوا يتبعونها باحترام فى الأفراح ... فى ذلك اليوم ،
أصيب إصابة بالغة فى وجهه من موسى ألقاه عليه رجل
عجوز من إحدى النوافذ، بينما كان يترقب الغانية غير
المهتمة ، وكان يلقي فى لحي أصدقائه سيلا من الدماء
الكثيفة المتقدة . وأنا أيضا ، لم أستطع أن أمنع نفسى
من إطلاق الصراخ الفظيع ، ليس إلا لأخفف عن نفسى
وطأة عار أبى وأهوائه التى لا نهاية لها لأننى كنت حديث
الولادة ، وكنت أصرخ صباح مساء ، كأبنى أشير إلى
الرجل الخسيس الذى كان يأخذنى بين ذراعيه لكى
يعرضنى أمام مثار غيظه وحقدّه ... تلك الأجنبية التى
كانت لا تنفك عن الظهور فى نافذتها فى الساعات
المتأخرة التى كنت أصرخ فيها من النعاس ، ليظهر
أمامها عاطفة الأبوة ... وأخيرا ، نزلت بخطوة سريعة ،
الأجنبية نفسها ، بوجهها العكر ، وحركاتها التى كان
الجمهور يرقبها كما يرقب أحد الطقوس الدينية ، المرأة
ذات العطر المجهول التى أحاطتنى بذراعيها ، بينما أنا
أستحلب أثقل أذنائها وأجملها (كان يبسولى أن لها
أثداء كثيرة ، ما دامت أمى المسكينة لم يكن لها سوى
اثنين) .

وبينما أبى المتسممر أمام الأجنبية التى كانت تهددنى وهى تبتسم ، وأناس آخرون كانوا يتوقفون عند هذه اللوحة الغريبة ، كان أبى يغيب فى صمت يملؤنى تأنيبا وغيرة ، أنا ابن السنوات الست الذى مسته العاطفة الأبوية إلى هذا الحد الخطير ، أنا الذى كان أعنف غريم لوالده بينما لم تكن أسناني قد اكتملت ، أنا الذى لم يسلم أبدا بأن الأجنبية قد اختفت وأن أبى قد حمل فى غطاءه ، فى الوقت الذى كنت ألعب فيه مع نجمة فى الشارع ، نجمة ابنة الأجنبية التى كان أبى قد اختطفها .

[على أثر هذه الكلمة ينهار الأخضر أمام شجرة البرتقال التى أصابتها الصاعقة .الاضواء تنار من جديد . " على " ، الذى تلاحقه نجمة ، يتسلق شجرة البرتقال . دقات متصلة من الجونج . جثة الأخضر تختفى شيئا فشيئا تحت سحابة من الأوراق الميتة . " على " جالس مباعدا بين ساقيه فوق قمة شجرة البرتقال . يقوم بقص غصن ذى شعب ليصنع منه نبلة]

نجمة : انزل من عندك ! انزل !

هيا ، انزل . وأعطني هذا الخنجر

على : إنه خنجر أبى ... إنه خنجرى .

نجمة : وجيوبك المحشوة بالبرتقال المر ! ألق بهذا . ألم أقل لك مائة مرة إن هذا البرتقال مسمم ؟ هيا ، انزل .

[على لا ينزل . يخرج برتقالا من جيوبه ، يضعه فى نبلته ،
ويصوب جهة الجمهور ، وابل من البرتقال فى صالة
المسرح . الستار يسدل مخرما من أثر ضربات النبله ،
بينما صوت الكورس يدمدم من بعيد : " أيها المجاهدون
من حزب الشعب . لا تغادروا مخابئكم " ظلام . ضوء
دقات جونج متصلة] .

* * *

جيزابيل

مسرحية من ثلاثة فصول

جان أنوى

جان أنوى

ولد أنوى عام ١٩١٠ ، قبل يونسكو بعامين وبعد بيكيت بأربعة أعوام ، ومع ذلك فهو لم يستجب لموجة العبث التى طغت على المسرح فى الخمسينيات ، مع أنه شجعها وكان من القلة القليلة الذين شاهدوا " فى انتظار جودو " حتى النهاية .

أما تأثير الصدمة الذى ترك البصمات الواضحة فى إنتاج أنوى ، فكان حينما شاهد مسرحية " سيجفريد " لجان حيروود . وفى ذلك يقول : " منذ تلك الليلة دخلت فى ليل طويل لم أخرج منه حتى الآن ، وقد لا أخرج أبدا " .

يعد أنوى من أغزر كتاب المسرح ، إن لم يكن أغزرهم جميعا . فقد ظل أكثر من خمسين عاما يطلع بمسرحية جديدة على جمهوره الذى اعتاد أن يشاهد له مسرحية جديدة كل عام . باستثناء الفترة من عام ١٩٦٢ حتى ١٩٦٨ التى لزم فيها الصمت .

بعد خمسين عاما فى المسرح ، وأكثر من أربعين مسرحية ، راق للكاتب أن يصنف أعماله إلى مسرحيات وردية ، وأخرى سوداء ، وثالثة متألقة ، ورابعة صريرية . ولكن الواقع هو أن الاختلافات ليست جوهريّة ، بل ليست واضحة تماما . فالمرارة التى يهزأ بها أنوى نفسه تقبع خلف

الضحكات . كذلك فإن المسرحيات الوردية لا تخلو من الكأبة التى تبعث على القلق . حقيقة القول هو أن ما يمكن أن يكون قاسما مشتركا فى أعمال أنوى هو " الصريرية " التى تطفى على مسرحياته .

وإذا كان لنا أن نتحدث عن تطور فكرى عند أنوى ، فنحن على الأقل نلاحظ طابع اليأس فى كل أعماله . فهو يرفض الوضع الإنسانى الراهن ، وقد تأكدت هذه النظرة العدمية فى مسرحياته الأخيرة . فكل شىء باطل . وهو يضحك من ذلك ويرى أنه لا ينبغى أن نأخذ شيئاً مأخذ الجد . الضحك وحده هو الذى يعيننا على تحمل هذه الحياة الدنيا . ولعل هذا هو الدرس الوحيد الذى أخذه أنوى من العبثيين .

من أشهر أعمال أنوى : مسافر بلا متاع (١٩٣٧) ، المتوحشة (١٩٣٨) ، أنتيجون (١٩٤٤) ، جيزابيل (١٩٤٦) ، الدعوة للقصر (١٩٤٧) ، بيكت أو شرف الله (١٩٥٩) ، السمك الأحمر (١٩٧٠) .

الشخص

مارك

جاك

الأب

الأم

جورجيت

الأخ

الأخت

ابنة العم

الصغيرة

الفصل الأول

حجرة شاب فقير

جورجيت : (وهى تدخل جاكلين) - نعم ، موجود . تفضلى . سأتى

بسيدي " مارك "

جاكلين : يا أنسة !

(جورجيت تلتفت)

أنت تحبين سيدك مارك طبعاً ؟

(جورجيت تنتظر إليها بارتياح ، وتخرج دون أن ترد عليها)

(مارك يدخل وينظر إليها دون أن يتحرك)

شعرت ببعض الخوف . أجل . فجئت .

جاكلين : (لا يجيب ، يبدو معتل المزاج . تقترب هى من النافذة .)

جميل هذا الميدان الصغير . لم أمر به أبدا .

مارك : إنه بعيد عن شاطئ البحر .

جاكلين : لماذا هجرت الشلة ؟

(يرفع كتفيه)

إننا نأسف لفراقك .

مارك : هذا ممكن .

جاكلين : أنا آسف لفراقك .

مارك : صحيح ؟

جاكلين : ماذا بك ؟ أنت رئيس شلتنا الصغيرة . وأفضل من يلعب التنس فينا . وأسرعنا في الجري ، وأحسننا في السباحة . وأنت خير من يعامل الفتيات الثلاث اللاتي في الشلة . وإذا بك ذات يوم تختفى . ومع ذلك نعرف أنك لم تغادر المدينة . ونبحث عنك ، فتخفى نفسك عنا . وأخيرا تتوقف سيارتي بسبب نفاد البنزين بالقرب من هذا الميدان الصغير . فتتاح لي فرصة العثور على منزلكم ، وهكذا تستقبلني ، أنا صديقتك القديمة ! تصور أننا تلاقينا في بداية يونيو عندما لم يكن هنا أحد على الإطلاق . هذه أمور لها أهميتها يا مارك .

(ينظر إليها)

كلا ، ليس هذا صحيحا . لم تتوقف سيارتي بسبب نفاد البنزين ؛

وإنما جئت سائرة على قدمي .

مارك : من أعطاك عنواني ؟

جاكلين : والدك .

مارك : والدي ؟ هل تحدثت إليه ؟

جاكلين : أجل .

مبارك : (بمجهود) - لابد وأنه أضحكك ؟

جاکین : لماذا ؟

مبارك : إنه يحب أن يضحك الناس .

جاكولين : أعتقد أنه قال لي نقطة . ولكن لا يجب الاستمرار في مثل

هذا السخف .

على أية حال أنا لم أفهمه جيداً .

مبارك : لماذا أتيت ؟

جساکلین : لکی اُساک لک لماذا لم تعد تاتی .

مـارک : (یصیح فجاءہ) - لم أعد أريد أن آتی !

(تتظر إليه . أهدابها ترمش . يمسك يدها فجأة)

أَسَف . أَحَبُّكَ يَا جَاكِلِينَ .

جساکلین : وبعد ؟

مسارك : لا تطلبى منى شيئاً . دعينى .

جـاڪلین : هل ستاڻي ؟

مبارك : سَأُحَاوِلُ .

جـاـكـلـيـن : هل تعتقد يا مارك ، أننى سأفهمك ؟

مبارك : أعتقد ذلك .

جـاڪلین : لاماذا لا تقول لی شیئا ؟

مبارك : لا أستطيع أن أقول لك شيئاً .

جاکلین : اُنْت غریب ...

مبارك : أوه ، كلا ! بخاصة لست غريبا ...

(صمت)

أنا بئس ، هذا كل ما فى الأمر .

(صمت آخر)

جاكلين : أنا أيضا كنت بئسة للغاية ، فى خلال هذه الأيام الثمانية ، ولكننى أخبرت الجميع بذلك ! اطمئن ، لم أقل إننى أحبك ، ثم لا أهمية لذلك كثيرا ، فأنا أعتقد تماما أن جميع من فى الشاطئ قد أدركوا ذلك الآن . ولكننى كنت أجد لذة فى العمل على فشل فرق التنس ونزهات البواخر . كنت أتمنى أن تمطر السماء . وكنت أضمد كعبنى حتى لا أجرى ولا أرقص معهم .

مارك : يالها من همة عظيمة !

جاكلين : وأنت تعلم جيدا أننى أضيق بهذا كله . وأن قدرا ضئيلا منه كان يكفينى .

(ينظر كلاهما إلى الآخر مرة أخرى)

أحبك يا مارك !

مارك : وأنا أيضا ، يا جاكلين .

جاكلين : إذن ، فلماذا ترحل ؟ لماذا تتركنى هكذا هادئة ، ساكنة ، حينما عثرت عليك ؟ لماذا لا أكون بين ذراعيك الآن .

مارك : (يأخذها) ها أنت بين ذراعى .

جاكلين : وما هذا الوجه الصارم !

(تلمس جبينه بإصبعها)

لن أجتاز هذا الباب أبدا

(يقبلها فجأة)

أريد أن أكون لك .

(ينظر إليها مبتسما برقة وطفولة حقيقتين ترتسمان على وجهه الذى كان منذ برهة جامدا مغلقا)

أريد

(تقول هذا كطفلة صغيرة . وهى تضرب الأرض بقدميها بطريقة غير ملموسة)

ـ مارك : (يبتسم) الفتاة صاحبة العربات الهائلة ، والكلاب الضخمة ، والتي اعتادت أن يطيعها الناس جميعا بمجرد إشارة من هذه القدم الصغيرة .

ـ جاكليين : (تخلص نفسها) - إننى فى نظرك دمية أو طفلة بلهاء .
ـ مارك : كلا ، إنك فى نظرى أنقى الناس طهرا . وأعظمهم شجاعة ، وأكثرهم استقامة .

ـ جاكليين : ومع ذلك ، فسأظل دائما أصطدم بهذا الوجه الذى يغلق على ولا أفهمه .

لقد قلت لى ذات يوم إننى سأصبح زوجتك ...

ـ مارك : فيما بعد ، حينما يصبح ذلك ممكنا .

ـ جاكليين : ولكنه ممكن ! إن أبى هو خير أصدقائى . ولقد أخبرته بكل شىء . وهو يعلم أننى لا أنخدع . وهو ينتظر أن تذهب لزيارته .

ـ مارك : لن أذهب .

ـ جاكليين : أرجو ألا يكون ذلك بسبب فقر ؟

مارك : كلا . إننى أشعر فى داخلى بقوة هائلة . وفى اليوم الذى أصبح فيه حرا ، وأستطيع فيه أن أقرب العالم ، سوف أقهره .

جاكلين : ماذا تعنى بالحرية ؟

مارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جاكلين : سانتظر حتى تستطيع .

(تنهض)

مارك : (يحتجزها بيده) - أوه ، لا تتركينى ! ... ليتك تدرकिन أين أنا ومن أكون ، ومبلغ حاجتى .

جاكلين : هل بوسعى أن أواسيك فى آلام لا أستطيع أن أعرفها ؟

مارك : أجل ، بعينيك ، بصوتك الرزين ، بجرائك الهادئة .

جاكلين : لماذا تهجرنى ثمانية أيام ، وحينما تجدنى تتركنى بعيدة عنك كالغريبة ؟

وإذا لم يكن باستطاعتنا أن نتزوج الآن ، فلماذا لا نحاول أن نعيش معا .

(مارك لا يجيب)

إننى إنسانة من لحم ودم . وأخشى . أن يكون حبك لى ليس كما أريده أن يكون .

مارك : إن حبى لك ليس كذلك ، ولكنه كذلك أيضا .

جاكلين : وبعد ؟ إنهم على الشاطئ لا يتحدثون إلا عن مغامراتك لقد عرفت فتاتين من المجموعة أقل منى جمالا ولم تكن تحبهما . ثم إننى تجاوزت مرحلة الطفولة ... ولقد أخبرتك بذلك .

مارك : (يضمها إلى صدره ، ينظر إليها فى صمت . وفجأة يتكلم ،
برزانة) ستصبحين زوجتى يا جاكلىن ، وقد تكون هذه
بلاهة منى ، إننى أريد أن تصبحى زوجتى حقا لا عشيقتى
كالأخريات . أريدك بيت . ووالدك متعلقا بذراعك ، أريدك
بباقات أزهار العرس .

جاكلىن : (تبتسم) باقات أزهار العرس ! ...

مارك : لا يجب أن تقولى هذا بهذه التكشيرة . ما أجملها من
مفاجأة أن أخذك وأنت فى الثوب الأبيض ، بعد طول
الانتظار ، والخطبة ، وسط البسمات ووسط الموافقة
العامّة . إن كل هؤلاء القوم الذين أشعر نحوهم بشيء
من الخوف ، ربما قاموا على تربيتك ، والعناية بك بهذا
القدر العظيم من الحب والمبادئ ، لكى أستطيع أن أخذك
فى تلك اللحظة . وربما قدمونى إلى عمك العجوز ...

جاكلىن : أنت غريب يا مارك ...

مارك : أوه ، لا تقولى لى إن جميع صديقاتك يتزوجن بهذه الطريقة
من رجال لا يحببنهم .

هبى لى هذا المنظر الجميل الأخاذ ! كان ينبغى أن يكون
لدى أمى ثوب من الدانتلا السوداء . إن ثيابها كما
تعرفين رديئة للغاية ، لأنها لا تملك ما لا كثيرا ، كما أنها
غريبة الأطوار . ولكنها عندما تضطر إلى ارتداء الأسود ،
فإنها تبدو رائعة .

جاكلىن : إنك لا تحدثنى عنها أبدا .

مارك : وكان ينبغي أن نشتري قبعة عالية لوالدى للرسميات .
ما أغرب ما كان سيبدو والدى فى القبعة العالية .

جاكلين : مارك أيها العجوز ! يسرنى أن أراك طفلا .

مارك : وكان ينبغي ...

(يتوقف)

كان ينبغي : ماض معلق . لم أعد واثقا يا جاكلين أنتى
أستطيع .

جاكلين : إذن ، ماذا وراءك يهددنا ؟ إننى بدأت أخاف الآن .

مارك : لا أستطيع أن أخبرك به .

جاكلين : هل أنت واثق أنك لا تبالغ فى تصور الأمور ؟ هل أنت
واثق أنك لا تدفع نفسك ؟

مارك : ربما كنت مخطئا . سأعرف ذلك اليوم . إذا كنت مخدوعا ،
فسأجتهد لكى أكون جديرا بك ، وسأحقق ذلك ، أقسم
لك . وإذا لم أكن مخدوعا فلا ينبغي أن تسعى إلى لقائى
لمدة طويلة . ولن أنساك .

جاكلين : ولكن لا يحق لك أن تشقىنى بهذه الطريقة . ففيم خدعت ؟
وفيم خدعت ؟

مارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جاكلين : (ضجرة) إننى إنسانة بسيطة . وأخشى أن تكون
مبالغا فى حب الأسرار من أجلى .

مارك : أو . كلا ! إننى أود أن أصبح شخصا بلا أسرار ،
شخصا يبسط يده مستقيمة تماما ويقول : هذا والدى ،

ذلك السيد الذى كان زميلا لوالدك فى المدرسة . وهذه
أُمى ، هذه السيدة التى تمر . إننى لا أملك من دواعى
البهجة والسرور إلا ما فى وجهى . وأنا واثق أنى قادر
على إسعادك .

جاكلين : لست فى حاجة إلى أن تخبرنى بهذا كله .

مارك : أما أنا ففى حاجة إلى أن أستطيع إخبارك به .

جاكلين : لماذا لم تأخذنى كالأخريات ، ولو لتتركنى بعد ذلك ؟

مارك : إننى لا أريد أن أمارس معك الحب وحده . يبدو على
أننى أجذف .

فالحب لا يكفى ، أريد أن أمارس معك المودة ، والثقة
والحياة . أريد أن أراك كل يوم تتقدمين فى السن بالقرب
منى . مستقيمة ، فخورة . مستقيمة تماما بشعر جميل
أبيض .

جاكلين : (تبسم) تتعجل الأمور كثيرا يا مارك .

مارك : (غارقا فى حلم) شعر أبيض . سأقول : هذه زوجتى .

وسيجبك الناس جميعا ويحترمونك . ستعرفين كل شىء
عن الحياة ومع ذلك . فلأنك بسيطة وواظرة ،
ستحتفظين بابتسامتك الصبانية . كوالدك فى تلك
الصورة التى أريتنى إياها . أما أنا فساكون مستقيما ،
شريفا قويا بالقرب منك ، كوالدك . وساكون كذلك متيما
بك كما كان هو متيما بوالدك . وستكون لنا طفلة ، وقد
تغار من حبنا كما كنت تغارين من حبهما .

(يقول هذا كله وكأنه يقص حكاية جميلة وهو يضطرب

شيئا ما . صمت)

جاكلين : كم تحب ذكرياتي ، يا مارك !

مارك : ليس لى ذكريات مثلها ، وعلى ذلك فأنا أستخدم ذكرياتك مضطرا .

صوت : بالله ياسيدتى ، سأتناول مشهيات ، حينما يطيب لى ذلك .

(الأب يدخل ، يتبعه جورجيت) .

الأب : صباح الخير يا أنستى الجميلة .

جاكلين : صباح الخير يا سيدى .

(مارك يحتار لحظة ، ثم يتقدم)

مارك : جاكلين تأخرت يا أبى ، يجب أن تنصرف . تعالى .

(يخرجان)

الأب : (يجلس قانطا) - يهربان منى .

(جورجيت تمر بالقرب منه ، تحفه بجونلتها عمدا) .

أيتها القذرة الصغيرة . أنت التى قلت لسيدتك إننى كنت أشم المشهيات ؟

جورجيت : كلا . يا سيدى .

الأب : كيف تريدان أن تشمها هى ؟ إنها لا تملك حاسة الشم

على الإطلاق . إنها امرأة لم تستطع فى حياتها أن

تشترى شمامة . ومهما راحت تشم الشمام كما تشم

الشبان ، فإنها دائما تأخذ منه غير الناضج .

(يناولها سلة)

أمسكى ، هاك حصادى من نبات الفطر ، فاسلقه .

جورجيت : أمرك ، يا سيدى .

الآب : هل تحبين نبات الفطر ؟

جورجيت : الحقيقة أننى لم أذقه فى حياتى ! إنه سام .

الآب : ليس حينما أقطفه أنا ! جورجيت ، أنك لا تثقين فى .

اقتربى !

جورجيت : ماذا ستعطينى ؟

الآب : أنت تعرفين تماما أننى لا أملك مالا .

جورجيت : تقول هذا دائما .

الآب : لأننى لا أملك منه شيئا .

جورجيت : يعنى ! ...

الآب : جورجيت ...

جورجيت : سيدى ؟

الآب : اقتربى ، يا جميلتى .

جورجيت : كلا .

الآب : سأقوم .

جورجيت : أوه ، لن تتالنى بهذه الطريقة !

الآب : أنا سيدك ، يجب أن تطيعينى .

جورجيت : ليس فى هذا الأمر .

الآب : لن أمسك .

جورجيت : تقول ذلك .

الآب : هل لك عاشق ؟

جورجيت : كلا .

الاب : تكذبين . فقد رأيته . وسأخبر سيدتك ، فتطردك ويضربك أبوك .

جورجيت : أنت الذى تكذب ! كيف تريد أن يكون لى عاشق ؟ فأنا لا أخرج مطلقا ، وسيدتى تعلم ذلك جيدا .

الاب : إن فتاة صغيرة جميلة مثلك لا يمكن أن تظل بلا عاشق .
جورجيت : نعم ! ...

الاب : لمجرد المتعة .

جورجيت : ليس لنا متع ، نحن .

الاب : لأنهم لم يعرفوا أيتها البلهاء الصغيرة . اسمعى يا جورجيت ، سأشرح لك ، اقتربنى .

جورجيت : ماذا ستعطينى ؟

الاب : أنك لا تفكرين إلا فى ذلك ! أنت ناكرة للجميل . تذكرى أننى قلت لسيدتك بالأمس إننى أنا الذى كسرت إناء الزهر الأزرق ، حتى لا تجعلك تدفعين ثمنه .

جورجيت : لقد كسرتُه لأنك كنت تطاردنى !

الاب : اقتربنى يا جورجيت ...

جورجيت : ماذا ستعطينى ؟

الاب : سأشتري لك شيئا .

جورجيت : ماذا ؟

الاب : السروال الناعم الحرير الذى ترغبين فيه .

جورجيت : لقد اشتراه لى سيدى مارك .

الأب : ماذا تقولين ؟

جورجيت : أقول إن سيدى مارك اشتراه لى .

الأب : تكذبين .

جورجيت : تستطيع أن تسأله .

الأب : ما دخله هو ؟ إنه عاشق والبلدة كلها تعلم ذلك !

جورجيت : للطويلة النحيقة ؟ كنت سأعجب لذلك . أنه لا يجب

إلا الصغيرات السمينات أمثالى . إنه فى يدى .

الأب : يا لك من ساذجة . هل أخبرك بذلك ؟

جورجيت : كلا ، ولكننى رأيته .

الأب : ليس هناك أطفال ! ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هيه ،

قولى .

يمكنك أن تقصى على فلن أخبر أحدا .

جورجيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : (وقد نجح فى مسكها) لن أعطيك شيئاً ، أيتها القذرة

الصغيرة ! إنك فى يدى الآن ! لن تستطيعى الإفلات !

ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هه ؟

جورجيت : دعنى وإلا صرخت ...

مارك : (يدخل ، يمسك والده من رباط عنقه ، وينتزعه من

كرسيه)

بابا ، ألا تترك هذه الصغيرة ؟

الأب : (وهو يتراجع ممسوكاً من رباط عنقه) مارك !

مارك : أما هذه ، فإننى أنذرك ألا تمسها .

الاب : أنا والدك !

مارك : أعرف ذلك .

(يقوده حتى الباب)

انصرف

الاب : هكذا تضاجع الخادمة الآن ؟ ألا تخجل .

مارك : لا

الاب : ولا تكتفى بمضاجعتها ، بل وتنفق مصروفك فى شراء

السراويل لها بينما نحن فى حالة ميئوس منها ،

ولا تخجل ؟

مارك : لا . انصرف .

الاب : إننى ألعنك .

(يخرج ، جورجيت تحاول الهروب)

مارك : (يحتجزها) جورجيت ، ألم ترى صديقك بعد ؟

جورجيت : نعم لم أره ، يا سيدى مارك .

مارك : هل أنت واثقة على الأقل أنها تبعتهما ؟

جورجيت : أجل ، فليس عليها أن تفعل غير ذلك .

مارك : ماذا قلت لأبى الآن ؟

جورجيت : لا شئ

مارك : ألا تتكلمين ؟ هل قلت له إننى قدمت إليك هدية ؟

(لا تجيب)

وأننى عشيقك ؟ ما هذه الحكاية ؟

جورجيت : إنك تسيء إلى .

ـارك : لماذا قلت له ذلك ؟

جورجيت : (بعد صمت) أنا أعرف تماما كيف تنظر إلى .

ـارك : أنت مجنونة .

جورجيت : كلا

ـارك : أنت طفلة

جورجيت : أنا فى الخامسة عشرة . وها قد مضى عامان منذ

اشتغلت . وقبل ذلك كان والدى ، إذن ...

ـارك : (ينظر إليها لحظة) لا تدعى والدى يمسك . خذى .

اشترى لنفسك ما تريدين .

(تخبئ النقود)

جورجيت : مادمت تهتم بذلك ، فاطمئن أنه لن يمس منى

إلا ما لا أستطيع منعه عنه ، وفى الجزء العلوى فقط .

(تنصرف لكى تخرج ببطء . تلتفت)

ها أنت ذا تنظر إلى كالمرات الأخرى .

ـارك : تعالى !

(تقترب جورجيت فى هدوء)

هل أنت واثقة أن صديقتك ستقوم بالمهمة .

(بضيق فجأة)

جورجيت : أجل .

(صمت)

وبعد ؟

ـارك : انصرفى .

جورجيت : أنت غريب الأطوار .

(تقول ذلك بجفاء واحتقار، ثم تخرج . يمرر مارك يده فوق جبينه ويهم بالجلوس) .

الأب : (يدخل ، طبيعياً للغاية) وبعد يا بنى ، هل فكرت فى كشف الحساب ؟

مارك : أى كشف ؟

الأب : كشف الغاز .

مارك : ولكن ... أين مرتبك ؟

الأب : لم يبق منه شئ .

مارك : إننا فى العاشر من الشهر .

الأب : لقد أعطيت كل شئ لأمك . فاشتريت لنفسها قبعات .

مارك : لقد أخبرتنى أنك لم تعطها إلا ألف فرنك . فأين الباقي ؟

الأب : أنها تكذب . ومع ذلك فهل تريد أن أقوم بعمل الحساب لك ؟

مارك : أوه ، كلا ، فأينك دائماً تكون على حق حينما تقوم بعمل الحساب .

الأب : كلا . كلا . إننى أتمسك بذلك . فى كلمتين . اسمح لى بكلمتين أيها الكونت (١) .

(يضحك)

مارك - عظيم .

الأب : هل تحتقرنى ؟

(١) عبارة مشهورة قالها رودريج للكونت فى مسرحية " السيد " .

ـارك : أجل .

الآب : تحتقرنى لأئننى أغازل الخادمة بينما أنت عشيقها . شىء مضحك !

ـارك : أنا لست عاشقها ، لقد كذبت عليك .

الآب : الجميع يكذبون على هنا . وذلك لكى يبتزوا نقودى دائما !

ـارك : ماذا تخشى ما دمت لا تملك منها شيئا !

الآب : هذا صحيح ، ولكنهم يحاولون . إذن فأنت لست عاشقها ؟

ـارك : كلا .

الآب : حسن .

ـارك : ولكننى أمنعك أن تصبح أنت عاشقها .

الآب : لماذا يا بنى ؟

ـارك : إنك تثير اشمئزازى . أحب ألا أتحدث معك فى هذا الموضوع .

الآب : أنت ترغب فيها ، هيه أيها الماجن ؟ أما أنا فلست على

هذا القدر من الخبث . إنها صغيرة لا تفكر إلا فى النقود .

(يضحك)

ـارك : (يضرب رأسه بقبضته) جاكين ! جاكين !

الآب : (بصفااء) هل تنادى الخطيبة ؟

ـارك : أنا ابنه . أنا ابنهما . هل أستطيع يوما أن أنتزع نفسى

منكما ؟

الآب : لقد قضى الأمر . إنك تجحد مولدك . إنك لا تتعلق بنا

إلا من حبل سرتك .

(يضحك)

مـارك : هل كنت تقول لجالكين نكاتا من هذا النوع ؟

الأب : إنها رائعة ، تصور لقد قلت لها نكتة .

(يتكور في كرسيه كما لو كان يشعر بالبرد)

الأب : إذا قلبتها غمًا فهذا الأمر يختلف ، ماذا تريد يا بنى ،

بالضبط . إننى ألهومع هؤلاء الخادمت الصغيرات .

أنت الآن كبير ويمكن أن أتحدث إليك . أنت تعلم أن أمك

لا ترغب فى منذ عام ١٩١٣ . أنا عجوز دميم ولكننى

أيضا رجل . وبقليل من المال وبقليل من الفراغ يصعب

على المرء أن يجد عشيقة ... هناك البيوت السرية ، طبعا ،

ولكنها مجازفة مع ما تتركه أمك ... أما هؤلاء الصغيرات

هنا فعلى العكس ، نظافة وأمان ، وهذا دائما لا يتطلب

الكثير . وأخيرا لا يجب أن نعمل من الأمور البسيطة

فواجع . إنهن فتيات متعودات على ذلك ... ولست أول

عاشق لهن ، يا للشيطان ! ماذا تريد أن أقول لك يا بنى ؟

إننى لا أرتكب جرما عظيما . وعلى كل فقد كنت دائما

أحترم الأخلاق والمظاهر . وهذا بخلاف أمك .

مـارك : (وهو لا يتحرك) ماذا تقول ؟

الأب : أقول إن هذا بخلاف أمك .

مـارك : لم أكن أنصت إليك .

الأب : فيم كنت تفكر ؟

مـارك : فيك .

الاب : (ضيقا) أوه ! يابنى ...

مارك : أيتها الخرقه القديمة ...

الاب : (بحركة) أبوك ! ...

مارك : أبى المسكين العجوز !

الاب : أجل .

مارك : لا تستطيع أن تقف على ساقيك ، وتتمسح بالخدمات ،

وترى أموالك تتسرب ...

الاب : لم أطلب منك أن تقول ذلك !

مارك : ومع ذلك فقد وضعت منه فى ركنك الصغير ما استطعت أن

تحفظه .

الاب : كذب !

مارك : وأنت تتقدم فى السن . ولن يلبث أن ينتهى ذلك . ولا تملك

شيئا . ولم تملك شيئا على الإطلاق .

الاب : بقى لى شرفى .

مارك : أجل ، والمظاهر .

الاب : أجل .

مارك : هل كنت شقيا معها ؟

الاب : أجل .

مارك : وهى أيضا كانت شقية .

الاب : إنها ...

(ينظر إليه ، يكمل)

إنها أمك .

مارك : أجل . كم من الوقت يلزمك لكى يكون لديك ما يكفى لشراء
عشة وقارب على شاطئ البحر !

الأب : أنت مجنون ؟

مارك : قل ...

الأب : أنا لا أملك مليما ... إننى مدين بخمسة وعشرين فرنكا
لزميلى " بيزار "

مارك : (وهو يدفعه بفغات خفيفة) أيها الماجن ! ... بوسعك أن
تذهب ، فتشتري بضع سنوات من الهدوء ... وسأزورك .

الأب : أه ، لو كنت تقول الصدق !

مارك : أنا أيضا قد أفعل ذلك . ولكن فرصتى فى ذلك أقل كثيرا
من فرصتك .

ومع كل ، ما قواك لو أننى ، ذات يوم ، اشتريت لك قبعة
عالية وسترة لكى تحضر حفل زواجى .

الأب : تتزوج ؟ بالصغيرة ؟

(يأتى بإشارة تدل على أن هناك ما لا .)

سيكون ذلك رائعا ! أتعشم ألا تنسى والدك العجوز ؟

مارك : كلا ، ولكن يجب أن تبدو فى مظهر محترم ذلك اليوم ، هيه ؟

الأب : اطمئن .

مارك : ولا تقل نكأتا ؟

الأب : لدى منها مجموعة مختارة . إننى نكتى ولكننى أعرف عالمى .

بخلاف أمك ، فكل يوم يمضى تصبح أكثر شيوعا من اليوم السابق .

إنها تعاشر قوما يخيفون . هل رأيت السيد مارسيل هذا ؟

مارك : أجل . هل تعرف من يكون ؟

الأب : كلا . إنه يشبه الخدم .

مارك : ألا تذكر أنك رأيته وسط الناس فى الملهى ؟

الأب : كلا . اثنان وعشرون !

(الام تدخل)

مارك : صباح الخير يا أمى .

الام : إننى أشعر بإعياء شديد . لم أنته بعد من أعمال البيت .

جورجيت لا تفعل شيئا . أنا دائماً من تشقى هنا .

هل وضعت " الأنيزيت " فى حجرتك .

مارك : أمى : لن تشربى الآن . فإننا سنتناول الطعام .

الام : لن تمنعنى من الشرب وأنا ظمآنة الآن ! فأبوك يفرط فى

تناول المشهيات وأنت لا تقول له شيئا . أما أنا فدائماً

على خطأ .

(تخرج) .

الأب : وهى تشرب أكثر فأكثر حينما ترى أنك لا تراقبها .

مارك : وأنت تتركها تفعل ذلك ؟

الأب : مادامت لا تقول لى شيئا فأنا لا أهاجمها .

مارك : كيف استطاعت أن تشتترى هذا المنزر الأصفر ؟

الأب : أنها تحب الألوان الصارخة .

مارك : إنها تزداد سمنة . فهى لم تعد تعتنى بنفسها .

الأب : كلا .

(مارك يجلس ورأسه بين يديه)

كيف تريد أن تتصرف معها يا بنى ؟

مارك : أخشى أن أتحديث إليها . إن كل كلمة نتبادلها تقلص وجهينا . أود أن أهدئها ، أن أقول لها إننى أحبها ، وأن هذا من أجلها . لا بد وأننى أخرق .

الاب : يجب أن تتركها لحالها .

مارك : كلا .

الاب : ستضيع وقتك .

مارك : أريد أن أنجو بنفسى . أريد أن أعيش ، هل تفهم ؟ لا أستطيع أن أفعل شيئاً وأنا معكما أنتما الاثنان ، وأنا بينكما أنتما الاثنان .

الاب : هوّن عليك ، يا بنى ، أنا لست بأئسا . فأنت حر ، وتحصل على مصروف جيب كاف . بخلافى أنا ، أنت شاب .

مارك : أجل .

الاب : أألسـت شابا ؟

(ينظر من النافذة)

يا للمصيبة ، إنه الغاز !

(يصيح)

جورجيت ، لا تفتحى !

(يطرق الباب . صمت . يطرق الباب مرة

أخرى . لحظة)

لقد وضع إنذارا فى صندوق الخطابات . لدينا ما يكفينـا خمسة أيام .

مارك : عندما يتحتم علينا أن نفكر فى هذا السيل من كشوف حساب الغاز . وأن نجفف هذا الفيض من الدموع الزائفة ، وأن نكذب على هذا وذاك ، وأن نكون عاقلين مهما حدث ، مادام أحد ليس عاقلا ...

الأب : أنت تبالغ .

مارك : بكل تأكيد .

الأب : فى مثل سنك كنت سعيدا . وهل تدرى كيف كان أبى وأمى ؟ كنت معهما بين ذراعى كلابة .

مارك : كان لك حظ ، كان الأمر أكثر تصريحا .

(صمت)

الأب : وفضلا عن ذلك فإذا تم هذا الزواج فستنسنا سريعا وكذلك ستتنسى كشف حساب الغاز . أعتقد أن حماك سيدبر لك وظيفة ؟

مارك : لقد أخبر جاكين أنه سيأخذنى فى مصانعه .

الأب : هذا رائع . أنا فخور بك . إننى أنتظر بفارغ الصبر أن أكتب إلى العائلة لأخبرها بذلك .

مارك : لا تتعجل أكثر من اللازم .

الأب : أما بخصوص السترة ، فبمجرد أن تحصل على قليل من النقود أعطنى إشارة فإن زميلى " بيزار " لديه فرصة رائعة وسأتحدث معه مساء اليوم فى هذا الشأن .

مارك : ما أسرعك . لا تتحدث فى هذا إلى زميلك " بيزار " .

الأب : لماذا ؟

(مارك يهز كتفيه)

أهناك مانع محتمل ؟

مارك : أجل . يكاد يكون أكيدا .

الأب : امرأة ؟

مارك : (بابتسامة رهيبة) .

أجل .

الأب : سيئة السلوك ؟

مارك : أجل .

الأب : وإذا قدمت إليها المال ؟ أنا لا أملك منه شيئا ولكن حماك

قد يقرضك ؟

مارك : ليست هناك وسيلة يا أبى العجوز المسكين .

الأب : إنك تفرغنى يا بنى .

(صمت)

مارك : سوف نلتقى ، ليكن ! وسوف نتحدث عن الخدمات .

ولسوف نحاول أن نمنع أُمى من الشرب .

الأب : لا تكن لاذعا .

جورجيت : (تدخل) سيدى مارك . لقد حضرت صديقتى .

مارك : (ينهض فجأة) صحيح ؟ أدخلوها ، دعنا وحدنا

يا والدى .

الأب : (باهتمام) - ما هذا ؟ ألا أستطيع أن أراها ؟

مارك : كلا . سأشرح لك فيما بعد ، دعنا الآن .

(يدفعه إلى الخارج . ثم يخاطب جورجيت) .

ماذا ؟

جورجيت : سأدخلها ، ولكننى أنذرك . فهى امرأة بغيضة . تسعى إلى امتلاك جميع الرجال .

ـ مارك : وبعد ؟

جورجيت : لسوف تسبب لك ضجة بكل تأكيد . ولكن خذ حذرك ؛ فهى مريضة ، وقد أخذت هذا المرض من أحد جنود الفرقة ١٦٨ .

ـ مارك : ولماذا تقولين لى ذلك ؟

جورجيت : لأننى لا أريد أن تتصل بها ، والله

ـ مارك : (يمسكها من كتفها) - هل سيستمر هذا المزاح ؟

تتصورين دائماً أننى أرغب فىك ، أيتها الصغيرة البلهاء ؟

جورجيت : (تنظر ملياً فى وجهه) - أنا متأكدة من ذلك . انظر .

إنك لا تجرؤ أن تنظر إلى منذ أمسكتنى . إنك تضغط

على لدرجة أنك تؤلمنى أى ! ... إنك تزيد من شدة الضغط ...

ـ مارك : لماذا تفعلين كل هذا ؟ ... أتحبيننى إذن ؟

جورجيت : (بوضوح . برزانة ، بلا دلال) - كلا .

ـ مارك : (يهزها فجأة وهو يصيح) ليس هذا صحيحاً ، فاهمة ؟

أنا لا أرغب فىك . ولم أرغب فىك أبداً . ولسوف تعودين

إلى والدك ! ومع ذلك فأنا سأرحل . وستخبرنى صديقتك

بذلك الآن . سأصبح حراً ! لم يكن هو . لقد خدعت !

الأمـر سيكون فظيـعاً لو اضـطـرتـر للبقاء هنا معكم أنتم

الثلاثة .

جورجيت : (مهزوزة) - أى ! أى ! أى ! أنت مجنون !

مـارك : (يتركها فجأة) - احضريها .
جورجيت تخرج وتعود) ها هى ذى .
(تدخل فتاة بين السادسة عشرة والسابعة عشرة تبدو
عليها هيئة الأوباش . يخاطب جورجيت)
 دعينا .
جورجيت : كلا .
مـارك : قلت لك دعينا
جورجيت : كلا ، ثم إنها ستقول لى كل شىء ...
مـارك : هل تبعتها ... أخبرينى بسرعة ؟
الصغيرة : أجل . ولكنها تاهت منى يومين . وأمس فقط استطعت
 أن أتبعها حتى النهاية .
مـارك : هل كانت بصحبة الشخص نفسه فى الأيام الثلاثة ؟
الصغيرة : أجل ... الطويل الأسمر .
مـارك : ألم يكن يرتدى زى السائقين ؟
الصغيرة : نعم لم يكن .
مـارك : وبعد ذلك حمت حول حظيرة السيارات (الجراج)
 كما طلبت منك ؟
الصغيرة : أجل .
مـارك : ولكن تكلمى ، تكلمى إذن ! هل رأيته ؟
الصغيرة : أجل . رأيته .
مـارك : هل كان فى زى السائقين هذه المرة ؟
الصغيرة : أجل .

مارك : هل كان هو نفسه ؟

الصغيرة : أجل .

مارك : هل أنت واثقة أنه هو نفسه ، الذى رأيته معها أول مرة ؟

هل أنت واثقة من عدم وجود تشابه .

الصغيرة : كلا . لقد رأيته حتى خاتمه . ولكننى لا أعرف لماذا

احتجت إلى فى هذا الشأن ، فقد كنت تستطيع أن تراه

بنفسك .

مارك : (يعطيها بعض النقود . يشحب تماما) خذى .

اصحبها يا جورجيت .

الصغيرة : (مبتسمة) إن سيدك خفيف الظل .

جورجيت : إنه فاسق . يلهو مع كل بنات الحى .

(تخرجان)

مارك : (ينادى) ماما ! ماما !

صوت الأم : ليس لدى وقت ، إننى أرتدى ملابسى .

مارك : اصعدى حالا ، ضرورى !

(الأم تدخل متسرلة بطريقة عجيبة)

مارك : (يبدأ رزينا)

أمى !

الأم : إيه حسن ، ماذا تريد ؟ هل تعجبك قبعتى الصغيرة الأمريكية ؟

مارك : هل جننت ؟

الأم : كنت أتوقع منك ذلك . إنك تريد أن أرتدى ملابس العجائز !

إننى لم أصبح عجوزا يا صغيرى مارك ، ليس بعد ...

(تصلح هندامها أمام مرآة . تفنّج)

مـارـك : أمى .

الأم : ماذا بك يا صغيرى ؟

(تنظر إليه . تتحسس شعره فى حركة أمومة)

هل أنت بائس ؟

مـارـك : أجل .

الأم : ماذا جنيت من الذنوب لكى أنجب ابنا كهذا ؟ كيف يمكن

أن تصبح بائسا ؟ لا شىء هناك ، دعك من هذا ، إن هذه

الأحزان تمر بسرعة .

(تربت عليه خفيفا . يتبعها بعينه . يتردد ، عندما تصبح

قريبة من الباب يناديها) .

مـارـك : أمى !

الأم : ماذا تريد إذن ؟ ستجعلنى أتأخر عن الغداء إننى على

موعد فى الثانية .

مـارـك : يجب أن تستمعى إلىّ يا أمى .

الأم : (أمام المرأة) هيا ، تكلم . أهى أشجان الحب ؟ حقا

أنت لا تقصها على إطلاقا ، فأنت لا تثق فى . إيه حسن ،

تكلم ، هل تحب هذه الصبغة الشقراء الإيطالية ؟ أظن

أننى كنت أجمل حينما كنت استخدم الصبغة الكستنائية .

إنك لا تقول لى شيئا أبدا .

مـارـك : كان حديثى معك سيصبح سهلا لو لم تستخدمى الصبغة

الشقراء الإيطالية .

الأم : أنت مثل أبيك ، تريد أن أصبح عجوزا حتى أستطيع أن أتفرغ لخدمتكما .

مارك : لا تختلق أفكارا سيئة . إننى أحبك ، وأود أن تكونى سعيدة ولكنى أود أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : وهل أنا أحول بينك وبين السعادة ؟

مارك : اجلسى . اخلى على الأقل قبعتك الأمريكية . أجل ، اخليها إننى أجلس على الأرض وأضع رأسى بين ركبتي كما كنت طفلا . أنا بائس يا أمى وهذا بسببك أنت .

الأم : ماذا اخترع ثانية ؟ إنك تتسلى بتعذيبى !

مارك : منذ زمن بعيد ربما منذ عشر سنوات . تمنيت أن أكلّمك بهذه الطريقة . وفى بعض الأحيان كنت أريد أن أتوسل إليك لكى تكونى أما كالأمهات الأخريات ، وفى بعض الأحيان كنت أريد أن أسبك ، أن أهينك ...

(ينكمش بين ركبتيها)

الأم : ماذا بك يا مارك ؟

مارك : فى سن السادسة كنت أبله كجميع الأطفال . كنت أظن أننى قوى . وقد أوشكت أن أؤدى هذا المشهد أمامك . والآن ، وقد كبرت قليلا ، أدركت تماما أننى لن أؤدى ما حييت ، مشهدى البديع ، مشهدى الرهيب .

الأم : ولكن ، ماذا بك ؟

مارك : أمى ألا تمكنينى من السعادة قليلا بدورى ، ألا تقبلين أن تكونى عجوزا كما تقولين ! ليس هذا قبيحا ، كما تعلمين ،

عجوزا ما تزال جميلة ، لها شعر أبيض جميل ، عجوزا
ترتدى ثيابا سوداء ، وتلمع منزلها ، عجوزا تهتم ...

الأم : (تنهض) دعنى يا مارك . أنت أنانى .

مارك : (يصرخ) أماه !

الأم : (تتوقف) لقد ضحيت بنفسى فى سبيلك . لم أكن أتصور أنك

ستكافئنى بهذه الطريقة أه ! هذا عقاب إنجاب الأطفال ...

(هما الآن مبتعدان كل عن الآخر) .

مارك : (بوضوح ، ضاغطا على أسنانه) .

أمى ، ليس هذا صحيحا ، إنك لم تضحى من أجلى أبدا .
وإننى أسألك لأول مرة أن تفعلنى ذلك .

الأم : أنت أنانى !

مارك : لا تكررى هذه الكلمة ، فهى غير صحيحة . تشجعى
وانظرى داخل نفسك . راجعى نفسك .

الأم : دعنى أذهب .

مارك : كلا .

الأم : دعنى أذهب ، فلم أعد أريد أن أنصت لك ! من أجلك أنت ،

بقيت إلى جوار هذا البخيل ، هذا الجبان الذى أبغضه .

إننى أندم الآن لأننى لم أرحل .

مارك : كنت تحسنيين صنعا لو كنت رحلت .

الأم : ماذا تقول ؟

مارك : أقول إنك كنت تحسنيين صنعا لو كنت رحلت : كنت

سأكون أقل شقاء ! ولكن . لا توهمى نفسك . إن الرحيل

مجرد كلمة . فأين تذهبين ؟ لقد بقيت لأنه يعولك ، ولأن هذا الوضع أفضل وأيسر . ولكنك لم تضحى بأية متعة من أجلى .

(تنهض فجأة . لا تقول شيئاً . يريد أن يحتجزها . تحاول أن تخلص نفسها . تون كلمة واحدة ، وعيناها زائفتان ، تبكى بلا صراخ) . سامحيني يا أمى ، سامحيني . إننى لا أدري ما أقول . وكما ترين أن هذا الكلام السيء يفلت من بين شفתי . ليس هذا صحيحاً ، لقد بقيت لأنك كنت تحبيننى . أنا أعرف ذلك ، سامحيني يا أماه . لقد كنا خير صديقين . وكنت دائماً تخلصيننى من المكائد . ليس هذا صحيحاً . لقد كذبت عليك ، ينبغى أن تنسى ما قلته . لقد بقيت أنت لأننى عندما كنت أصاب بالمرض لم يكن هناك غير يدك فوق جبيني تشفينى ، لقد بقيت لأننى فى المساء كنت لا أحب أن أؤدى صلاتى إلا بصحبتك ، وإذا كنت قد أشقيتني فإنك لم تفعل ذلك عمداً أبداً . ماما ، ماما ، لماذا فقدنا كلمات الطفولة الجميلة ؟ ماما ، مامى . لا تبكى يا أماه ! اسمعيني ، إننى أجلس متكوراً على الأرض حتى إنك تستطيعين أن تعتقدى أننى لم أكبر بعد . أنت الآن عائدة منذ قليل ، وقد ظلمت أنتظرك طوال النهار فى المطبخ مع الخادمة . ولقد نسيت مرة أخرى ذلك الحصان الآلى الذى كان ينبغى أن تحضره لى كل مساء ، وتقولين لى :

لا يجب أن تقول إننى خرجت ، وأنا أجيبك " كلا يا أماه
لن أقول " (صمت)

الأم : لا يجب أن تؤدى أمامى مثل هذا المشهد الفاضح
يا مارك .

مارك : (بنفس الصوت) - كلا يا أماه .

(صمت آخر طويل)

الأم : لقد بكيت . فلا بد أن أضع المساحيق مرة أخرى . دعنى
أنهض .

مارك : (بصوت الرجل الذى عاد إليه)

كلا ، يا أماه .

الأم : دعنى إذن ...

مارك : (يقبلها ، يمسكها بقوة ، يتحدث إليها عن قرب شديد

بصوت خفيض) أماه ، أماه . ليس بوسعك أن تفقدينى

هذا النصيب من السعادة . لن تلبثى الآن أن تقومى

بمهزلة مشئومة سوف تصليك عذابا ، فتوقفى من تلقاء

نفسك وأتحدى لى فرصة السعادة . كونى كما أطلب إليك

أن تكونى وهذا أمر يسير للغاية . إننى أخجل من التحدث

إليك ، وأرى جيدا أنك تخجلين من سماعى . ماذا تريدین ؟

ليست غلطى ، إننا ننطق كلمات لا ينطقها الأبناء

والأمهات . ولكن من الأفضل أن نقولها ، هذه الكلمات

حتى ولو خجلنا منها . إن شيئا بالغ الثقل يقوم حائلا

بيننا وربما كان ما بيننا من الحب لا يكفى لإزالته .

(لحظة ، ثم يتوسل ، برقة وبطء)

اهجريه ، يا أمها ... اهجريه . كوني أما كغيرك من
الأمهات ، الآن وقد أصبحت عجوزا . ولن تلبث السن أن
ترغمك على هذه التضحية ...

الأم

: أنت مجنون !

مارك : اهجريه يا أماه . انظري ، إننى لا أكاد أجرؤ على أن
أتقدم إليك بهذا الرجاء المخجل ، فاستجيبى له .

الأم

: (متصلبة) - فيم يهكم ما أفعله ؟

مارك : إننى أحب فتاة . ولا أريد لها أن تظل مجرد عشيقتى
بمواراتى منها والكذب عليها كالأخريات . اسمحى لى
أن تصبح زوجتى .

الأم

: وماذا يمنعك ؟ هل تخجل منى ؟

مارك : إنه سائق والدها يا أماه .

الأم

: وبعد ؟

(مارك ينتصب ، وينظر إليها)

جورجيت : (تدخل) سيدتى ، السيد مارسيل تحت . إنه فى حالة
هياج شديد . يحطم كل شىء .

مارك : (يحتجزها) لا تنزلى يا أماه .

الأم

: دعنى .

مارك : إننى أمتنع ، أتوسل إليك .

(تخلص نفسها وتخرج)

أوه ، صحيح ، إننى أبغضك ، إننى أبغضك !

(يظل بمفرده مع جورجيت التى تتضاحك)

جورجيت : تأخذ نصيبها . جاء دورها فقد كانت دائما تشتمنى وتهزأ بى .

ـارك : (ينظر إليها ، تأثها ، يتمتم) - سامحيني يا أماء .

الآب : (يدخل) يبدو أن العلاقات بالغة السوء بين هؤلاء السادة والسيدات .

(يضحك)

ـارك : أيها العجوز الجبان !

الآب : الألفاظ الوقحة دائما .

ـارك : لو كنت عرفت كيف تسيطر عليها ، وتحفظ بها . وتجعل منها زوجتك ، لما أصبحنا الآن فى هذه الحال .

الآب : صدقنى إن أردت . لقد كانت ألطف وأرق عروس يمكن أن يتصورها العقل . عام واحد فقط كان كافيا لكى تتحول إلى رجل .

ـارك : ولكن هل كنت تحبها ؟

الآب : (بحركة) - إننى أكرهها منذ زمن بعيد .

ـارك : هل أحببتها يوما ؟

الآب : ربما .

ـارك : (يهزه) - ما السر الذى جعلك لا تستطيع السيطرة عليها ؟

الآب : كان يلزمها لذلك عشرة من أمثالى . إنها كثيرة المطالب . ونحن فى أسرتنا متحفظون . وأنا رجل طيب ، عادل ،

مجتهد . بل إن عائلتي كانت تقول على إننى قديس .
لو كانت امرأة شريفة ، لأصبحت سعيدة معى بكل تأكيد .
عندما أفكر أننى كنت على وشك أن أتزوج " مارى
لوكوربييه " إنها الآن زوجة عالم أثار شهير . تذهب إلى
القداس كل صباح .

مارك : (جالسا ورأسه بين يديه) - ولكنك ربما كنت تستحق
هذا الشقاء . أما أنا فلا .

الأم : (تدخل شعثاء ، مذعورة) - مارك ، هل معك نقود ؟

مارك : أنت تعلمين جيدا أننى لا أملك نقودا .

الأم : من أين أستطيع أن أحصل عليها ؟ يلزمنى خمسة آلاف
فرنك ، فى الحال . قبل هذا المساء .

(الأب يحاول أن ينصرف فى الخفاء)
لا تخرج !

الأب : كيف ؟

الأم : لا تخرج . إنك تملك هذه النقود ، أنت . يجب أن
تقرضنى إياها .

الأب : أنا ، نقود ؟

الأم : أجل ، لا تكذب . فعندما كنت أقوم بأعمال البيت مع
جورجيت ، اكتشفنا ذلك القعر المزدوج فى منضدة
سريرك . أن لديك عشرة آلاف فرنك .

الأب : هل أخذتها ؟

الأم : كلا ، ولكن يجب أن تقرضنى منها الآن خمسة آلاف .

- الاب : مستحيل .
- (يريد أن يخرج)
- الام : لن تخرج . لابد من أن تقرضنى إياها ، فاهم ، لابد من أن تقرضنى إياها ...
- (تمسك بسترته)
- الاب : لكى تعطيها لعشيقك ؟
- الام : أجل ، لكى أعطيها لعشيقى ... لابد منها فى الحال . أنقذنى . وسوف أقتصدها . وسوف أعمل وأجنيها . أقسم لك .
- الاب : أه ، إنك تضحكيننى .
- (يضحك وهو يحدث جلبه ، ضحكا مفتعلا)
- الام : أوه ، لا تضحك هكذا !
- (يتوقف فجأة)
- الاب : أنا ليس لى زوجة ! ولن أجرد نفسى من مالى لكى أمهر لك رجلا .
- الام : لقد سرقها من سيده . وإذا لم يحصل عليها قبل غد ، فسيقبض عليه . لا أحد غيرى يستطيع أن يقرضه إياها .
- الاب : ما أشد طيببتها . كيف تجد أمك يا مارك ؟ تطلب منى نقودا لتصلح ما أفسده اللصوص .
- (يضحك)
- الام : لا تضحك ! لا تضحك ! إنك ترى جيدا أننى كالمجنونة وأننى أبكى . إنك تبغضنى وأنا أعلم ذلك . تريد أن تذلى ،

تريد أن تنتقم لنفسك . فانتقم لنفسك . أذلنى . انظر .
إننى أركع على ركبتى . سأبيع المجوهرات والأثاث الذى
أملكه . سأكتب إلى أختى لترسل إلى نقودا ، باختصار
سأردها لك ، أقسم لك ! مارك ، قل له إننا سنردها له .

الآب : لا فائدة .

مارك : انهضى يا أماه .

الأم : كلا . لا أريد أن أنهض . أريد أن يقرضنى إياها .
سأظل متعلقة بساقيه حتى يقرضنى إياها .

مارك : (ينهضها) انهضى يا أماه .

الآب : (يتوجه بوقار ناحية الباب)

أحسننت صنعا . فإن دموعها ما كانت لتثيننى .

الأم : إننى أكرهك ! أكرهك ! دعنى يا مارك ، دعنى . أريد
أن أنزع عينيه ! أريد أن أضربه ، أن أصفعه !

الآب : أمسكها !

الأم : هو ذاك . أصلح ياقنتك ، ورباط عنقك . كن مهنما

كشأنك دائما ! أما أنا فلست كذلك . إننى امرأة ضائعة

كما تقول ، بلهاء ! انظر إننى أنزع صديرتى ، وألطم

وجهى ، وأحول من الألم لأنك تمنع عنى هذه النقود .

مارك : أماه .

الأم : دعنى !

الآب : (بوقار)

أنا خارج يا مارك .

الأم : أنا أبغضك ! ... أبغضك ! لسوف أحصل على العشرة
آلاف فرنك التى تملكها . سأخذها منك ، فاهم ،
سأخذها منك .

الأب : مارك ، أنت شاهد .

(يخرج)

الأم : (تكرر وهى منبطحه)

سأخذها ... ، سأخذها ...

مارك : اسكتى يا أماه .

الأم : سأخذها ... سأخذها ...

مارك : أماه ...

(يهدد رأسها ، نظرتة ثابتة . صمت طويل)

الأم : مارك ، قد يكون لك أصدقاء ... هذه الفتاة الغنية . اذهب

واطلب منها أتوسل إليك .

مارك : لا ، يا أماه .

الأم : لا يجب أن تتخلى عنى . سيقبضون عليه . سيضعونه فى

السجن . لن أراه بعد ذلك ... أو سيجد نقودا عند امرأة

أخرى ويهجرنى . أجبنى يا مارك . هذه الخمسة آلاف

فرنك سيقترضك أصدقاؤك إياها بكل تأكيد ؟

ولكن أجبنى . لم هذا الفم الحجرى وهاتان العينان

الخزفيتان ، لماذا ؟

مارك : (برقة) - يجب أن نتركه ليقبض عليه ، أو ليجد النقود

عند امرأة أخرى .

الأم : أوه ، لا تقل هذا ! أنت مجنون ! أتريد إذن أن أصبح مجرد خرقة ، خرقة بالية ؟

ـ مارك : (دون أن ينظر إليها وهو يتعلق بمسند الكرسي)
أريد أن أعيش .

الأم : ليس هذا أنت . فشفتاك ليس بها هذا التكسُّر . وجبينك ليس به هذا الخط . مارك ، أنت طيب ، ولا تريد لى الشقاء ... انظر إننى أجتو فوق الأرض .
لن أطلب منك شيئاً آخر ... سأرحل غدا ، إذا كنت تعتقد أننى سبب شقائك ... ولكن هبنى هذا النصيب الأخير من الحياة ...

ـ مارك : (كالمجنون) فى السجن ، مطرودا ، مختفيا .

الأم : لا يجب أن يحدث ذلك يا مارك . لا يجب !

ـ مارك : أنت الآن عجوز ولا تحبينه . أنا واثق من ذلك ... أما أنا فأئننى شاب وأحبها .

الأم : أجل ، إننى عجوز ! انظر إلى . إنه آخر عشاقى ، ذلك الذى أستجديه إياه . إن هاتين العينين لن تقاوما إلا بضع سنوات أخرى . وهذه التجعيدة سرعان ما سأعجز عن إخفائها تحت اللزقات . إننى لا أحبه ، كلا ، وربما لا يزال معى لمجرد المتعة . ولكننى بعد ذلك ، أعرف أننى لن أحصل على غيره ، وقد مضى هذا . إننى لم أعش إلا من أجلهم .

ـ مارك : أسكتى .

الأم : كلا ! مادمت تريد أن تنتزع منى هذا الأخير فاعلم إنك
إنما تنتزع الحياة من أحشائي !
(تصرخ)

إننى لم أعش إلا لكى أخذهم بين ذراعى ، هل تسمعنى ؟
مارك : اسكتى ، إننى أخجل .

الأم : أما أنا فلا أخجل أن أقول لك إننى لم أعش إلا من أجل
الحب ، لأنك تشبهنى .
مارك : كلا .

الأم : بلى . إن هذه السعادة التى تسعى إليها بزواجك من هذه
الفتاة الجميلة ، إنما هى حلم . لن تذوقها لحظة واحدة
لأنك تشبهنى .

مارك : ليس هذا صحيحا !
الأم : هل تظن أننى لا أراك مع البنات اللائى يعملن عندنا
هنا . إنك لا تزال تقاوم ، ولا تشعر برغبة إلا فيهن وفى
بنات الشوارع .

مارك : كلا .
الأم : نعم . فحينما كنت لا تزال صغيرا ، كنت تشرد بصور
فى جيبك . كنت تصيب نفسك بالأمراض . أما أنا ،
فلم أكن مثل الأمهات الأخريات ، كنت سعيدة لأنك كنت
تشبهنى .

مارك : (يسد أذنيه)
لا أريد أن أسمع ، لا أريد أن أسمع ، إنك تكذبين !

الأم

: إنك تعرف ، أنت ، معنى هذا النداء الذى يمحو كل ما عداه . إن شعرى مستعار ، وأسنانى تتساقط ، وجسمى يتغضن . ولازلت أسمعه أشد مما كنت أسمعه فى شبابى . مارك ، افهم معنى أن يدرك الإنسان أنه لن يلبث أن يصرخ فى الفراغ ، وافهم بأى ظمأ يشرب المرء آخر دقائقه فى الحياة ... أبوك خرقة بالية ، وحتى لو لم يكن يكرهنى ، فلن يستطيع أن يدرك . يجب أن أقضى عليه لكى أأخذ منه هذه النقود . ولكن أنت الذى تدرك كل شىء دبر لى هذه الخمسة آلاف فرنك حتى لا تحل النهاية إلى الأبد ، ألا تحبنى ؟ ربما أكون قد تسببت فى شقائق دون إرادتى ولكننى اعتنيت بك وواسيتك ، وأنقذتك من آلاف الأخطار التى تتربص بالطفولة . فنظير هذه الحياة التى وهبتك إياها ودافعت عنها ضد الموت ... دعه لى شهرين آخرين أو ثلاثة حتى ولو حال هذا بينك وبين سعادتك .

مارك : (وقد ضغط على أسنانه وبدأ وجهه غارقا فى الدموع)
- كلا .

الأم

: إنك مازلت تملك شبابك كله . ولسوف تدرك معنى هذا حينما يصبح الأمر آخر مرة ...
(صمت)

مارك : (متعلقا بالكرسى) - أريد أن أعيش .
(صمت آخر)

الأم

: (تنظر أمامها فى ثبات . تدمدم) - إننى وحيدة تماما .

جورجيت : (تنخل) سيدتى ، هل أسلق نبات الفطر الذى أحضره

سيدى للظهر ؟

(صمت ، لا يجيبان . تتضحك قليلا . ثم تقول)

سيدتى ، نبات الفطر الذى أحضره سيدى هل أسلقه ؟

الأم : (ترفع رأسها شاردة)

نبات الفطر ؟

جورجيت : أجل . نبات الفطر الذى جمعه سيدى .

الأم : أجل .

جورجيت : إن سيدتى تحسن صنعا لو قامت بتنقيته . فإننى لست

متأكدة من بعضه . وفى الحقيقة ، أنا أعتقد أن سيدى

لا يفهم فيه كثيرا .

الأم : أجل .

(تنهض وتخرج كمن يسير فى أثناء النوم . جورجيت

تنظر إلى مارك)

جورجيت : سيدى مارك ، هل ستأتى هذه الليلة ؟ إننى أضيق وحدى

فى حجرتى ...

(لا يجيب . تنتظر لحظة ثم تخرج وهى تهز كتفها)

مـارك : (يكرر أليا)

أريد أن أعيش ...

تسدل الستارة

الفصل الثانى

الديكور نفسه

الأم : هل تأكدت من منضدة السرير ؟ هل بحثت فى القعر
المزدوج ؟

جورجيت : أجل ، مرتين .

الأم : لماذا خرجت بهذه السرعة ؟

جورجيت : خيل لى أنه تحرك .

الأم : ما أغباك ! وهل نظرت تحت المرتبة .

جورجيت : لقد قلت لك . اذهبى وانظرى أنت بنفسك .

الأم : لا أستطيع ، فإنهم يراقبوننى .

(تقضم أظافرها)

القذر ، القذر .

جورجيت : لا ينبغي أن نتحدث عن ميت بهذه الطريقة .

الأم : أين يمكن أن يكون خباها ؟

جورجيت : اسألى سيدى مارك . لابد وأنه يعرف .

الأم : إنه يغضبنى ، أكثر من الآخرين .

جورجيت : ما الذى يجب عمله ، يا سيدتى ؟

الأم : جورجيت ، لا تتركينى ، قولى شيئاً ، افعلى شيئاً .

جورجيت : لا أستطيع أن أبحث ؛ فهم فى الحجرة .

الأم : كان عاشقاً لك . أو كان يتصل بك ، كان يطارذك . من

المؤكد أنه قال لك شيئاً يمكنك أن تهتدى به .

جورجيت : لا شئ يا سيدتى . إن سيدى لا يثق بى .

الأم : من أجل لا شئ ! من أجل لا شئ !

جورجيت : على كل حال ، لا ينبغى أن تعكر سيدتى دمها . فليس

هناك ما يخشى مع وجودى .

الأم : جورجيت ، اذهبى إليه مرة أخرى . أخبريه بأنها مسألة

ساعات ، دقائق . وإننى سأحصل على هذه النقود ،

واطلبى منه ألا يرحل مع الآخر ، سيكون لى ، أنا .

سيكون لى بكل تأكيد .

جورجيت : يجب أن تعترف سيدتى بفضلى فى كل هذا . فباختصار ،

دونى ...

الأم : أجل ، خذى .

(تعطئها نقوداً)

جورجيت : ليس هذا كثيراً .

الأم : خذى ثانية . وسوف أعطيك ما وعدتك به ، عندما أجد

هذه العشرة آلاف فرنك .

جورجيت : هل أطلب منه أن يأتى إلى هنا ؟

الأم : أجل . اطلبى منه أن يأتى .

(جورجيت تخرج)

الأم : (تبدأ بالبحث داخل قطعة أثاث ، بهياج ، تسمع وهي تهيمهم)

من أجل لا شيء ! من أجل لا شيء ! من أجل لا شيء ! (١)
(شقيق الزوج ، وأخته وابنة عمه ، يخرجون مع مارك من
الحجرة الملاصقة ، تتوقف الأم ، وتمر أمامهم دون أن
تنطق بكلمة ، وتخرج)

الاخ : لقد تعذب كثيرا .

ابنة العم : هل نتعذب كثيرا من نبات الفطر ؟

الاخ : أنا أتحدث عن العذاب المعنوي ...

(دخلوا جميعا)

مارك ، لقد عدنا إلى هذا البيت الذي لم ندخله منذ
عشرين عاما ، لكي نُحييَ الجثة العزيزة . وسنعود غدا
لكي نأخذها ونصحبها إلى مثواها الأخير . كان يحبك
وأنا أعرف أنك كنت تحبه أيضا . لقد كان حنانك
يعزيه دائما خلال حياة الشهيد التي عاشها . إن الكلمة
ليست أكبر من اللازم .

ابنة العم : كلا .

الاخ : كان يقول لنا ذلك والنحيب يختلط بصوته . ليس لى فى
الوجود سواه .

(١) تقصد أنها قتلت من أجل لا شيء .

الأخت : ونحن .

الأخ : ونحن . بعد مواراة الجثة . لن نجتاز هذه العتبة بطبيعة الحال . ولكن يجب أن تأتى لزيارتنا .

مارك : أجل .

الأخ : نحن عائلتك ، عائلتك الوحيدة .

(صمت)

مارك ، كان والدك يمتلك بعض المدخرات . ففى صباح موته وكأنه كان يتوقعه ...

(ابنة العم تتنهد)

الأخ : (ينظر إليها ويكمل) - وكأنه كان يتوقعه ، ولما كان

لا يعلم طبعاً بما يمكن أن يحدث فى مثل هذه الحال ، جاء ليسألنى أن أحفظ له هذه العشرة آلاف فرنك . فقد كان يثق فى ثقة لا حدود لها

إن كل ما كان يخصه يؤول إليك الآن . سأعدُّ لك هذا المبلغ .

(يخرج الأوراق المالية ويسلمها لمارك)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة ، تأكد من ذلك .

مارك : لقد عدتها .

الأخ : تأكد يا مارك ، فإن والدك كان يشدد على ذلك ، فقد

كان شاكاً بطبعه .

الأخت : مسكين يا أدريان .

(صمت ، فى أثنائه يعيد مارك عدَّ الأوراق بسرعة)

أما بخصوص المدفن ، فأنا لا أريد أن نتصل " بشوشارد
" إن زوجته لا تحببني كما يجب . ما رأيك يا مارك ؟

مارك : الأمر يستوى بالنسبة لى .

الأخت : كان أبوك سيوافقنى ، فهو لم يكن ليرضى ألا تُقدِّم
للعائلة واجبات التقدير والاحترام .

(صمت)

الأخ : كان قديسا .

ابنة العم : أجل .

الأخ : يجب أن تذكره يا مارك طوال حياتك وأن تحاول التشبه به .

(مارك لا يجيب)

أنت كبير الآن . وتعلم أى حياة زوجية عاشها مع أمك .
ولقد بقى معها رغم كل شىء ، من أجلك . بقى حتى
لا تقع تحت السلطة المفردة لتلك التى كانت تُلطخ شرفه ،
وحتى يربيك طبقا للمبادئ التى ظلت دائما مبادئنا .
هذه حقيقة لا يمكن أن تنساها .

(صمت)

الأخت : أردنا أن نقول لك ذلك قبل رحيلنا .

ابنة العم : أجل .

(صمت)

الأخ : هل ستواصل الحياة مع أمك يا مارك ؟

مارك : طبعاً

الأخت : بعد كل ما قاساه منها .

مارك : لقد قاسى . ولكن أنا قاسيت كذلك . وهى أيضا بلا شك .

الأخت : لا تحنّ لها ، يا مارك . فكر فى ذلك الذى يرقد إلى جوارنا .
لقد خانت بطريقتة تبعث على الخجل . بلا حياء . كانت تتعلق
بأذرع الرجال . وذات مرة شاهدها مع أحد عمال الميناء .

مارك : أجل .

الاخ : لقد أعيته بشروورها اليومية ، تلومه على أتفه متعة ، بينما
تنفق هى نقود البيت فى تقديم الهدايا لعشاقها .

مارك : أجل .

الاخ : ورغم هذا كله كانت لا تكف عن الرد على اتهاماته بمثلها
... لقد كانت توجه إليه التهم طول حياته . دون أن تدرك ،
مع أنانيتها الفظيعة ، إنه كان قديسا . لأنه بقى معها !
سامحنى . إن الغيظ يقطع كلامى . كان أولى به أن
يطردها . أن يضربها بالسوط . أه لو كنت أنا .

الأخت : لقد كنا نحب أباك ونحترمه يا مارك . كان أخانا الأكبر .
وهو الذى كان يقوم مقام والدنا .

ابنة العم : كان دائما طيبا ، دائما رقيقا .

الأخت : لقد علّمتنا القراءة ، وعلمنا كيف نكون شرفاء مثله .

الاخ : وكنا مضطرين أن نراه يماسى طوال حياته مع هذه
المرأة . أولم تقاسى أنت فى حياتك ، مما كان يقاسيه ؟

مارك : بلى ، بل لقد كرهتها بسبب ذلك . فى سن السادسة عشرة .
أما الآن فقد أدركت أنها كانت امرأة مسكينة هى الأخرى .

الاخ : امرأة فظيعة ! امرأة متوحشة !

الاخت : مارك ، لا ينبغي أن تبقى معها . ما دام قد مات الآن بسببها . فيجب أن تلقى هى فى النهاية جزاء ما أذاقته له من عذاب . يجب أن تتركها يا مارك .

مارك : لم أعد أستطيع أن أتركها .

الاخ : هل تظن أنها ستصلح ؟ إن هذه المخلوقات لا تصلح أبدا . سيكون بوسعها بعد ذلك أن تعيش حياتها ، تلك الحياة المشهيرة التى طالما أرادت أن تحياها .

الاخت : نحن نعلم أن هذا أمر عسير بالنسبة لك يا مارك . واعلم أنها لم تكن أمك فى يوم من الأيام ! إنها لم تعيش إلا لعشاقها ، إن " أدريان " هو الذى كان يصحبك للنزهة يوم الخميس ، وهو الذى يركك حينما كانت تخرج فى المساء . وهو الذى كان يجعلك تؤدى صلاتك ، ويرقدك وينومك حتى لا تبكى لغيابها ، لم تكن شيئا بالنسبة لك . لقد اقتصر دور الأم بالنسبة لها على تمشيط شعرك وإلباسك سروالا جميلا لكى تصحبك معها تتمشيان فى الطرق المظلمة بالأشجار .

مارك : (يتوسل إليها) أنت تكذبين .

الاخت : اذكر الليالى والكوابيس التى كنت تعانيتها ، ومخاوفك إذ كنت طفلا ... أى وجه كنت تراه منعظا على وجهك ؟

مارك : وجهها ! لأننى كنت أنتظره دائما . كنت دائما أريد أن أراه !

الأخت : أجل ، هو ذاك ، وجهها فى الحلم . ولكن فى الحلم فقط .
فشفتاها اللتان كانتا من المفروض أن تعزيك بدلا من
أيدي الخادومات الخرقاء . كانت فى ذلك الوقت
تهبهما لرجل .

مارك : (يتوسل إليها) اسكتى .

الأخ : لو كنت تشعر بأقل حنان نحوها ، لما كُلمناك بهذه
الطريقة . فآية أسباب تجعلك تحبها ، ما دمت قد عرفت
حقيقتها .

(مارك لا يجيب)

الأخت : ثم إننا لا نخبرك بشيء لا تعرفه مسبقا . إن واجبك
واضح .

مارك : كلكم ضدها .

الأخ : لقد عادت الجميع . وسخرت من جميع القيم ومن كل الواجبات .

مارك : ربما كانت تحبهم .

الأخ : لم تكن حتى تحبهم ! وأنت تعلم أنها تسببت فى فضائح
كثيرة . فلا يمكن للمرء أن يعيش مثل هذه الحياة
بلا عقاب . عندما كانت تحين اللحظة كانت تضحى بهم
بالقسوة نفسها التى كانت تضحى بها بأبيك . إنها وحش .
(مارك لا يجيب ، رأسه بين يديه)

الأخ : مارك . سأحدثك كما كان سيحدثك ذلك الذى لم يعد له
وجود . فى صباح اليوم الذى مات فيه ، جاءنا - كانت
هذه آخر فرصة له ، ذلك المسكين - جاء ينقل إلينا خبر

هذا الزواج العظيم الذى عهدت إليه بسرهِ . هل تعتقد أن
أصهارك الجدد سيعترفون بهذه المرأة ، بهذه
الفاجرة ، بهذه ...

ـ مـ اـ رـ ك : اسكت .

(صمت . ينهضان)

الاخ : كما تحب ، يا بنى .

ـ مـ اـ رـ ك : أعرف أنكم على صواب ، غير أننى مع ذلك قد رأيتهـا ،
فى الصور وهى فى تلك السن التى جاء يطلبها فيها من
والدها . كانت فتاة فى السابعة عشرة تفيض بالحياة ،
رقيقة . يمكن أن تجعلها تؤمن بكل شىء وتحب كل شىء ...

الاخـت : فى ذلك الوقت ، لم يخطر ببالنا ما كانت ستصبح عليه !

ـ مـ اـ رـ ك : كان قديسا ، كان زوجا رائعا ، ولكن هل سألتم أنفسكم مرة
عما قدّمه لها عوضا عن الحلم الذى كان يداعبها فى الحياة ؟

الاخ : لقد قدم لها الفرصة لكى تكون امرأة شريفة .

(جورجيت تمر ، ارتدت معطفها استعدادا للخروج ،
ترمقه بنظرة وهى تصلح من هندامها فى أثناء عبورها
أمام المرأة . ينظر إليها وهى تخرج)

ـ مـ اـ رـ ك : ليس بوسعكما أن تدركا ذلك .

الاخـت : أخشى فى الواقع ألا تكون لغة حديثنا واحدة .

الاخ : المسألة الآن بالنسبة لك مسألة حياة أو موت . فإما أن
تصبح رجلا وتتركها لمفاسدها ، وإما أن تبقى شخصا
خائبا فاشلا تدور فى فلكها .

مارك : من الفظاعة أن نقتل شخصا لكي نعيش .

الاخ : إنك شاب ، أنت .

مارك : أجل .

الاخت : لا تشفق عليها ، فهي لم تشفق على أحد ... وعندما تحتاج إلى النصيحة فاذكر عائلتك الحقيقية .

(تقبله . يتوجهان ناحية الباب)

ابنة العم : (مذعورة) واللائي ؟

الاخ : صحيح . لقد رأيت ، بدل الزهور الطبيعية التي تذبل

وتكلف غالبا ، أنه يجب أن نضع فوق قبر " أدريان " شيئا يوم . لقد أوصيت " بريجو " بإحضار إكليل من اللؤلؤ ، تتقاسم ثمنه كل العائلة . كان المرحوم سيوافقني على ذلك .

(يخرجان . يظل المسرح خاليا لحظة . الأم تدخل ، تسرع إلى إحدى قطع الأثاث ، تبحث . تكرر كالطفلة)

لا بد من أن أعثر عليها . لا بد من أن أعثر عليها .

الأم : (تمر لحظة ، تعتدل وقد فترت همتها ، تمرر ذراعها فوق جبينها)

من أجل لا شيء ! يا إلهي ! من أجل لا شيء . أجل من أجل شيء .

(تذهب إلى قطعة أثاث أخرى)

لقد أغلقها .

(تجرب بعض المفاتيح . تشد . تنفخ . تخدش أصابعها .

تسمع وهي تنوره ...

تأخذ سكيننا وتحاول فتح المزلاج بالقوة .

بسرعة ، بسرعة ، بسرعة ... أى !

(تجرح أحد أصابعها ، تمصه ، تلفه بمنديل وتعاود الكرة . وفجأة ينفتح الدرج . تطلق صيحة فرح ، وتنقب . تلقى بأوراق فوق الأرض فى هياج وأخيرا تسقط آخر خطاب ، تظل بلا حراك . تنظر حولها)

لا يوجد شئ بالمرة .

(تتداعى ، وتجلس القرفصاء ، وتبدأ فى جمع الأوراق واحدة واحدة . وفجأة تعثر على صورة فتنظر إليها مليا ، تداعبها بأصابعها ، تسوى شعرها ، وتمسح عينيها بتبسم لها)
مارك ، حفظتها ؟ حفظت هذه الصورة ! ومع ذلك فقد بحثت عنها ولم تشأ أن تخبرنى أنك تحتفظ بها هنا مع خطابات شبابك ، كأنها صورة صديقك ...

(لحظة)

صديقة ، أكمام ثوبها منتفخة عند الاكتاف . هل تكن لى إذن بعض الحب ، يا صغيرى ؟

(صمت)

هذا ممكن مع تلك ، أما أنا ؟

(تذهب إلى المرأة ، تتطلع إلى نفسها دون أن يتحرك على وجهها . وفجأة تمزق الصورة دون أن تنظر إليها . وعندئذ تبسم فى المرأة ، تمط شففتيها تدير رأسها قليلا .
تدلك تجعيدة)

لماذا ؟ لقد كنت نحيلة ، تبدو على البساطة . كنت كذلك !

ما أسهل ما كنت أعتقد فى الأمور ... والآن ؟

(تضع ذقنها على قبضتها ، تنظر إلى نفسها ، تبدو

عليها القسوة . تهز كتفها . يدخل مارك)

مارك : ماذا كنت تفعلين هنا ؟

الأم : كما ترى . أنظر إلى نفسى .

مارك : إنه وحيد تماما .

الأم : أجل لقد كنت فى أغلب الأحيان تتركنى وحيدة ، أنا التى

على قيد الحياة .

(يهز كتفيه ويهم بالانصراف ، يرى الصورة الممزقة .

يجمعها)

مارك : لماذا مزقت هذه الصورة ؟

الأم : لا أحبها .

مارك : ولكن أنا أحبها ، لماذا ؟

الأم : هذا من حقى . إنها صورتى . أليس كذلك ؟

مارك : (يصرخ) كلا !

(صمت ، ينظر كل منهما للآخر)

الأم : (بتؤدة) ولذلك فقد مزقتها .

مارك : (يعود فجأة إلى ركن المنضدة . يعيد تكوين الأجزاء .

ويدمدم . موجهها كلامه إلى الصورة)

أماه ...

الأم : إننى أبغض نفسى فى هذه الصورة ! كنت أفضل لو لم أكن فى يوم من الأيام تلك الفتاة البلهاء الواذعة التى وافقت على الزواج منه .

مارك : أماه .

الأم : (تتحدث إلى الصورة التى يمسكها مارك حتى لا تمزقها ثانية) ألم تكونى ترين إذن ، أيتها البلهاء ، أنه خرقة بالية ؟ كانت أسنانك بيضاء وكان جسدك غضا . وكان بوسعك أن تعثرى على شاب فى العشرين قوى يجعلك تعيشين الحياة . ولكنك كنت غبية ، ولم يكن فى بطنك شىء ! ولماذا لا أكون شابة الآن ؟

(صمت طويل)

إننى لم أصبح بعد على درجة كبيرة من القبح ، أليس كذلك يا مارك ؟

مارك : (يتحدث إليها الآن فى رفق) كلا يا أماه .

الأم : سترى الآن ، عندما أرفع رولات الشعر ، طبعاً أنا فى هذا المنزى أبدو كالمجنونة . يجب أن أشتري ثياباً وردية بمجرد أن ينقضى هذا الحداد ، وأحصل على أشياء بديعة . سنقوم ببعض التضحيات . أما بخصوص الحفل ، فقد أوصيت على معطف عند " لانجلوا " .

مارك : أجل ، يا أمى .

الأم : بصراحة يا صغيرى مارك ، لو كنت شاباً آخر ، هل كنت أروقك ؟

مارك : ولكن ... لست أدرى يا أمى .

الأم : دعك من هذا أيها الأبله ! يجب أن نكون الآن صديقين
كبيرين . يحكى كل منا أسرار له للآخر . مارك أنا لست
عجوزا ، أليس كذلك ؟ سيعود حتى لو لم أعطه هذه
النقود ؟

(مارك ، وقد ضغط أسنانه ، لا يجيب . الأم تبتسم
لنفسها وتواصل الغنج أمام المرأة)

إننى أبذو كالمجنونة لأن أعصابى هائجة . لقد أرسلت
إليه جورجيت وقد تأخرت .

مارك : هل أرسلت جورجيت ؟

الأم : ومن ترى أن أرسل ؟

مارك : ولكن هذا مستحيل يا أماه . فلن يلبثوا أن يعرفوها . لقد
انتهيت ...

الأم : وأنا أيضا أنتهى إذا لم يأت .

(جورجيت تدخل)

الأم : (تقفز نحوها) - آه ، إنها هى ! هل رأيته ؟ أين هو ؟

جورجيت : لقد رحل يا سيدتى ، ولم يترك عنوانه .

الأم : أين رحل ؟ هل ترك أسياده ؟ هل غادر المدينة ؟

جورجيت : لم يترك عنوانه . وقد أخذ معه حقيبته .

الأم : ولم يترك خبرا ؟

جورجيت : أبدا .

الأم : هل أنت متأكدة ؟

جورجيت : مادمت أقول لك ذلك ؟

(تظل الأم بلا حراك . وبدون أن تقول شيئا . مارك لا يتحرك أيضا ولكنه يتنفس بعمق . علامة فرح تغير وجهه شيئا فشيئا . وفجأة يسرع في السير كالمجنون خلال الحجرة . يذهب إلى النافذة ، يفتحها على سعتها ، يستقبل الهواء والشمس اللذين يدخلان .)

جورجيت : لم تأت أمس . ومع ذلك فلم يكن هناك ما يمكن أن يضايقنا .

مارك : (وهو يكاد يصرخ فيها) - لن آتى أبدا ! لن آتى ما حييت . إننى أهرب منك أنت أيضا ، أغربى عن وجهى . (يلقي بها خارجا ، ثم يعود إلى سيره . إنه فى سن العشرين . سيعيش مع تلك الفتاة الجميلة التى يحبها ، ينبغي أن يقول هذا لشخص ما ، يهم أن يقوله . يحجم .)

مارك : أماه ... أماه ... أماه ...

(يمسكها من كتفها ليعلمها بهذه الفرحة العظيمة ، ينظر إليها ، يتوقف . صمت)

سامحيني يا أمى .

الأم : (بسأم بالغ) - ماذا كنت تريد أن تقول لى ؟

مارك : (بصوت خفيض) - كنت أريد أن أقول إننى سعيد .

سامحيني .

(يتواجهان ... لا يجرؤ أحدهما على النظر للآخر . تأتى حركة سوقية مألوفة لديها لتجفف يديها فى منظرها . وهو

يلومها عادة على ذلك . يأتى حركة لا يكلمها . كلمة
لا تخرج من بين شفثيه . تشمشم ، تذهب إلى الزجاجة
وتصب لنفسها كأسا تشربها ، ثم تصب كأسا أخرى .

مـارك : أماء .

(تواصل الشرب دون أن تجيب)

أماء ، لا يجب أن تشربى بهذه الطريقة .

(نافرة) - دعنى !

الأم

(تواصل الشرب ، وتذهب لتجلس بعيدا . صمت) ومع

ذلك فكان لابد أن يحدث هذا .

مـارك : لا يجيب ...

(بقسوة ، وبحركة من كتفها كما فعلت قبل قليل) - دعنى !

الأم

(صمت آخر)

أما هذا فلم يكن إلا من أجل المال . أما الآخرون فربما
للحصول على امرأة لأننى لم أكن أطلب منهم شيئا . لأنه
كان من الأسهل الذهاب إلى البيوت . كان هذا سهلا .
كان الوضع دائما لا يختلف ، ومع ذلك فهذه المرة ، هو
الأخير . أنا الآن عجوز . لن يرغب فى أحد ، حتى
ولو كان ذلك أسهل . حتى البائعين المتجولين بين
القطارات يجب أن أدفع الثمن .

(تقف أمام المرأة)

فلأدفع نقدا حتى يرغبوا فى هذه العجوز .

(تمسح شفثيتها بطرف كمها ، كالمجنونة)

بلهاء ! بأحمرها ورولاتها لكى تكون جميلة . لم أعد الآن
فى حاجة إلى " رولات " لم أعد فى حاجة إلى فرد شعرى .
(تنزع رولاتها وتلقى بها فى الحجرة)

أه ! أيتها الخصلات الجميلة !... أه ! أيتها الصبغة
الإيطالية الشقراء التى تصبحين حمراء لأنك رخيصة
الثمن . تستطيع خصلاتى أن تصبح كما تشاء الآن .

ـ مارك : إن الشعر الأبيض جميل يا أماه .

الأم : أما شعرى فأصفر . أصفر قذر . ويمكنه أن يظل أصفر
بشعا ويتدلى كما يحلو له فوق تجاعيدى .

(تدعك وجهها)

فلا أحمر ، ولا أبيض ، ولا أسود . كعجوز ، عجوز دميمة
قذرة يتركونها فى ركن من الأركان دون أن يقولوا لها شيئا .
(تلتفت)

فلتسعد الآن . هكذا كنت تريد أن ترانى ؟

ـ مارك : أماه .

الأم : (تمسك بالزجاجة) سأكون أكثر هدوءا . سأصنع
لنفسى أطباقا صغيرة وسأشتري مشروبات روحية
أحبها . وسأقرأ الطالع .

ـ مارك : إنك تعذيبينى يا أماه !

الأم : لا ينبغى ذلك . ربما كنت أنت على حق ، فقد كانوا
يسخرون منى ، ولم تكن بى رغبة شديدة تدفعنى إليهم .
كان هذا نوعا من العادة ، كعادة الشرب .

(تأتي على كأسها دفعة واحدة)

ـ مارك : إنك تسرفين فى الشرب .

الأم : دع لى هذا على الأقل . كنت تفضل أن أكون عجوزا ،
تحب الحلوى كما يفضل غيرى . وربما كان هذا أليق بى .

ـ مارك : لماذا تقولين هذا ؟

الأم : سأحاول أن أحب الحلوى وأحيك الجوارب حتى تكون
مسرورا ... سأربى دجاجا وأرانب ، وأصايق عجائز مثلى ،
أذكر معهن الآخرين بالسوء .

ـ مارك : إن كل ما تقولين يبعث على السخرية .

الأم : أجل ، أجل . سأحصل على هذا كله . وإذا تزوجت أنت ،
مادمت تريد أن تتزوج ، فساكون خادمة لزوجك ، سأنزه
أطفالك لو قبلت هى أن تقوم أنت بإيوائى ...

(تنهار فجأة وهى تنتحب)

أوه ! ليس هذا صحيحا ... ليس هذا صحيحا . ماذا
فعلت إذن طوال هذه الفترة ، ماذا جنيت حتى ينتهى ذلك
الآن ؟ ليستنى أملك ذكرى لحظة من السعادة الحقه .
لحظة من الحب أو الحنان . ولكن لا شىء ! لا شىء غير
حركاتهم ، وأيديهم ، وشفاههم يفتر تلفها عاما بعد عام !
حتى ذلك الذى ذهب مع امرأة أخرى ، لأننى لم أستطع
أن أعطيه هذه النقود ...

(لحظة)

مارسيل ، هو الأخير . يجب أن أتذكر هذا الاسم . مارسيل !

(صمت)

لقد فزت يا مارك ، أنا عجوز ، وليس لى عشاق .
وسأصبح امرأة كريمة فلا تستمر فى هذا العناد . وليكن
أحدنا على الأقل سعيدا ...

مارك : لماذا يجب أن يكون أحدنا سعيدا ؟

الأم : (بعد صمت ، بصوت خفيض) - لأنك تبغضنى .

مارك : إننى أحبك يا ماه .

الأم : أنك تبغضنى وتخيفنى منذ اليوم الذى لم تعد فيه طفلا

صغيرا ، يقول لى كل شىء . إننى أذكر ذات مساء ،
كنت فى الحادية عشرة . وكنت قد عدت من المدرسة
بادى الإصرار . رفضت أن تلعب معى ومع الكلب
كالعادة . كنت وادعا ورزينا طوال المساء والأيام التى
أعقبته ، ولكنك كنت تقبلنى وشفقتك مضمومتان .

مارك : إن ذاكرتك قوية . إنه ذلك المساء .

(لحظة)

فاتنى موعد دخول المدرسة . فقابلتك مع رجل فى الطريق .

(صمت طويل)

الأم : هل شقيت لذلك ؟

مارك : هل تسأليننى ؟

الأم : لم كن أدرى ، لقد كنت صغير جدا .

مارك : لقد كنت دائما تظنين أننى صغيرا جدا . حتى بعد ذلك .

الأم : وأنا أيضا كنت بأسرة بسبب شفقتك المضمومتين . وبدأت أخشاك .

مارك : وبدأت لا أقول لك شيئا .

الأم : كنت أعتقد أنك تكرهنى . وأنت تفضل أباك على . أه !

لماذا لم تخبرنى فى ذلك اليوم بما كان يشقىك ؟

مارك : كنت أشعر أن الأطفال لا يستطيعون أن يتحدثوا فى هذا

الامر إلى أمهاتهم . وفضلا عن ذلك فلم أكن أدرى

معنى ذلك بالضبط . ثم حتى لو كنت أخبرتك كنت

ستظنين أننى طفل . وكنت ستستمرين فى ذلك الطريق .

الأم : لم أكن أحبهم .

مارك : وذات مرة ، رأيتك مع رجل تشيكي يسكن عندنا . رأيتك ،

فاهمة ، رأيتك داخل حجرتك .

الأم : مارك ...

مارك : ولابد أن ذلك كان السبب الذى جعلنى أخشى الحب زمنا

طويلا .

الأم : مارك ، وهذا أيضا لم أكن أحبه . كان يضربنى .

ولم أكن أحبهم ، لم أكن أحب سواك . ولكنك لم تكن

تتحدث معى أبدا ، كنت تتركنى وحيدة مع أبىك الذى كان

يبغضنى وأبغضه . لو أنك كنت تقول لى كلمة واحدة ...

مارك : لقد كنت تحبين الجنس .

الأم : ربما ليس ذلك أيضا .

(لحظة)

كنت بكل بساطة أخشى أن أظل بالقرب من ذلك الميت .

كان دائما على صواب وكان يضحى دائما . ولكنه كان

ينغص حياتى كل يوم بمسائل نقوده ... كان لابد أن
أهجره ، وأن أستمع إلى صوت آخر وأن أشعر بذراعين
وجسد يفيض حياة بالقرب منى ، جسد يضحك ، ويتعذب ،
ويتكلم وينفق نقوده ، باختصار جسد يتحرك ...
ألا تفهمنى ؟ ألا تفهم أننى كنت ميتة تريد أن تمسّ
الأشجار والدواب والأحجار الدافئة ؟

مـ ا ر ك : (بعد لحظة صمت ، ورأسه بين يديه)

بلى ، إننى أفهم .

الأم : لم أكن أذهب معهم فى أغلب الأحيان إلا لكى يكون أحد
إلى جوارى ، لكى أفر من ذلك الجسد الهزيل ، من ذلك
الصوت الأجوف ، من تلك الحسابات التى كان يقوم بها
حتى خلال أحلامه . الحب ؟ أوه أجل - لكم كنت أثق فيه
وأنا صغيرة ...

مـ ا ر ك : ألم يحبك أحد فى حياتك ؟

الأم : أبدا . كنت أبحث . كنت أبحث عن رجلى بين جمع هؤلاء
الرجال ، ولكننى طبعاً لم يكن بوسعى أن أجده بينهم ...
لو لم تعد ذات مساء بجبين بادى الإصرار ، ولو أنك
تحولت بكل وداعه من طفل صغير إلى رجل بين ذراعى ،
فلربما بقيت بالقرب منك . فلا بد وأن الأخريات يفعلن ذلك .
ولكننى أصبحت جميلة فى نظرك . ولأبكىتنى ، ولأسعدتنى
ولما شعرت بحاجة إليهم .

(لحظة)

وكانوا مع ذلك يتشاجرون معى بسببك ، فقد كنت
أدعوهم باسمك عندما أكون شاردة الذهن .

مارك : صحيح ؟

الأم : وعندما كنت تمرض ، كنت لا أقابلهم حتى ولو توسلوا
إلى . وعندما كنت تسرف فى البكاء ، كنت أعود بسرعة .
انظر ، لقد كنت أفعل كل ما أستطيع .

مارك : (يكاد يبتسم) - كل ما تستطيعين .

الأم : لماذا تبتسم ؟

مارك : لماذا لم أوت القوة التى أستطيع بها أن آخذ بين ذراعى
هذه الطفلة الكبيرة، هذه الطفلة العجوز ؟

الأم : تسخر منى ! ليس هذا لطيفا منك .

مارك : كلا ، إننى أنصت إليك . إننى أتصور أنك أُمى وأشعر
أننى عجوز .

الأم : لم تكن أبدا مثل الآخرين . فعندما كنت صغيرا ، كنت
رزينا وواثقا من نفسك كالرجال .

مارك : كان ينبغى ذلك . هل كنت ، أنت ، واثقة من نفسك ورزينة
يوما واحدا فى حياتك ؟ هل كان هو رجلا مرة واحدة ؟

الأم : (تتفحص) - لا تحدثنى عنه . هل تعتقد أنه تعذب
يا مارك ؟

مارك : لقد قال الطبيب ذلك .

(تذهب إلى المرأة . تنظر إلى نفسها ، تجذب خصلاتها
فوق عينيها)

الأم : هل عثرت على نقوده فى منضدة السرير ؟
ـ مارك : لقد عهد بها إلى أخيه . ولقد أعطانى إياها قبل لحظة .
الأم : أه !

(صمت . لاتزال تنظر إلى نفسها فى المرأة . فجأة
تسرع إلى مارك . تتعلق به ، تركع وتتشبث بركبتيه)
لن تهجرنى يا مارك ؟ لن تهجرنى ؟ لن تدعنى وحيدة
تماما ؟

ـ مارك : أعدك بذلك
الأم : إننى أريد أن أكون عجوزا ، ولكننى لا أريد أن أكون
عجوزا وحيدة فى بيت ، تعيش مع أفكارها . لابد لى ممن
يتحدث معى ، ويثير الضوضاء من حولى ، ولكن لا ينبغى
أن أترك وحيدة ، ولو للحظة واحدة .

ـ مارك : لسوف نكون كثيرين حولك يا ماه . وقد يصبح هناك
أطفال يثيرون الضوضاء .
الأم : أوه . ولكننى لن أستطيع أن أراها ، هى ! فلسوف
تكرهنى .

ـ مارك : كلا . سوف تحبك . إنها تعلم كل شىء .
الأم : ولكننى دميمة ضخمة . قبيحة لا أهتم بنفسى ، كما تعلم .
ـ مارك : سنشتري لك أثوابا تليق بك ، سننظم كل شىء هنا .
فيجب أن تكونى فى هيئة حسنة .

الأم : كنا سنصير على ما يرام وحدنا . لماذا تريد أن تذهب
معها ؟

مبارك : لأنها هي أول من بين لى أنه من الممكن أن يجد الإنسان
كتفا يستند عليها ويستريح . وأنه من الممكن ألا نظل أبدا
ننقد الآخرين. ونفكر فى الآخرين .

الأم : لا أريد أن أراها .

مبارك : قد أنغص عليك بدورى قليلا ، ولكننى أريد أن أقولك هذا .
لقد عذبتنى وأخجلتنى وجعلتنى أحبك وأبغضك كامراة .
لقد كنت بالنسبة لى امرأة تزوجتها منذ مساء أكتوبر ،
وتخوننى . لقد حلت مكان جميع النساء . لم أستطيع أن
أكون غرا معهن مرة واحدة ، وأن أسعد لكونى غرا . كن
يتعجبن أن يرين شابا فى العشرين يعرفهن إلى هذه
الدرجة الكبيرة . أما وضعى مع " جاكلىن " فكان على
النقيض من ذلك ، فقد اكتشفت معها هذه القوة الهائلة ،
هذه الطيبة البسيطة التى يستطيع الإنسان أن يخبئ
فيها رأسه ، فى المساء ، حينما يستولى عليه الشر
أو يملكه الجبن الشديد . إننى أتمنى لو تفهميننى : إننى
أحبك ولكننى أعاملك على أنك طفلة أتوقع منها دائما
نزوة لا تلبث أن تشقىنى . طفلة لا أستطيع أن أونبها
لأننى لا أملك الشجاعة . لكى أراها تبكى ... إننى معك
عجوز حزين . أما معها فعلى النقيض من ذلك ، أستطيع
أن أكون طفلا ، أنا ، لأول مرة فى حياتى .

(يقف . يصيح بهذه الكلمات الأخيرة بسعادة بادية على وجهه ، كما حدث قبل لحظة . صمت . الأم تنقبض ، تعيد شعرها على عينيها . تجاعيدها تغور)

الأم

: إننى أكرهها .

ـ مارك : لا ينبغي ذلك يا أماه . لسوف تحبينها ، أنا واثق من ذلك فهي جميلة .

الأم

: وأنا قبيحة ، أنا !

ـ مارك : إنها طيبة ، تعرف كل شئ . وسوف تساعدك على الخلاص .
الأم : وأنا شريرة . لا أريد لأحد أن يخلصنى .

ـ مارك

: ستكون وادعة صبورة . إنها تعرف العبارات والنظرات التى نجهلها والتى تقتل الشكوك والأفكار الخبيثة .

الأم

: أريد أن أظل فى ركنى كما أنا . مادمت تخجل منى ، مادمت وحشا ، أريد أن أظل هنا ، لا أقوم أبدا ، ولا أتحرك أبدا ، ولا أفكر أبدا وبخاصة لا أفكر أبدا .

ـ مارك

: ماذا بك ؟

الأم

: لا أريد أن أراها ، تلك التى تتمتع بجميع الخصال الحميدة . فسأخفيها .

ـ مارك

: لماذا تريد أن تعذبنى مرة أخرى ؟ سترينها . سنكون سعداء معا وأنا واثق أنك ستكونين جدة طيبة .

الأم

: (ساخرة) أنا جدة ؟ ...

ـ مارك

: لماذا تتخذين هذه الهيئة البغيضة . إنك تحبين الأطفال الصغار .

الأم : (ساخرة) لقد قتلت منهم الكثيرين .

ـ مارك : أماه . أتوسل إليك . يجب أن تكونى سعيدة معى ، لكى تمنحني الحق فى أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : أنا ، جدة ... حينئذ ستكون لدى قصص جميلة أحكيها لأولادك ، قصص تميتهم من الخوف .

ـ مارك : أماه ...

الأم : إننى أطلب منك ألا تمسنى .

ـ مارك : لماذا ؟

الأم : فإننى أنفرك . وأخجلك وأبعث على اشمئزازك !

ـ مارك : ولكنك مجنونة يا أمى . أقسم لك أنك لن تبعثى على اشمئزائى أبدا .

الأم : (تصرخ فيه) - لو قلت لك ...

ـ مارك : ماذا ؟

الأم : لو قلت لك . وغفرت لى لأصبح كل شىء ميسورا .

ـ مارك : ولكن ، ماذا ؟

(صمت)

الأم : لا شىء . أنا مجنونة . أنت على حق .

(صمت آخر)

ـ مارك : إننا لا نستطيع أن نظل على هذه الحال ، وهذا الحرج يقوم بيننا . ماذا كنت تريد أن تقولى ؟

الأم : يبدو لى أنه قد يتوقف عن تحريك ساقيه وإدارة عينيه ، لو كنت معى . كان هذا يحدث دائما . فما إن كان يشعر بك معى ، حتى يخاف .

مارك : عمن تتحدثين ؟ وممن تريدین أن أحملك ؟

الأم : منه .

مارك : ولكنه الآن ميت .

الأم : أجل إنه ميت .

(صمت)

مارك : فماذا ؟

الأم : لا شيء يا مارك . إننى لا أدرك ما أقول .

(تشرب . ينظر إليها دون أن يقول شيئاً . صمت طويل)

الأم (تهم بالخروج) سأذهب لأرتدى ثياباً أليق من هذه .

مارك : (يوقفها) - أماء .

الأم : ماذا تريد ؟

مارك : لقد كنت تكرهينه ، ومع ذلك فإن تلك الحياة الطويلة

المشتركة قد خلقت بينكما نوعاً من العادة ؟

الأم : ربما

مارك : حينما كان يتعذب ، حينما كان يصرخ أمس فى سريره ،

هناك ، كنت ...

(ينظر إليها)

إننى مجنون .

الأم : أجل ، إنك مجنون ، دعنى .

(تتقدم خطوة)

مارك : أماء .

(تتوقف)

كنت تكرهينه ، ولكنك فى الواقع كنت لا تتمنين له
مكروها ؟

الأم : لست أدرى .

ـ مارك : ففى تلك الكراهية ، كان هناك جانب من التبرم ، من
الحقد على حياتك الفاشلة ، وليس عليه هو ؟

الأم : كلا ، عليه هو ؟

ـ مارك : ومع ذلك . فحينما كان يمرض كنت تعين به فى كل مرة .

الأم : صحيح ! لقد اعتنيت به . إن مكافحة الأمراض ، عملية
انعكاسية ، لا إرادية .

ـ مارك : كان من الممكن أن تكرهيه . ولكنك لم تكونى تتمنين له
هذه الآلام المبرحة التى قاساها .

الأم : الآلام ، لا .

ـ مارك : ولا موته أيضا .

الأم : كلا . لقد كنت دائما أتمنى له الموت .

ـ مارك : ليس هذا صحيحا يا أماه . وإلا لما اعتنيت به فى كل مرة
كنت تفعلين ذلك وحينما كان يتأخر فى الرجوع مساء ،
كنت تشعيرين بالقلق فى بعض الأحيان . فقد كنت
تخشين أن يقتل نفسه من الإرهاق .

الأم : (بابتسامة رهيبية) لأننى كنت أخاف من الدم ، من الجثث .

ولكننى كنت أتصور الجنازة ثم الحرية ... حريتى !

ـ مارك : أوه ! إنك فظيعة .

الأم : لقد قلت لك ذلك .

مارك : ولكن أية مصلحة ، وأية سعادة يمكنك أن تنتظرها من وراء موته ؟ فقد كنت حرة وكان بوسعك أن ترحلى منذ زمن بعيد .

(لا تجيب)

من الممكن أنك كنت تتمنين موته كما كنت أتمنى أنا موت عشاقك . دون أن تؤمن بذلك كثيرا .

الأم : (تمرر يدها فوق جبينها)

أجل ، ربما . دون أن تؤمن بذلك كثيرا .

مارك : انظري ، ما كان ينبغي ذلك . لقد جاء الموت من تلقاء نفسه ، والآن تشعرين بالخوف لأنك كنت تتمنيّه .

الأم : أجل .

مارك : (يمسكها)

أيتها الأم العجوز المسكينة ! لا ينبغي أن تشعرى بالخوف ، فربما كان هو أيضا يتمنى موتك . يجب أن تحاولي أن تكوني سعيدة . بلا أفكار شريرة .

الأم : أجل . بلا أفكار شريرة .

مارك : إنك بالقرب منى . لا تخشين شيئا ؟

الأم : ألن تهجرنى يا مارك ؟

مارك : نعم لن أهجرك ، يا أماه .

(صمت)

الأم : هل صرحوا بدفنه ؟

مارك : أجل . منذ لحظة . لماذا تسأليننى عن ذلك ؟

الام : أبدا . كنت أريد أن أعرف . فلما كانت هناك حالة تسمم ،

فقد كان بوسعهم أن ...

مارك : كان بوسعهم ... ماذا ؟

الام : لا شيء . إجراء تحقيق .

مارك : لماذا ؟ لقد عثروا على آثار نبات الفطر الذى تسبب فى

الوفاة إنه أصفر صغير ، ومفعوله مدمر . الحالة واضحة ؟

الام : أصفر صغير ؟

مارك : أجل . أصفر صغير . مسكين والذى العجوز كان يعتقد

أنه من المستحيل أن يصاب بنبات الفطر .

الام : كان دائما يعتقد أنه لا يُهزم . كان يلقي الآخرين دروسا

عن كل شيء . هو الذى لم يكن قادرا على شيء ... كان

يُذعر عندما تقترب من حصاده . ومع ذلك ، فكان يجب

فى كل مرة أن أقوم أنا بتنقيته . يالغباء .

مارك : هل قمت بتنقيته أول أمس ؟

الام : كلا . لم أفعل ذلك أول أمس . كنت ثائرة الأعصاب .

بل إننى لم أدخل المطبخ . ويمكن أن تخبرك جورجيت بذلك .

مارك : ومع ذلك ، فإننى أتذكر الآن أنها جاءت تبحث عنك لكى

تطلب منك أن تقوم بتنقيته . وكانت تقول إنها غير

متأكدة من جمعه .

الام : لا أذكر ذلك . لا بد وأنت مخطئ .

مارك : حينما جاءت تبحث عنك . ذهبت أنت معها .

الام : أنا لم أدخل المطبخ .

مارك : (يصيح فجأة) - ولكن لماذا تقولين ذلك ؟ لقد نزلت أنا بعد ذلك .

قرأيتك بعينى فى المطبخ ...

الأم : مادمت لا تريد أن تصدقنى ، فلا تصدقنى .

مارك : ولكننى أريد أن أصدقك يا أماه . أريد ذلك بكل قوائى .

ينبغى أن أصدقك ، ولكن لا تقولى كذبا ، كذبا لا يجدى .

الأم : إننى لا أقول كذبا .

مارك : لا تلحى ، أتوسل إليك . إن الأمر بسيط جدا . فلماذا

هذه الكذبة التى يمكن أن تجعلنى أظن الظنون الخاطئة ؟

الأم : لم أكن فى المطبخ ، قلت لك .

مارك : ولكننى رأيتك يا أماه ! مررت من باب الحديقة ، واجتزت

الحجرة ، كنت أسرع وكنت أنت هناك . عن يمينى .

(يصيح)

أماه لقد كنت أمام المنضدة ! إننى أستعيد منظرك الآن .

كنت تقومين بتنقية نبات الفطر هذا ؟

الأم : أنت تكذب .

مارك : ولكن لا تقولى هذا ! الأمر بسيط بكل تأكيد . وأنت

تعلمين تماما أننى لا أفكر فى اتهامك بشيء ... من

الممكن جدا أن تكونى قد انتقيت نبات الفطر شائك فى

المرات الأخرى ، ولم تعرفى الفاسد منه . هو ذاك ، أليس

كذلك ؟ هو ذاك ؟ أنت لا تعرفين .

الأم : أجل ، أنت على حق لم أكن أعرفه .

مارك : هو ذاك ، هو ذاك . فأنت لم تشاهديه . لقد أخبرنى الطبيب أنه يوجد منه كمية ضئيلة جدا فى الإقليم . وأنه يوجد بنوع خاص فى مناطق الألب . فى مسقط رأسك . فإذا كنت رأيته فلم يكن ذلك إلا هناك ، فى الماضى . إنه صغير أصفر ، صغير جدا ...

(يتوقف ، مذهولا . ينظر إليها . صمت طويل جدا . لا يكاد يهتم)

لقد قلت لى قبل برهة إنه أصفر صغير . إذن فقد رأيته ؟ كنت تعرفينه ومع ذلك فلم تتعرفيه . لقد أسأت تنقية نبات الفطر ، ولذلك فأنت تشعرين بالخجل ... كنت مريضة ، شاردة ؟ ولكن أجيبينى ، أجيبينى بـ " أجل " !
الأم : لم أعد أدرى ، يا مارك . إننى أفقد صوابى أمام هذه الأسئلة التى توجهها إلى . لا تسألنى عن شىء . إننى فى غاية الشقاء ، فى غاية الضياع . صحيح إننى طفلة ، إننى طفلك الصغيرة بدورى . فدونك أكون وحيدة تماما . أنت الذى كنت دائما تنقذنى من كل شىء . فخذنى بين ذراعيك كما فعلت قبل لحظة . أتوسل إليك .

(تجلس القرفصاء عند ركبتيه)

مارك ! أريد أن أكون جدة كما وعدتنى . أريد أن أكون عجوزا طيبة ، مستقيمة . جدة لها حفدة . لن يخافونى ، أقسم لك . سوف أضحكهم ولسوف ألعب معهم لعبة الطلبة والكلب ، كما كنت أفعل معك حينما كنت صغيرا .

ماذا تريد أن تسألني ؟ لماذا أسئلتك تخيفنا نحن الاثنين ؟
مارك ، أريد أن أكون سعيدة كما وعدتني ولا أفكر في شيء .

مارك : لماذا لم تحسني تنقية نبات الفطر ؟

الأم : لم أعد أذكر . لقد قمت بتنقيته كالمرات الأخرى . وأؤكد لك .

مارك : لماذا لم تلقى بالفاسد منه ؟

الأم : لأنني لم أكن أعرفه يا عزيزي ! هذا أمر بسيط . ماذا

تريد أن تعرف أكثر من ذلك ؟ صدقني .

مارك : أريد ذلك يا أماه . أريد أن أصدقك . ولكنه نبات فطر من

مناطق الألب . وكنت فتاة في ذلك الريف . وقد رأيته .

الأم : أقسم لك أنني لم أره .

مارك : أنت ترين جيدا أنني لا أستطيع أن أصدقك ! فقبل برهة ،

قلت لي إنه كان أصفر صغيرا .

الأم : قلت ذلك ، أجل . ولكن ذلك لأنني لابد وأنني سمعت

الطبيب يقول ذلك . أجل هو ذاك ، هو ذاك . لقد سمعت

الطبيب يقول ذلك . لا داعي للبحث لا داعي أبدا للتساؤل .

مارك ، خذني بالقرب منك ... تبحث ثانية ؟ ماذا إذن تريد

أن تعرف ، لكي نتعذب نحن الاثنين ؟

مارك : الحقيقة . وسأعرفها : ولو كانت أرهب حقيقة .

الأم : لا ينبغي ذلك يا مارك ، لا ينبغي !

مارك : (ينادي) جورجيت .

الأم : مارك ، أتوسل إليك ، إن حياتنا يمكن أن تصبح سعيدة

لو شئت ... أقسم لك إنك أخطأت ، نحن ضحيتان

للابسات فضيعة ، لأسرار لا نعرف كيف نهرب منها .
لا يجب أن تسأل أكثر من ذلك .

مارك : جورجيت .

الأم : مارك . كلا . يا مارك ، أنت شاب ، طيب . وستحصل
على هذه الفتاة الجميلة التي تشبهك كثيرا . فاسعد ،
ودعني أنتهي في هدوء ، دون أن تسألني عن شيء .
فما جدوى ذلك الآن ؟ قل ما جدوى ذلك ؟

مارك : جورجيت .

(تدخل)

جورجيت . أنت . ألم تكوني متأكدة من نبات الفطر الذي
جمعه والدي أول أمس ؟

جورجيت : كلا ، يا سيدي مارك .

مارك : هل قمت بتلقيته ؟

جورجيت : أنا لا أفهم شيئا .

مارك : وسيدتك هل قامت بتلقيته ؟

(جورجيت لا تجيب)

أجيبى .

(جورجيت تنظر إلى الأم)

الأم : أجيبى يا جورجيت ! فقد كنا معا ، كما تذكرين . وقد

تخلصت مما اعتقدت أنه فاسد .

جورجيت : لقد ألقيت ببعضه ، هذا صحيح .

مارك : هل لاحظت بعضا منه كان أصفر صغيرا في الطبق
الذي قدمته إلى والدي ؟

جورجيت : زهور سقوط .

مارك : زهور سقوط ؟

جورجيت : هكذا نسميها فى بلدتنا .

مارك : هل كنت تعلمين أنها سامة ؟

(صمت)

الأم : (تندفع نحوها)

جورجيت ، أظن أنك لن تكذبى الآن ؟ وتقولى إنك

أخبرتني بذلك . ليس هذا صحيحا !

مارك : دعينا .

(يدفعها بحركة عنيفة)

لو سمحت ، أجيبي ، هل كنت تعرفين ؟

الأم : كلا ! لم تكن تعرف !

مارك : هل كنت تعرفين أيتها الفاجرة ؟

(يلوى رسغها)

جورجيت : آى !... إنك تؤلنى .

مارك : سأظل ألقى حتى تجيبي !

الأم : ولكن لماذا تريد أن تجيبك ؟ ستكذب .

جورجيت : آى ! آى ! آى ! أجل . كنت أعرف .

(يتركها . صمت طويل . الأم ، منبطحة تكرر أليا)

الأم : إنها مجنونة ... إنها مجنونة ... إنها مجنونة ...

مارك : لماذا قدمته له مادمت كنت تعرفين ؟

جورجيت : (تصمم فجأة) - إنها سيدتى التى أمرتنى بذلك . قالت
لى إنها ستعطينى خمسمائة فرنك حينما تحصل على
العشرة آلاف فرنك .

(مارك لا يتحرك . الأم تصبُ لنفسها لكى تشرب دون
كلام)

جورجيت : (تدعك رسفها) - لقد أخبرتك أنت بذلك . ولكننى
سأسكت من أجل الشرطة . إنه الآن سر بيننا نحن
الثلاثة .

(صمت آخر)

لن أذيعه أبدا ، بكل تأكيد . كل ما هناك أنه يجب
إعطائى الخمسمائة فرنك . ويجب أن يكون سيدى مارك
لطيفا معى .

مارك : (يصرخ فجأة كالمجنون)

جاكلين ! جاكلين ! أنقذينى .

تسدل الستارة

الفصل الثالث

الديكور نفسه

(مارك فى فراشه . نائم . الصباح . الشيش مغلق . شعاع من الشمس . الأم تجلس القرفصاء أسفل السرير . تتطلع إلى مارك دون حراك . هناك إحساس بأنها فى هذا الوضع منذ فترة طويلة . صمت طويل . مارك يتقلب فجأة وهو نائم ، ينكشف ، تغطيه ، ينكشف مرة أخرى) : تغط إذن . مالك تضطرب ؟ لابد أنك تحلم أحلاما مزعجة . والذنب ذنبى .

الأم

(مارك يمرر ذراعه على جبهته عدة مرات)
أطرد هذا الكابوس ، اطرده ... أه تبتسم الآن ، لابد أنك لم تعد تفكر فى . هذا أفضل .
(تشرب وتعود إلى حلمها)

أنت جميل وأنت نائم . كم ستكون سعيدة معك ، تلك الفتاة . أنت تعرف كيف تسوى أمورك بكلمة واحدة وتتغلب على كل المشكلات . تنفذ كل شىء بنظرة

أو بإيماة . ما أجملك وأنت نائم . لم أكن أدري يا حبيبى ،
لم أكن أدري . كنت أبحث كالبلهاء بين الرجال . لو كنت أعرف ...
(صمت طويل . يتحرك)

هذه آخر مرة تنام فيها فى سريرك الصغير . أصبحت
تفرز منى وستذهب إلى حال سبيلك . أه ليتك توافق على
البقاء هنا معنا . قليلا فقط ... حتى لا يكون عثورى عليك
وفقدك فى يوم واحد .

(صمت)

إنك حتى لا تجربين على أن تطلبى منه ذلك ، أيتها الأم
البلهاء . أم جميلة .

(تشرب)

بهذه الكئوس الصغيرة وهذا البرنس .

(جورجيت تدخل)

(الأم تشير لها بالآ تحدث ضوضاء)

ما يزال نائما .

(صمت)

جورجيت : ومع ذلك فعليك أن تصلحى من هندامك قليلا ، وأن
تنظفى نفسك على الأقل ، وتمشطى شعرك .

الأم : فيم يفيد ذلك ؟

جورجيت : هكذا تستطيعين الإبقاء عليه .

الأم : لم أعد أملك طريقة للإبقاء عليه . ولم أوت طريقة على الإطلاق .

لو كان صغيرا ، فريما حاولت أن أتحدث إليه ، أما الآن ...

جورجيت : ومع ذلك فيستحسن أن تنظف نفسك وأن ترتدى ثوبا .

(لا تجيب . تشرب)

وَألا تشربى بهذه الكثرة .

الأم : لا تضايقينى ، أنت الأخرى ؟

جورجيت : ومع ذلك فليس هذا أمرا عاديا ، أن تهمل امرأة نفسها وتشرب بهذه الطريقة .

الأم : دعينى وشائى .

جورجيت : إذا أردنا أن نشير إعجاب الرجال فعلينا بالنظافة . هذا هو الشرط الأول .

إننى أعرف تماما أن هذا أمر ليس مسليا دائما ... ثم إنك تستيقظين متأخرة عنى . فلديك الوقت .

الأم : لا أريد أن أثير إعجاب الرجال .

جورجيت : هذا كلام .

الأم : لقد انتهى الأمر .

(صمت)

جورجيت : والسيد مارسيل هذا - كان مع ذلك يبدو محبوبا .

الأم : ربما . لست أدرى .

جورجيت : كان حسن الهيئة . ليس كسابقه . وحينما كنت ترسلينى إليه برسالة كان يحاول أن يقترب منى . الرجال كلهم

متشابهون . أنا لا أقول ذلك لكى أغضبك .

الأم : ليتك تعلمين أن هذا لا يهمنى .

جورجيت : أما بخصوص السيد مارسيل فقد كان الأمر مفاجئاً .
ومن شأن هذا أن يحدث صدمة حينما تكون الواحدة منا
متعلقة .

الأم : يحدث صدمة ، أجل . وبعد ذلك نكف عن التفكير فيه .
جورجيت : يجب أن نبقى عليهم دائماً . فما إن نتركهم حتى يذهبون .
إن منهم من يسهل الإبقاء عليهم .

(تنظر إلى مارك بقسوة)

الأم : إنه جميل ، أليس كذلك ؟
جورجيت : (ببرود) أجل . ولكنه يؤلم . إنه ماجن . ثم إن الأمر معه
لم ينته .

الأم : (بالقرب من السرير) وأنت أيضاً يا صغيرى تعلم أن
الأمر لم ينته ؟

جورجيت : علماً بأننا لو كنا نصده فى تلك الأوقات ، لقتلك .
الأم : (تكرر) لقتلك ... ولا تريد أن تصفح عنى ...

(صمت . تنظر إليه)

إنه جميل . أليس كذلك ؟

جورجيت : (كما فعلت قبل برهة)

أجل

الأم : سيرحل غدا . يريد أن يعود إلى الأخرى .

جورجيت : كلا . سيرحل بمفرده .

الأم : هل أخبرك بذلك ! متى ؟

جورجيت : هذه الليلة .

الأم : هل كنت هنا ؟

جورجيت : أجل .

الأم : هل استيقاك ؟

جورجيت : أجل .

الأم : هل كان يرغب فيك ؟ هل كان ...

جورجيت : أجل .

الأم : وأخبرك ! وأخبرك بما سيفعله ؟ إذن فهو يثق فيك ؟

إذن فهو يحبك ؟

جورجيت : (تهز كتفها) إننى أعجبه . وسينقضى ذلك .

الأم : لو أنك ، يا جورجيت ، تجعلينه يبقى ؟

(تهز كتفها)

مادام يريد أن يرحل بمفرده . مادام لن يعود إلى

الأخرى ، فهذا ممكن .

جورجيت : ربما .

الأم : جورجيت ، أنك تستطيعين أن تجعليه يبقى إذا كان يرغب

فيك . اجعليه يتعلق بك أكثر . اجعليه لا يستغنى عنك .

حينئذ لن يقوى على الرحيل .

لماذا لا تردين على ؟

جورجيت : إنه شبه مجنون . إنه يعذبني .

الأم : ولكنك سعيدة معه . هل تحبينه ؟

جورجيت : كلا .

الأم : سأعطيك مالا إذا أبقيت عليه .

جورجيت : كلام . إنك حتى الآن لا تستطيعين أن تعطيني الخمسمائة
فرنك .

الأم : سأبيع بعض الخواتم . سأعطيك إياها .

جورجيت : إنه يعذبنى .

الأم : ذلك لأنه يحبك ، أيتها الصغيرة البلهاء . جورجيت ، إذا

رحل فعلى السلام ، إننى وحيدة مع جثة الآخر الذى

يلاحقنى . وأنا الآن غير قادرة على حب الرجال الآخرين .

إنه هو الذى كنت أنتظره يا جورجيت . إن احتفاظنا به ،

وعدم بقائنا وحيدتين فى هذا المنزل ، أمر يرجع إليك أنت .

ألا يهكم هذا الذى أقوله لك !

جورجيت : أنا أستطيع العثور على آخرين .

الأم : ليس فى جماله ولا فى طبيته .

(تصرخ)

جورجيت : حذار . فستوقظينه .

الأم : (برقة) ليس فى قوته ، ليس فى رفته ...

جورجيت : إذن ، يجب أن تزيدنى . فقد عرض على أكثر .

الأم : سأزيدك . أعدك بذلك .

جورجيت : تزيدنى مائة فرنك ؟

الأم : أجل . مائة فرنك .

جورجيت : ثم إن العمل هنا شاق .

الأم : ستترلين متأخرة . وسأصبحو أنا أولاً . وسأقوم بالأعمال

التي تضايقك إذا بقيت .

جورجيت : (بارتيا ب)

ستغسلين الآنية ؟

الأم : أجل ، سأغسل الآنية . انظري إليه ، أيتها الصغيرة
البلهاء . أتظنين أن بوسعك أن تعثرى على عاشق آخر
كهذا ، أو يحبك مثله ؟

جورجيت : إننى كما تعلمين أفضل لو أحبنى أقل من ذلك ...
الأم : لا تقولى هذا ! إنك بلهاء . هذا لأتلك طفلة . لا بد من أنك
تعرفين كيف تسعدينه وتصبحين سعيدة . يجب أن
تعرفى . تضايقيه ، تعذبيه ، يكون فى قبضتك .
(صمت ، تمرر يدها فوق جبينها)
سأعلمك .

جورجيت : أجل ، فأنت تجيدين ذلك ، أنت .

الأم : (بون أن تسمعها) - ما فائدة ذلك ؟ المهم أن يبقى ...
سأعلمها .

جورجيت : كل ما هناك أنه يجب عليك أن تساعيدى . فلو أنك
دفعته إلى الرحيل كلما نظر إليك ، فإننى لا أضمن شيئا .
: سأصلح من هندامى .

جورجيت : إذا كان يحبك عجوزا ، فلا يجب أن تقاومى . فإننى
أتركه يفعل بى ما يشاء . لا ينبغي أن نتعب أنفسنا فى
محاولة الفهم .

الأم : أنت على حق . سأفعل ما يريد . سأمارس التمرينات
الرياضية .

جورجيت : الشرب هو الذى يزيد وزنك .

الأم : لن أشرب أبدا .

جورجيت : هناك أشياء كثيرة فى هذا البيت لا تعجبه . فأنا أعرفه .

الأم : سنقوم بعلاجها كما تريدين .

جورجيت : أجل . يجب طاعتى فى كل أمر إذا كنت تريدين أن ننجح

فى الإبقاء عليه هنا .

الأم : سأنفذ كل ما تريدين .

جورجيت : حسن . سأسخن لك ماء . أولا سأحمل هذه الزجاجاة .

الأم : خذوها .

(جورجيت تخرج)

سأعلمها يا مارك كيف تصنع . وسوف ترى . ستكون

سعيدا . ستبقى يا حبيبى . وحينما تملها سنبحث لك عن

أخرى . لكى تبقى معنا ...

(لحظة صمت ، تتأمله)

مارك : (يفيق من النوم)

أنت هنا ؟

الأم : نعم .

مارك : (فى اللحظة التى لا نذكر فيها شيئا)

جورجيت : أولا ، يجب أن تكونى نظيفة . وأن تتركى هذا المنزر . وأن

تلبسى جوارب .

(تلمس بطنها)

تقللى وزنك .

مارك : صباح الخير يا أماه . كنت أحلم .

الأم : صباح الخير يا صغيرى ...

(تهم بالاقتراب)

مارك : **(بقسوة)** أه ! اعتقدت أننى كنت أحلم . هل أعددت

حقيبتى ؟

الأم : ليس بعد .

مارك : سأقوم وأعدها بنفسى .

الأم : نم خمسة دقائق أخرى وسأعدها لك ، كما أعددتها لك

حينما ذهبت لقضاء الخدمة العسكرية .

مارك : كلا .

الأم : هبنى هذه المتعة يا مارك . فما عسى يكلفك هذا ؟

(يسقط على السرير من جديد . تبدأ هى)

هل ستأخذ جميع المناديل ؟

مارك : أجل ، جميعها .

الأم : وجميع القمصان ؟

مارك : أجل .

(صمت)

الأم : ألن تعود إذن ؟

مارك : بلى .

الأم : سترحل معها ؟

مارك : لا تكلمينى .

(صمت)

إننى مضطر لأخذ نصف هذه النقود لكى أعيش فى انتظار أن أجد عملا .

وسأرسل إليك بها . أما الباقى ففوق المدفأة ، تحت إناء الزهر ويمكنك أن تفعلى به ما تشائين .
(صمت)

: أنت تكرهنى ؟

الأم

(مارك يهز كتفيه)

قبل أن تعرف بخمس دقائق ، كنت تأخذنى بين ذراعىك ، وكنت تحببى .
هذا لأنك عرفت ذلك .

(صمت)

لو أنك قرأت هذا فى قصه ، لأفزعتك تلك المرأة التى تقتل لكى تعيش مرة أخرى .

(لا يجيب)

كلا ، أليس كذلك ؟ طالما سمعتك تقول هذا لأصدقائك . لا يجب أن نحيا إلا الحب ، يجب أن نحطم كل شىء ، وأن نتغلب على كل شىء . إياه حسن . فهذه هى الحياة للحب كما ترى .

(لا يجيب ، صمت)

وعندما تكون امرأة عجوزا فإننا لا نغفر لها .

مارك : لا تكلمينى .

: أوه ! دعنى على الأقل ، أكلمك ، دون أن تجيببنى .

الأم

فعندما سترحل سيقضى على بصمت أبدى .

مارك : تكلمى إذا شئت .

الأم : (بعد أن عملت لحظة فى صمت)

أنت على ما يرام فى سريرك الصغير ، أنت تعرف جميع أركانه الآن لقد اشتريناه معا من مدخرتنا رغما عنه ، فقد كان يريد أن تحتفظ بسرير عمك القديم المصنوع من الحديد . قبل زمن بعيد كنا نتأمر معا .

مارك : قبل زمن بعيد . أجل .

الأم : وأمس . حينما تحدثنا ، رأيت أن ذلك يتكرر مرة أخرى .

لطالما تمنيت أن تعطينى الفرصة لأشرح لك قبل أن ترحل .

مارك : كلا ، لم أعد أريد أن أفكر فى ذلك . أريد أن أمحوه من

حياتى بوجهه الأخضر ويديه اللتين فوق بطنه ، وأمحوه

من حياتى ، أنت أيضا وأصبح بعد ذلك يتيما ، يتيما

بلا ذكريات .

الأم : كنت أرجو فقط أن تعرف كيف حدث هذا بسرعة . لقد

كنت دائما أتمنى دون أن يخطر ببالى أننى سأقتله . وفى

ذلك اليوم رأيت نبات الفطر الأصفر الذى لم أكن متأكدة

منه . فأنا لم أجمعه . بل إننى حتى لم أحاول أن أعرف إذا

كان ساما فعلا . لقد تركته ، هذا كل ما فى الأمر .

(صمت . تنظر إليه)

إنك تستطيع أن تغفر لى ، أنا أعرف ذلك . ولكنك تعرف

هذا الظمأ، وهذا الضباب الذى يغطى العيون ... تعرف

أننا من الممكن أن نخاطر بحياتنا فى لحظة واحدة .

(لا يجيب)

هل تريد مع ذلك أن تأخذ الصورة ؟ الصورة التى كنت تحبها . لقد لصقتها من جديد .

مارك : هاتها .

(تخرجها من صديريتها)

: لقد لففتها فى ورقة حتى لا تتهلهل .

الأم

(صمت . تنظر إلى الصورة . تحلم)

أمر فظيع أن يكون ذهابك الآن بالذات وقد كان كل شىء قد بدأ يصبح جميلاً . " لا مجال للتوافق والمبادلة " . ربما أحببتنى أنت ، حينما كنت أذهب معهم . كنت تتألم ، وكنت أتغابى . أه ! لو كنت تعلم ماذا كانوا ، وماذا أخذت منهم ... لقد فات الآوان . " لا مجال للتوافق والمبادلة " إنها أغنية كنت أسمعها حينما كنت شابة .

(تحاول أن تغنى)

" ومع ذلك فلا مجال للتوافق والمبادلة "

" يذهب الحب حينما يأتى الحب " .

إننى أغنى نشازاً . بين الأمهات والأبناء فى العادة ، يكون ثمة توافق ومبادلة . وبعد ذلك فأنت شاب ، يجب أن تعيش . وأنا عجوز .

(تجلس القرفصاء كما فعلت قبل برهة بالقرب من

السريـر . تتناول كأسها التى كانت فوق الأرض وتأتى

عليها)

لن تمنعنى بعد ذلك من الشرب . لقد أرادت جورجيت قبل
برهة أن تقدم لى الموعظة . طلبت منى أن أغتسل ، وأن
أصلح هندامى حتى لا أنفرك كثيرا ، وتتولى هى الباقي ،
هى . هل تحبها ؟

مارك : كلا .

الأم : إنك ترغب فيها . إن ظمأك ليس إلا لها ، ولكنك أكثر منى
مكرا وأكثر منى تدبيرا . فلن تبيع حياتك بثمن بخس
نظير فعلة . لسوف تتزوج من فتاتك ، الجميلة . وسيكون
لك أطفال على قدر من الجمال . ولسوف تخرس كل هذه
الأصوات القدرة التى تصرخ فينا داخل بطوننا ... أنت
على حق . يجب أن يكون الإنسان جادا شريفا . ولا بد
من أنه بذلك يصبح سعيدا .

(تشرب)

أما أنا فقد فات الآوان ، حتى لكى أصبح جدة .
وأما أنت فوضعك أفضل . إن ما أريده هو ألا تسرف فى
بغضى . لقد كنت قاسيا - كما تعلم - لا تتنازل عن
حقوق فى بعض الأحيان كوالدك ، كالآخرين ...

أنت ! وربما لو كنت مددت إلى يدك لكنت تعلقت بها .

(صمت)

مارك ، حتى لو كنت أشير اشمئزازك الآن ، فإننى أود أن
تعدنى بأن تترك فترة من الزمن تنقضى ، ثم بعد ذلك
تفكر بطريقة أفضل . لو أعرف أذننى لا أنفرك فمهما

أصبحت ، يلوح لى أن ذلك سيجعلنى أشعر أننى
لازلت شابة .

(همت)

ألا تجيبنى ؟ ومع كل فإننى أجد متعة فى أن تتيح لى
فرصة الكلام . أعتقد أنها أول مرة أتحدث فيها إليك .
وأقول لك جانبا مما يجثم فوق قلبى . إننى لا أمل طبعاً
أن أجعلك تدرك أنه كان لى مع ذلك دور صغير ، صغير
جدا لدرجة أننى كنت أفقده من آن لآخر . ولا أمل أن
أجعلك تدرك أننى إذا كنت أما سيئة - كما لا بد من أنهم
أخبروك - فإننى مع ذلك أحبك على طريقتى الخاصة ...

(همت)

مـارك : يجب أن أنهض !

الأم : أى قطار ستأخذ ؟

مـارك : لست أدرى . الأول .

الأم : ألن تراها ، هى ؟

مـارك : تظنين أننى أستطيع أن أراها ، الآن ؟

الأم : لست أدرى ، أنا . فأنا لست على علاقة كبيرة بالتقاليد العالية .

(تضحك قليلا بعصبية)

مـارك : (ينهض ، يهزها)

ماذا بك ؟

الأم : لا شئ . لا تهزنى هكذا ! فقد أصاب بالمرض . ربما

أسرفت فى الشرب . لازال الوقت مبكرا . لقد أخذت منى

زجاجتى قبل لحظة . ولكننى هنا منذ الثالثة صباحا .
صحوت لكى أنظر إليك . كنت أخشى أن ترحل دون أن
تقول لى شيئا .

ـ مارك : لا يجب أن ترتدى مثل هذه الثياب . هذا فظيع .
الأم : دعنى .

ـ مارك : يجب أن تتركى هذا المزور . وتصلحى هندامك .
وتمشطى شعرك .
الأم : ما الفائدة ؟ لمن ؟

(تتداعى فوق الأرض)

ـ مارك : لنفسك ... لى ...

الأم : أنا ، أنا عاهر .

ـ مارك : أماه .

الأم : وأنت ذاهب . إذن ...

ـ مارك : لابد لك حتما أن تذهبى وترقدى ، وتعتنى بنفسك .

الأم : عندما ترحل ، بعد لحظة . أما الآن فإننى لا أريد أن
أفقد دقيقة واحدة . كما تعلم . يجب أن أراك حتى النهاية ،
ليكن ذلك زادا لى خمس سنوات أو ست حتى الموت ...

ـ مارك : أماه ...

جورجيت : (تدخل مذعورة) - سيدى مارك ، الفتاة .

ـ مارك : ماذا ؟

جاكلين : (تبعد جورجيت) - أجل ، أنا . دعينى أدخل .

(تتوقف)

ما معنى هذا يا مارك ؟
مارك : كما تريد . إننى أقوم من النوم .
جاكلين : لا تسخر منى . ما معنى هذا الخطاب الذى كتبت لى فيه
 أنك لن ترانى بعد ذلك ؟
مارك : هذا يعنى أننى ذاهب .
جاكلين : مع من ؟ وإلى أين ؟
مارك : نيس مع أحد ، ولا إلى أى مكان ...
جاكلين : لماذا ؟
مارك : لقد منعك أن تاتى لتسألينى عن ذلك .
جاكلين : إننى أحبك وواثقة من أنك تحبنى . من حقى على الأقل
 أن أعرف هذا .
مارك : أجل ، أننى أحبك ، ولكننى راحل . ولن تعرفى شيئاً .
جاكلين : اخرج معى !
مارك : كيف ؟
جاكلين : أخرج الآخرين إذن
مارك : كلا . أريد أن يبقوا .
جاكلين : أخرج على الأقل هذه الصغيرة التى تنظر إلى وكأنتى
 جئت هنا لكى أسرق شيئاً .
مارك : كلا ستبقى .
جاكلين : حسن . سأحدث أمامها ، فإننى لا أشعر بأى خجل ، أنا
مارك : لو شعرت بالخجل لكنت مخطئة . إنك فى هذه اللحظة
 أجمل ما كنت بهذا الغضب وهذا الحب اللذين يمتزجان .

بوسعك أن تقولى أى شىء أمامهما ، فى هذه الحجرة
التي تسودها الفوضى ، لهذا الشاب الأشعث الأغبر .
ستكونين جميلة مع ذلك . وستكون جميع حركاتك
بالضبط كما يجب أن تكون ...

جاكلين : إنك لا تحبنى فى هذه اللحظة .

مارك : بلى ، يا جاكلين .

جاكلين : يوجد نبرة حقد فى صوتك .

مارك : صحيح . إننى أعجب بك بحقد . أنت بالغة الجمال ، وكل
ما هنا بالغ القذارة ، بالغ الفقر ، بالغ الفشل .

جاكلين : لماذا تخبرنى بهذا اليوم ؟ لقد جئت هذه الحجرة قبل ذلك .

مارك : ها أنت تقترمينها مرتين .

جاكلين : سامحنى يا مارك . كان ينبغي أن أتحدث إليك

مارك : (يصرخ فيها)

ستقولين لى إنك تحبيننى ؟

جاكلين : أجل .

مارك : وأننى احبك ؟

جاكلين : أجل .

مارك : وأنتك ستسعديننى ؟ وأنتك ستمحين جميع الأوساح وجميع

الآلام التي تطبع وجهى ؟

جاكلين : أجل ، يا مارك .

مارك : وأننى مجنون ، أخلق الآلام ؟ انظرى ، إننى أعرف كل

ما ستقولين ، فاذهبى .

جاكولين : (بحزن بالغ)

سأرحل طبعاً إذا أردت ذلك . ولكن دعنى أحصل على كلمة ، على الأقل حتى لا أصاب بالجنون ... لماذا يا مارك ؟ لماذا ؟

مارك : أتريد أن تزيدى من شقائى قليلاً بإرغامى على إخبارك ؟ ما الفائدة اذهبى إذن مادمت أريد ذلك .

(تنصرف دون أن تنبس بكلمة وهى تترنح . وكما ابتعدت ، غير الالم وجه مارك . ولا تكاد تخرج حتى يصرخ فيها)

أحبك ، يا جاكولين . أحبك ! أقسم لك . ارحلى وأنت تعلمين ذلك .

(تلتفت شاردة . يجرى ويركع أمامها)

ما أجملك ! ما أجملك ! يا للطيبة ، وبالنور فوق وجهك ! دعينى أنظر إليك مرة أخرى . مرة أخيرة .

جاكولين : مستحيل يا مارك . لن يلبث هذا أن ينتهى ، ولن نلبث أن نفارق .

مارك : كلا . قد تظنين أننى أضحى بك فى سبيل غرور ، أو خوف غامض

إنه سر واضح ، لا يرحم ، ذلك الذى يفصل بيننا .

جاكولين : تستطيع أن تخبرنى بكل شئ ، فأنت تعرف ...

مارك : بكل تأكيد ...

(ينهض ويسير كالمجنون وقبضته فوق عينيه . ينفجر ضاحكاً)

إننى أعرف ، أجل . أعرف حتى إننى أستطيع أن أخبرك
بكل شيء . ستعرفين كل شيء ، وستغفرين كل شيء !
أجل أستطيع أن أقدمهما إليك هاتين المرأتين . وأقول لك
إننى ابن هذه وصورتها الصادقة .

(يهز جورجيت)

وأقول لك إن تلك جاعتنى هذه الليلة فى الفراش ،
ولم أطردها ...

جورجيت : اتركنى !

**مارك : أظهرى نفسك ! أظهرى نفسك ! انظرى . إنها فاجرة
جميلة ، هيه ؟**

إننى لا أحبها . وهى لا تحبنى !

(يهزها)

جورجيت : دعنى إذن ، إنك مجنون !

(تخلص نفسها وتهرب)

**مارك : ليست لديها الشجاعة لمواجهة الموقف . لقد رأيتها !
وستكونين رائعة كعهدى بك دائما . أجل إننى أحبك .
أجل ، أنت الأجمل ، وأنت الأرق ومع ذلك فإننى فى
حاجة إلى هذه القردة الصغيرة .**

جاكلين : مسكين يا مارك ...

**مارك : ترثين لى . لقد فهمت ، لأنك قادرة على فهم كل شيء .
أليس كذلك ؟**

وهذا الفهم العجيب لابد من أنه جزء من تربيته الممتازة .

جاكلين : مسكين يا مارك ، أهذا هو السبب ؟

مارك : ليس هذا وحسب ! انتظري ، إنك لم ترى كل شيء .

هناك الفصل الأخير ! انظري هناك بالقرب من السرير .

فوق الأرض . إنها أُمى . أأسمعين ! أنت التى اطلعتنى

على صورة أمك الباسمة المعلقة على جدار حجرة

استقبالك ، تلك السيدة الجميلة التى ترتدى الدنتيلا ،

وسط أصدقائها فى يوم من أيام الاستقبال الحافل .

مارك : هذه أُمى ! وعندها هى الأخرى يوم استقبال . هو اليوم .

هيا انهضى . سلمى . انهضى ! سلمى . على الآنسة .

الأم : ماذا بك ؟ أهذه هى يا مارك ؟

مارك : يجب أن تعذريها . فهى لا تعرف كثيرا كيف تحيى الناس .

جاكلين : أوه ! مارك . أتوسل إليك ...

مارك : هل أنت مسرورة ؟ هذه التى كنت تريد رؤيتها ؟

(يدفع أمه ، تكاد تسقط فوق الأريكة)

انظري ، إنها تسقط حينما نتركها ، ينبغى أن أسر إليك

إنها أسرفت فى الشرب .

جاكلين : مارك ، ماذا بك ؟ إننى خائفة . أنت مجنون .

مارك : لأنها تشرب ! إنك لم ترى شيئا بعد ! يجب أن تشاهدها

وهى تشرب ، أين زجاجتها ؟ صحيح لقد أخذوها منها .

ولكننا سنفتح لها أخرى ، فدائما يوجد زجاجات هنا !

(يفتح زجاجة)

هيا . اشربى . اشربى .

الأم : مارك ، أنت مجنون .

مارك : أقول لك اشربى .

الأم : ولكنك ستخنقنى أنت مجنون . أنت مجنون .

جاكلين : مارك ، أنا لا أحب ذلك ! إننى أمتنع ! ...

مارك : (يدفعها) . دعينى . اشربى . اشربى إذن !

الأم : (تضحك قليلا وهى تشرب) - أنت مجنون ، يا صغير .

أمام الناس ، أمام خطيبتك ...

مارك : لأننى نسيت ذلك . إنها خطيبتى ...

(يصرخ)

خطيبتى . وليمة الخطبة . زهور الخطبة . تعارف الخ ...

أمى . أمك فى المستقبل . هيا ، الانفعال . الانغمال .

عشاقها المختلفون ليسوا موجودين . اعذريه .

احتجزتهم أعمالهم أو بعض الواجبات الاجنبية .

ولكنهم كثيرون . على الأقل اثنا عشر . سنقدمك إلى

أولئك الذين سنستطيع أن نجدهم منهم .

الأم : ولكن ماذا بك يا مارك ؟

مارك : ومع ذلك فإنك تعرفين أحدهم . آخرهم وأجملهم . السيد

مارسيل ! السيدمارسيل ، يا ترى فى أى ناد قابلته ؟

ألا تذكرين جيدا ؟ إنه سائق والدك . السائق الذى سرق ،

وقمت بطرده . وما أنت ترين أن لنا أصدقاء مشتركين .

فأمى كانت عشيقة لسائق والدك . والآن ماذا تفعلين هنا ؟

(ينهار من الإعياء . صمت طويل)

جاكـلين : (مخاطبة الأم) سامحيني . إننى سأرحل . إننى لا أفهم شيئاً . لو يسمح لى بالبقاء لحظة ، وبالتحدث إليه .

الأم : (ضجرة ، ورأسها على الأريكة)

أوه ! افعلى ما تريدين ... فأننا الآن قد فقدته .

جاكـلين : (تضع يدها فوق كتفه) - مارك ...

مارك : إننى أبله . دعينى يا جاكـلين . إنك أعظم من هذا كله وأكبر .

جاكـلين : كلا ، يا مارك .

مارك : دعينى ، مادمت أطلب منك . فأنت تعرفين تماماً أننا لا ننقذ الناس رغما عنهم .

جاكـلين : أريد أن أنقذك رغما عنك ، يا مارك . أنك أعظم من

الحقد الذى يعتمل فى نفسك ، ومن هذا المشهد الرهيب ،

ومن كل شىء . كنت أعرف هذا كله . فقد كنت أشك فيه

منذ فترة طويلة . فالصغيرة مثلاً ، أول يوم جئت فيه هنا ،

أدركت أنها عشيقتك ، وأنها تحبك .

مارك : إنها لا تحبنى . أنا أدفع لها الثمن .

جاكـلين : وأدركت أيضاً ، منذ فترة طويلة ، أنك تتعذب بسبب أمك .

سا محينى يا سيدتى ، ولكن يجب أن نتكلم الآن بمنتهى

الصراحة .

الأم : مارك . دعنى أخرج . فما عساها ستقول ؟

مارك : أبقى ، يا أمى .

جاكـلين : لا تخافى . فلن أقول شيئاً يخجلك ، أو يضايقك . لقد

تعذب مارك بسبب حياتك . بسبب استهتارك . ولكننى

أعتقد أنك كنت بائسة شقية ،أليس كذلك ؟ فإذا شئتما
ساعدتكما ، حتى هذا الحقد الذى يقوم بينكما ، يبدو لى
أننى أستطيع أن أقضى عليه .

الأم : دعنى أذهب يامارك ...

مارك : كلا .

جاكلين : سنذهب لنعيش فى الريف . أنا غنية . من المخجل أن أقول
هذا ، ولكنكما سترى أن كل شىء يصبح سهلا بقليل من
المال . إن مارك يحبنى وأنا أحبه ولسوف يحب بعضا بعضا .

الأم : (تتوسل) - دعنى أذهب يا مارك .

مارك : ابقى يا أمى !

جاكلين : لماذا تريد أن تذهبى ؟ هل أبدو غبية خرقاء فى نظرك ؟
ربما يكون فى كلامى ما يجرحك . يجب أن تسامحبنى !
إننى أشعر برغبة شديدة فى إسعادك ، مارك ! لم هاتان
اليدان فوق وجهك ، مادمت ترى أن كل شىء ممكن ...

مارك : لا شىء ممكن . اذهبى .

جاكلين : أهى تكرهنى ؟ ألا تريد أن تأتى معنا ؟

مارك : بلى ، هو ذلك .

جاكلين : ربما سأكون قاسية . ولكننى لا أقول ذلك من أجلى ،
وإنما لأننى أحبك يا مارك ، عليك أنت الآن أن تحيا ! إنك
لا تستطيع أن تبقى هنا يوما آخر . فأنت من جنس آخر .
وأن الترف والمال والمجد وغيرها من الأشياء التى لا معنى
لها بين يدى الآخرين ، إنما هى من أجلك أنت .

مارك : (**بمنتهى البساطة**) ليس هذا هو كل شيء يا جاكين .
فإن أُمى لكى تحصل على خمسمائة فرنك تعطيها
لعشيقتها ، قتلت أبى قبل ثلاثة أيام .

جاكلين : ماذا تقول يا مارك ؟

مارك : (**يصرخ فيها**) أقول لك إنها قتلت أبى ! أتجدين لذة فى
سماع هذه العبارة مرتين ؟

جاكلين : ولكنك لا تدري ما تقول ؟

مارك : إننى أدرى ، بكل أسف .

جاكلين : أبوك مات ؟

مارك : دفن بالأمس .

جاكلين : وكيف مات ؟

مارك : لقد تسمم من أكل نبات الفطر .

جاكلين : ماذا ؟

مارك : نبات فطر سام قدمته له أمس . عمدا . هل فهمت الآن ؟

(**صمت**)

الأم : (**تهمهم**) - لا يجب أن تخبرها يا مارك ..

جاكلين : (**تنظر أمامها فى ثبات**)

(**صمت آخر ، تسأل فجأة**)

وأنت ، هل كنت تعلم ؟

(**لا يجيب**)

لم تكن تعلم . أنا واثقة من ذلك . سنهرب من هذا
الكابوس ، ونصبح سعيدين . ستهيئ لها حياة رغدة

وهدوءاً ، حيث تريد . وسنرحل إلى الطرف الآخر من العالم . قل ، لم تكن تعلم ، يا مارك ؟ فلا يمكن أن تتحمل عبء هذا الذنب . يجب أن تتركها ، وتأتى معى ، أنا التى أحبك ، وسأنقذك .

مارك : (بعد صمت ، وجها لوجه)

نعم ، كنت أعلم .

الأم : مارك .

مارك : لقد ساعدتها ...

الأم : أنت مجنون يا مارك ، لماذا تقول هذا ؟

(صمت آخر)

جساكلين : ولكن ماذا نتقول ؟

مارك : (يسير نحوها وهو يصرخ كالمجنون)

لقد ساعدتها . لقد أعددت نبات الفطر . هل تسمعين ؟ قدمته بهاتين اليدين ، ورأيتة وهو يأكله . وكنت أنظر إليه وهو يتلوى ويخضر لونه فوق الفراش ، بعينى هاتين ... هل أدركت الآن ؟

جساكلين : (تتراجع وتدمدم)

بواستطك أنت يا مارك ؟ لماذا ؟

مارك : لست أدري سببا . إننا هنا لا ندرى شيئا من الأسباب . من أجل النقود . من أجل الحصول على الصغيرة . من أجل لا شيء . إن هذا يخيفك ، فاذهبى . لست هنا فى بيتك ... هذه المرة لا تستطيعين أن تفهمى . كلا . لا أريد

أن أحبك ! كلا ! لا أريد أن أذهب معك ! كلا ، لا أرغب
فى شفقتك . ولا أرغب فى حبك . أريد أن أبقى هنا
وسط قذارتي ... معها .

(يسشير نحوها رافعا قبضته . تخرج وهى تجرى ،
يظل لحظة مشدوها . ثم يذهب فيسقط فوق سريره . الأم
تقترب فى خشية)

الأم

: لو شئت ، وضعت المنضدة الصغيرة ، وتناولت إفطارك
فى سريرك ، كما كنت تفعل حينما كنت تتمارض لكى
لا تذهب إلى المدرسة . ستكون على ما يرام .

(صمت)

انظر ، لقد تلاقينا بعد سنوات طويلة من الفراق . سنكون
على ما يرام . فلن يخجل أحدهنا من الآخر عندما نكون
بمفردنا . لا يجب أن نرى الآخرين . هذا كل ما فى الأمر .
(تحوطه بذراعيها)

تغط يا عزيزى !

تخيل أنك صغير ، وأنتى لست تلك العجوز الشمطاء .
وإنما الأم الجميلة التى فى الصورة ، التى تحبها .
سنتناول إفطارنا معا ، ولن نفترق ، أليس كذلك يا مارك ؟

مارك : (والدموع تسيل فوق وجهه)

بلى !

الأم

: ستبقى ! إنك تريد أن تبقى مع ذلك ! أوه ، إذن لم يضع
كل هذا الوقت وكل ما فعلت . لم يضع ما دام كان لابد
منه لكى نتلاقى ! صغيرى مارك ! رجلى الصغير !

(لجورجيت التى تدخل)

سيبقى ، سيبقى ، يا جورجيت . سنكون على ما يرام
نحن الثلاثة . لن نطلع أحدا على أسرارنا . انظر كم هى
جميلة ، هذه الصغيرة ستكون لك كل يوم وستقوم على
خدمتك . ستسعدك ، ولسوف ترى . أليس كذلك
يا جورجيت .

جورجيت : (بابتسامة وضيعة)

أنت تعرف ذلك تماما يا سيدى مارك .
(ينظر إليها بذعر . وفجأة ينهض ويرحل وهو يجرى
كالمجنون)

الأم : (تظل بلا حراك . ثم تصرخ وهى مكانها)

مارك ! مارك ! مارك !

(تنظر إلى الباب لحظة ، لا تزال مشدومة ، ثم تتداعى فوق
الأرض وتجلس القرفصاء بالقرب من السرير وذراعاها
حولها ، كما لو كان أصابها البرد فجأة . تهمهم)
لقد رحل .

(التى لم تتحرك)

جورجيت : أجل . ولكن يجب إعطائى الخمسمائة فرنك إذا أردت
ألا أقول شيئا .

(الأم لا يبدو عليها أنها سمعت)

تسدل الستار

نهاية جيزابيل

مجهولة آراس

مسرحية من ثلاثة فصول

أرمان سالاكرو

عرضت مسرحية « مجهولة آراس » لأول مرة يوم الجمعة الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥ ، على مسرح الشانزليزيه ، من إخراج " لونيى بو " وديكور " مولير " وموسيقى " ديلانوا " . وقد أدرجت المسرحية ضمن عروض " الكوميدي فرانسيز " كما عرضت فى قاعة مسرح لوكسوهبرج من إخراج " جاستون باتى " ، وذلك فى الحادى عشر من يناير ١٩٤٩

آرمان سالاكرو

ولد فى رووان عام ١٨٩٩ ، درس الصيدلة والطب . هجر
التخصص وتوجه إلى المسرح وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ،
اتخذ إنتاجه منذ البداية الطابع السريالى الذى لفت إليه المبدعين . كان
صديقا لاثنين من كبار مخرجى العصر هما لويىنى بو وشارل دولان .

يجمع فى مسرحية بين الفودفيل والدراما الطبيعية ، ومسرح
البولفار (مسرح الشباك) والمسرح الفكرى .

يرى سالاكرو أن العمل المسرحى ما هو إلا نوع من التأمل فى
الوضع الإنسانى ، فجاء إنتاجه حافلا بألوان العذاب والشقاء والمعاناة
التي تحل بالإنسان دون أن يدرك لها سببا أو مغزى .

بدأ يعرف النجاح عام ١٩٣٤ مع مسرحيته " امرأة حرة " .
ثم جاءت مسرحية "مجهولة أراس " ١٩٣٥ لتجعل منه أحد أعمدة
الطليعة ، وهى أعظم أعماله . وهى تسجل لحظة الاستنارة التى يتوصل
إليها الإنسان وهو على مشارف الموت . وقد أثارت المسرحية إعجاب
السرياليين وكتاب المسرح المعاصر ؛ لما يغلب عليها من طابع التفلك
الذى هو من سمات الأحلام ، عالم السرياليين . وقد اعتبرها المخرج

الشهير لوينى بو " منشور المسرح المنتظر " ولخصها قائلاً: " مجهولة
آراس تستمد قيمتها بنوع خاص من الطريقة المبتكرة فى عرض دراما
الإنسان الداخلية .

بعد مجهولة آراس كتب سالاكرو العديد من المسرحيات من أهمها :
رجل كالآخرين - الأرض كروية - ليالى الغضب - قبيلة لونوار .

الشخصيات

أوليس	صبي المقهى
نيقولا	الشحاذ
الأب	يولاند
الجد	مادلين
ماكسيم ، ٣٧	المجهولة
ماكسيم ، ٢٠	بيت
مدير المدرسة	الأم فينو

الفصل الأول

* الدقات الثلاث .

* أغنية بصوت امرأة بينما يفتح الستار على ظلام . ثم نميز فى الركن الأيسر كرسىً فوتوى ومنضدة صغيرة ومصباحاً ... هذا الديكور يمثل نهاية حجرة استقبال أو بداية شرفة مساء يوم من أيام الصيف . نسمع طلقة مسدس شديدة جدا . الأغنية تتحول إلى صراخ ، رجل يحتضر فى الفوتوى .

* صوت المرأة المنزعجة ، يتساءل : " انتحر ؟ انتحر ؟ "

* خادم يظهر . يرى الجثة . يخرج من ناحية اليمين بسرعة فى الديكور الذى بدأ ينير ويتشكل . الخادم يصرخ " النجدة ! " . هو الآن فى الشارع . سلم يصعد فى العمق يتصل بشارع آخر مرتفع به منازل .
* الضحية ما يزال فى الفوتوى ، وتصل المرأة .

* الأغنية وعملية الانتحار والصراخ وجرى الخادم ودخول المرأة ، كل ذلك لم يستغرق خمس عشرة ثانية (ربع دقيقة)

يولانند : سامحنى ! سامحنى !

نيقولا : (من أعلى) النجدة ! النجدة !

يولانند : لا ! مستحيل ! (ثم تمس بإصبعها صدر زوجها وتقرر :)

هذا دم ! النجدة !

نيقولا : (يكرر كالصدى) - النجدة ! (ثم صارخا :)

سيدى قتل نفسه ، لأن سيدتى كانت سيئة .

يولانند : (كمن تحدث نفسها) - أنا كنت دائما طيبة .

نيقولا : (مواصلا) ... وأناانية ... وطائشة ... وكسولة (تنبل)

يولانند : وأنت كنت طيبا . كنت تحبنى كثيرا . صحيح أنتى

ضحيت بكل شىء فى سبيلك ..

نيقولا : (ما يزال يواصل وهو أعلى الشارع) ... وكذابة !

يولانند : .. شبابى .. وجمالى ، .. وسحرى ..

نيقولا : سحرها ؟ .. جمالها ؟ ... صحيح ، حينما كانت تريد هدايا

أو تريد السفر .

يولانند : (وهى تنتحب) - لن أنساك أبداً .

نيقولا : وتبكى . ولكنه قتل نفسه لأن هذه المرأة أرادت ذلك !

يولانند : (تنتصب) - لا تصدقوا هذا ! ... لا أحد يصدق هذا .

(مخاطبة الميت) حبيبى . الحقيقة أنا تصورت أنك كنت

تمثل على كعادتك دائماً .

نيقولا : (ساخطا) يمثل ! إليكم ما حدث : سيدى ، شاب فى

الخامسة والثلاثين من عمره ، كانت سعادته الوحيدة

فى الحياة هى حبه لهذه المرأة ... سيدى هذا قرأ قبل

قليل رسالة موجهة منها إلى أحد أصدقائه تبيدوها بعبارة
"حبيبي" وحببيها هو الرجل الآخر . هذه أشياء تقع كل
يوم ونقرؤها في الصحف (الجمهور) ولكن حينما
عرض عليها سيدى هذه الرسالة وهو فى قمة الأسى
والحزن ، هل تعرفون ماذا فعلت هذه المرأة - وهو
ما قد لا تفعله زوجاتكم - لقد راحت تضحك وتغنى .

يولاندا : (للميت) تصورت أنك كنت تبكى لكى تشير حنانى
وشفقنى . وربما أيضا لكى تحفظ ماء وجهك وتحافظ
على كرامتك .. وأنت كنت تبكى مراعاة للأعراف
الاجتماعية ، ولكى أثبت لك أنني لم أكن مخدوعة بدموعك ،
فقد غنيت ... بالرغم منى أيضا ، لأننى كنت مع ذلك
منزعجة قليلا . ولكننى ينبغي أن أعترف بالحقيقة ، لقد
غنيت فعلا .

نيقولا : " احكى لى عن حبك

احكى لى وعيدى ، (إلخ)

(تغنى)

نيقولا : (بصوت خفيض) - حينئذ ، تناول سيدى المسدس .
وهو الآن بموت (عاليا) وزوجته تغنى ، ما تزال تغنى .
اسمعوها !

يولاندا : (تفاجأ بأنها ما تزال تغنى) غنيت بكل بلاهة . ولكن
كان ينبغي عليك أن تفهم . صحيح أنك لم تفهمنى أبداً

نيقولا : وليس من المستبعد أبداً أن يسمع سيدى كل هذا الكلام . ما أبأس ميتة الرجال !

يولاند : ردّ علىّ يا حبيبى . شاور لى بجفونك التى ما تزال مفتوحة ... هل تسمعنى ؟ أوه ! نيقولا ! جفونه تتحرك ! بسرعة ! جرّأح بسرعة ! سيدك ربما لم يمت تماما . بسرعة ! (للميت) إذن ، هل تسمعنى ؟ الحمد لله ! إذن هل تستطيع أن تقول كلمة ؟ طمئننى يا حبيبى !

نيقولا : لا تفكر إلا فى نفسها .

يولاند : طيب قل اسمى .

نيقولا : الفاجرة !

يولاند : اسمى الذى كنت تحبه كثيرا : يولاند .

نيقولا : سيدى يتعذب . يتعذب أكثر لأنه يعرف أن هذا هو آخر عذابه . ومع أنه يبدو ساكنا ، ككل الموتى الشبان ، إلا أنه يصارع كالمجنون . تُنتزع منه عاداته القديمة ويدخل غريبا فى السر الكبير . إنه يختنق وهو أعمى وأصم فى مجال يتقلص من حوله ويضيق . وهى ، هل سمعتموها ؟ تريد منه أن يطمئنها ! هى ! تريد منه أن يقول لها اسمها ! أوه !

يولاند : يقول ! إنه يتحرك ! يهتز ! سيتكلم ! حبيبى ! حبيبى ! ردّ علىّ .

(بصوت محايد ، تلاحظ) إنه ينهض ! إذن ، تلك الطلقة النارية ... هذا الدم ... ما هذه التمثيلية إذن ؟ أنت لم تمت ؟ إذن تكلم ! شعورك ؟ كيف حالك ؟

أوليس : (الميث ، على عكس كل التوقعات ، يرد قائلا :) فى منتهى العظمة ...

يولاند : (ترتعد من الخوف) - نيقولا !

أوليس : ... ومندهش .

يولاند : (كالسابق) - نيقولا !

أوليس : يبدو لى أن كل شىء يجرى بسرعة جنونية ، لكن تفكيرى ما يزال أسرع . لذلك ، لدى انطباع ببطء غريب .

يولاند : نيقولا !

نيقولا : (بالقرب منها ، وبكل بساطة) سيدتى ؟

يولاند : (تنتفض مذعورة) لقد أفزعتنى (ثم هامسة) سيدك يهذى .

نيقولا : من المذنب ؟

أوليس : لا تناقش يا نيقولا . ما يحدث ، كنت أتوقعه . وأنا حى ، كانت تريدنى ميتا . وأنا ميت تريدنى حيا .

يولاند : (فى قمة الغزع) أنت وهو ، هل أصابكما الجنون ؟

نيقولا : (ببساطته السابقة) أبدا ، يا سيدتى .

يولاند : إذن الحزن أصابنى بالجنون ؟

نيقولا : أوه ، كلا ، يا سيدتى ، كل ما هناك أنك هنا زيادة .

يولاند : (التى لم تفهم) - زيادة ؟ كيف أنا زيادة ؟

نيقولا : (بكل رقة) انصرفى !

يولاند : أنصرف ؟

نيقولا : أوه ! ستعودين ، للأسف . ولكن حينما يحين دورك .

يولاند : دورى ؟

نيقولا : فى المشهد الأخير (إلى يولاند التى تصرخ) لماذا تصرخين هكذا عاليا ؟

هل قرصك أحد ؟ ولكن ، لا ، يا سيدتى أنت لا تحلمين .

يولاند : إذن ، ما هذه التمثيلية التى تمثلانها على أنتما الاثنان ،

عقابا لى على جريمة لا أعرفها ؟ (لزوجها) لكن ،

مادمت تنظر إلينا وترانا ، تكلم . أو إذا كنت تصر على

السكوت ، فأغلق عينيك (مممت) ولكن ماذا يجرى هنا ؟

نيقولا : سيدى أطلق على نفسه الرصاص قبل قليل . هل تعرفين ؟

لا ؟ لابد أنك خير من يعرف ذلك ، مادمت أنت سبب

هذا الجنون .

يولاند : لا ! لا ! لا أريد أن يتكرر هذا مرة أخرى .

نيقولا : ربما ، اليوم . ولكن بعد ستة أشهر ، ستبدئين بكل

فخر واعتزاز نقصين أحداث هذه الدقيقة القاضية المميته -

وبعد عام سوف تقذفين بذكرى هذه الطلقة النارية بين

سيقان الرجال مثل الصاروخ لكى ترتعد فرائصهم

أمامك .

يولاند : حبيبى إذا كنت تسمع هذا الرجل ، فلا تصدقه ، فقد

كان دائما يكرهنى .

نيقولا : على أية حال ؛ الطلقة خرجت من المسدس . وسبق

السيف العذل كما بفواون . ولا يمكن الرجوع فى ذلك .

سيدى سيموت بعد قليل .

يولاند : لا ، لا أريد ذلك ، لا أريد ذلك .
نيقولا : إذا كان ندمك صادقا ، فلا تسمّى عليه آخر لحظات حياته . وطبقا لقواعد الانتحار الكلاسيكية ، تعرفين أنه ينبغي عليه أن يسترجع حياته كلها ؟
يولاند : يسترجع حياته كلها ؟
نيقولا : وقد بدأ هذا فعلا !

(موسيقى)

يولاند : إذن ، دعنى وحدى مع سيدك .
نيقولا : لا . ليس لدينا وقت نضيّعه : ثلاثة وثلاثون عاما عليه أن يسترجعها فى جزء من الثانية ! انصرفى ، بسرعة !
أوليس : (الذى لا يريد أن يسترجع حياته) - كلا ، لا أريد .
يولاند : (لنيقولا) - أرايت ، هو لا يريد أن أنصرف .
أوليس : لا أريد شيئا
يولاند : ولكننى لا أستطيع أن أنصرف هكذا ، يجب أن أشرح لك
أوليس : (الذى لا يفهم شيئا) تشرحين لى ؟
يولاند : (وهى تخر على ركبتها) - صدقنى . ليس ذنبى وحدى . إذا كنت تعرف ...
أوليس : لا أريد أن أعرف شيئا . لقد أردت أن أموت . وها قد بدأ كل شيء من جديد .
نيقولا : إذن ، أسرع يا سيدى . ما إن تمر مرحلة التعذيب حتى ترتاح إلى الأبد .
أوليس : ولكن لماذا تريد منى أن أستعرض أيام حياتى من جديد ؟

نيقولا : أولا ، لأن هذه هي القاعدة .

أوليس : ولكن لا فائدة من ذلك .

نيقولا : كلا ، يا سيدى . تصرفات حياتك كلها اكتسبت منذ قليل
معناها النهائى .

أوليس : ألا يكفي أن نعيش مرة واحدة ؟

نيقولا : وهل هذه حياة تلك التى عشتها ؟ كما يعيش البشر
جميعا ... الأيدى مبسوطة نحو الدقائق التى تولد ... نحو
الساعة الآتية ... الأيدى مرتعدة على مشارف اليوم الذى
يشرق ، كأعمى ، يحاول أن يتنبأ ويخمن قدراً أو مصيراً
لا ينفك يولد بصفة دائمة وبلا انقطاع ؟ (متابعاً أوليس
الذى يحاول أن يهرب منه) آه ! سيدى ، لقد عشت كما
يعيش الناس جميعاً حياتك بأسرها على أطراف
مستقبلك .

يولاندا : (وهى تمسك أوليس) - حبيبى ! أنا امرأة أفكارك ،
حبك الأخير ، حبك الوحيد .

نيقولا : (مواصلاً) ... أما الآن ...

أوليس : الآن ؟ ماذا الآن ؟

نيقولا : كل شئ قد تغير ، لأن كل شئ فى مصيرك أصبح
اليوم فى مكانه النهائى . كل الرؤى والتطلعات قد
انتهت . أنت الآن رجل مكتمل ، لم يعد له مستقبل .

أوليس : (صائحاً) - أريد منكما أن تلزما الصمت أنتما
الاثنتان .

(بهذه الصيحة ، الموسيقى التى كانت خافتة ، تعلو

وتتضخم . وتحول إلى طنين متصاعد)

أوليس : (بشيء من القلق) ما هذه الضوضاء التى فى رأسى !

نيقولا : اسمع ...

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : انظر !

يولاند : ما هذه السحابة ؟

(الإضاءة التى كانت واضحة ، تظلم)

نيقولا : (مخاطباً أوليس) - هذا هو الوصول ... هذا مرور

جميع الألفاظ التى نطقت بها خلال حياتك . جميع

الكلمات ، جميع الجمل التى شكلتها شفّاتك ، تعود

حولك وستشاهد الآن العرض .

أوليس : جميع هذه الألفاظ المنسية ستنفصل لكى تمر أمامى

الواحدة تلو الأخرى ؟

نيقولا : نعم .

أوليس : إذن ، سنسمع كلاماً لا قيمة له .

نيقولا : نعم يا سيدى ، وهو ليس الكلام الذى نأسف عليه .

يولاند : ولكنها عاصفة !

نيقولا : تصوّرْ جميع الألفاظ التى يمكن أن ينطق بها إنسان

طيلة خمسة وثلاثين عاماً وتصل جميعها دفعة واحدة .

أوليس : (بمرارة) عاصفة حقيقية ! نعم ، لكنها عاصفة

بلا برق !

نيقولا : لا تكن قاسيا هكذا فى الحكم على نفسك .

أوليس : يا إلهى ! لماذا كنت ثرثاراً إلى هذه الدرجة !

يولاند : (مخاطبة أوليس) مادمت تحبنى . تحبنى حتى الموت ،
 تعال ... اجلس هنا ... وكلمنى عن الحب . قل لى ...

أوليس : (عنيفاً) - آه ! لا ! (مخاطباً نيقولا) اطرده كل هذا
 الذباب الصغير الثرثار ... اسحق ألفاظى ...

نيقولا : (وهو يطرد السحابة) . إلى الورااء ! اختفى ! بست !
 قلت لك إلى الورااء ! ولكن يا سيدى هناك ألفاظ من كل
 لون ، وأخرى جميلة جداً . أوه ! هذه مثلاً ... لقد اختفت !
 يالى من أخرج ! كنت أود أن أقتلها ، هذه الكلمة !

أوليس : لماذا ؟

نيقولا : كلمة قتلها لى ذات يوم وأنت ظالم ومتوتر الأعصاب .

أوليس : ما هى إذن ؟

نيقولا : هذه ... ألا تسمعها ؟ مازال صوتها يدوى فى أذنى قلت
 لى " يا غبى " .

أوليس : أنت تذكرها أنت أيضاً . لكم ندمت على هذه الكلمة .
 لماذا لم أحدثك عنها مرة أخرى . أنا أعتذر لك يا نيقولا .

نيقولا : للأسف يا سيدى أنت قتلها وإلى الأبد .

أوليس : (يرفع يده نحو الظلمة) - ألا يمكن أن نمسك بها ؟

نيقولا : للأسف أو الندم الذى نبديه ليس سوى عملية شطب على
 الكلام . والشطب لا يمحو الكلمة . إن الإنسان ،
 وبلا لحظة واحدة من الراحة أو التوقف ، يبدع أشياء نهائية .

أوليس : (جزعا) هذه إذن كل الضوضاء التى عملتها فوق الأرض . كل ما قلت وأنا ألقى أشعار فيرجيل - وصراخى حينما أجروا لى عملية جراحية دون تخدير فى أثناء الحرب . وجميع الألفاظ التافهة وانفجارات الغضب وهمسات المتعة ، كل ذلك اللغو العقيم ...

يولاند : انظر يا حبيبى ، إلى العبارات التى كنت تعبر لى بها عن حبك ...

نيقولا : هذا نهاية العرض ...

يولاند : حبيبى . تعال ! لنبق وسط ضوضاء حينا .

أوليس : (مخاطبا يولاند) فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

نيقولا : نعم ، هذه يا سيدى آخر كلمة قلتها بشفتى رجل حى : فاجرة . هذا هو آخر آخر العرض . انظر ، لقد راحت .

(أوليس يجرى وراء كلماته ويسقط وسط المنصة)

الصوت : فاجرة !

(صمت)

نيقولا : جميع الكلمات التى كان من المفروض أن تقولها فوق الأرض قيلت .

أوليس : فعلا ؟

نيقولا : للأسف !

يولاند : حبيبى ...

أوليس : اسمع !

نيقولا : هنا .

يولاند : ماذا ؟

نيقولا : ألا ترى هذه الكلمة التائهة التى تدور ؟

أوليس : ماذا تقول ؟

الصوت : شكرا

نيقولا : حاجة بسيطة ... اسمع ...

الصوت : شكرا .

أوليس : شكرا ؟ أى " شكرا " ؟ فى أى تاريخ قلتها ؟ ولماذا ؟

ولمن ؟

الصوت : شكرا !

أوليس : الإنسان يقول " شكرا " كثيرا فى حياته ... ربما كان ذلك

من أجل الخبز .

الصوت : شكرا .

أوليس : ... من أجل دليل أو إعلان فى شارع . وقد يكون من أجل

خدمة أداها لنا صديق . . ، ربما كان ذلك لتلك السيدة

التي أحرق دمي من أجلها فوق الأرض .

الصوت : شكرا .

أوليس : كلمة مسكينة تائهة . هذا كل ما خلفته ورائى . كلمة

" شكرا " مجهولة الهوية تدور حول نفسها فى ضوء

السماء .

يولاند : ولكن ها هو ذا العرض يعود من جديد .

نيقولا : لا !

يولاند : ولكن انظر !

نيقولا : (مخاطبا أوليس) -- هذه المرة ، هذا العرض لجميع
الألفاظ التى سمعتها أنت . منذ أول يوم فى حياتك حتى
آخر يوم .

يولانند : جميع الألفاظ التى تخصنى هنا ؟
نيقولا : اطمئن ! تلك التى قلتها لها والتى سمعتها منها فقط
وليست الأخرى .

أوليس : ما أجمل نظام الأبدية والخلود .
نيقولا : أنت لم تصبح بعد من الأبدية والخلود . أنت تتصارع مع
ذاكرتك . هذا كل ما فى الأمر .

أوليس : اطردها ! اطردها هذه أيضا ! أنا أفضل الألفاظ التى
قلتها أنا على الألفاظ التى سمعتها .

نيقولا : نعم ، الناس جميعا يفكرون على هذا النحو . حتى
أولئك الذى يستمعون الآن إلى الألفاظ التى قلتها لهم .
أوليس : ما أغبانا جميعا .

نيقولا : هل شاهدت فى حياتك زوجا من الجمبرى ، ذكرا وأنثى ،
يحاول كل منهما أن يداعب الآخر ، ثم يسيران
" أنجاسيه " يتأبط كل منهما ذراع صاحبه كأنهما فى
عرس ؟ شئ مقزز ، أليس كذلك ؟ هذا التقزز نفسه هو
ما يثيره اثنان من جنسنا البشرى ، يحاول كل منهما أن
يلطف الآخر ويعبر له عن حبه .

أوليس : كنت دائما أظن أنك فتى يتحلى بالذوق الرفيع ورقة
المشاعر .

نـيـقـولـا : هـس ! اـسـمـع !
أوليس : لا ! هناك ألفاظ كثيرة أود ألا أسمعها بالمرة .
الاصوات : شكرا يا سيدى .
أوليس : ماذا ؟
الاصوات : بهذه السيارة القوية ...
أوليس : ماذا ؟
الاصوات : لكى أعلمك الأدب ستأتى يوم الخميس لتقضى فى الحبس من الثانية حتى الرابعة .
أوليس : الطفلة المسكينة !
الاصوات : آه ! طيب ! لقد بدأ الصيف ينتهى !
أوليس : أى صيف ؟
الاصوات : قدر ! قدر !
أوليس : ليس هذا صحيحا ! يا نيقولا ! لقد أخطأ .
الاصوات : أحبك .
يولاند : نعم ! يا حبيبى !
نـيـقـولـا : أسكتى ! هذه امرأة بحرى تتكلم .
أوليس : ماذا ؟
يولاند : لا يمكن أن أتصور أن موت إنسان يسبب كل هذه الجلبة .
نـيـقـولـا : لماذا تريدان أن يكون موت الإنسان أكثر هدوءاً من حياته ؟ فالموت والحياة وجهان لمصيبة واحدة .
يولاند : مصيبة ؟
نـيـقـولـا : نعم . حينما يقابل رجل مثله امرأة مثلك .

يولاند : اسمع يا أوليس ! سأعترف لك . أنا مذنب... كان بودى أن أقول لا ، لأنتى أحبك ولأنك تتعذب . ولكن كيف أستطيع أن أنكر ؟ أنت تعرف أنتى مذنب ...

أوليس : نيقولا ، لماذا لم تطرد هذه الكلمة ؟ يا نيقولا ، أنا ما زلت أفكر فيها بمعاناة الرجل الذى يريد أن يموت ، الذى يتناول المسدس ويطلق منه الرصاصة .

نيقولا : ارحميه الآن وقد مات .

أوليس : فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

يولاند : هل يمكنى أن أتصور أنك من الغباء بحيث تقتل نفسك .
أوليس : نعم ، هذه روحك ، أليس كذلك ؟

نيقولا : سيدى لقد قاسيت كثيرا فى خدمتك بسبب طباعك وأنت على قيد الحياة ، فأرجوك ألا تجعل خدمتى لك مستحيلة قبل أن تفارق الحياة تماما . دعنى أصحب سيدتى إلى مكانها .

يولاند : (مخاطبة نيقولا) إذا لمستنى سأصفعك على وجهك . منذ أسابيع وأنا أريد أن أصفعك .

أوليس : لقد لاحظت ذلك .

نيقولا : حذار إذا كان يهملك رأيه النهائى الذى سيكونه عنك . إننا ماثلون فى ذاكرته بتصرفاتنا المميزة ، ذات المغزى .

أوليس : (مخاطبا يولاند) لماذا خنتنى ؟

يولاند : كأن الزوجات يعرفن دائما لماذا يخن أزواجهن .

أوليس : أخبرينى بالحقيقة .

يولاندا : أنا أحبك . يا حبيبي . أنت كنت دائما متشددًا أكثر من اللازم ، متزمتا أكثر من اللازم . لم تكن تعمل حسابا بالأشياء ... لقد شاء القدر العاثر أن تأخذ هذه القصة مأخذًا مأساويًا . ولكن جميع الرجال الخدوعين فى الدنيا لا ينتحرون .

(صمت)

أوليس : نيقولا ، أخبرنى : الأزهار أو الحيوانات الصغيرة التى كنت أحبها ، هل ستشارك فى العرض مع ذكرياتى القديمة ؟

نيقولا : بكل تأكيد .

أوليس : لكنها لن تتكلم ؟

نيقولا : لا ، طبعًا ! لماذا ؟

أوليس : أحسن . فأننا لن أستطيع أن أتحمل أن تكلمنى ورده أو ياسمينة بالطريقة المبتذلة التى تتحدث بها هذه المرأة . تصورها لو كانت تتحدث . كم من المحزن أن نسمع قرنفة تتلفظ بالفاظ نابية !

يولاندا : أوه ! هذه الروح المستفزة ! (ثم :) سامحنى ، يا حبيبي . أنا أخطأت . وأنا أعترف بذلك . كنت ضعيفة ، طائشة ، متهورة . ولكن هل هذه جريمة ؟ أنت نفسك ، من يدري أنك لم تخننى .

أوليس : نعم ، أنا خنتك .

يولاندا : (كأنما أصابتها صاعقة) ماذا تقول ؟

أوليس : أوه ! حياتى الفاشلة كانت أيضا حياة معقدة !

يولاند : (مغيزة) أنت خنتنى ؟

أوليس : (بكل بساطة) ألم تعرفى ذلك ؟

يولاند : وليك الجراءة أن ... (مخاطبة نيقولا) كنت تعرف ذلك ، أنت طبعا .

نيقولا : هذا المشهد ليس وقته الآن ، اتبع ترتيب سنوات حياتك ، ابدأ بالبداية .

أوليس : ولعل الذكرى التى احتفظت بها من هذه المغامرات التى لا أهمية لها هى التى قتلتنى .

نيقولا : الذى يقتلك الآن يا سيدى ، هو طلبة المسدس .

أوليس : فى رأسى ، ذكريات واضحة ودقيقة لجميع تلك النساء .

يولاند : جميع تلك النساء ، شىء رائع .

أوليس : ذكريات بلا حب . تطفو فيها النساء فى أوضاع مزرية .

يولاند : أوه ! أرجوك . دعك من التفاصيل !

أوليس : ولم أستطع أن أتصور أن رجلا آخر يحتفظ فى رأسه أو فى جسده بمثل هذه الذكرى المخزية لامرأة كانت زوجتى فى يوم من الأيام .

يولاند : نيقولا ، انسحب !

أوليس : فى بيته ، نزعته عنك ثوبك ، بينما هو ينظر إليك ويظهر له ...

يولاند : أنت مجنون ! لا ترفع ثوبى أمام نيقولا .

نيقولا : لا يستولى عليك الحياء إلى هذه الدرجة . هيا . الله موجود . وسيرارك عارية تماما ، وبكل تقزز ونفور .

أوليس : ثم نزعته عنك كل شيء وضاجعك هو ...
يولاند : اسكت !

أوليس : هل كان أول عاشق لك ؟
يولاند : نعم ، أقسم لك .

أوليس : وانطرحت أمامه على الفراش ...
يولاند : ارحمنى ، أهدأ .

أوليس : أهدأ ؟ وهل يكون الرجل هادئاً حينما يتناول مسدساً
ويطلق النار ؟ أه ! وشفتاك تنضم وتنفرج لكى تقول هذه
البلاهات ؟ أهدأ ! تقولين لى هذه الكلمات بهذا الفم
الذى لعق وسال لعابه على جسد الآخر. أه ! كان ينبغي
أن أقطع شفتيك قبل أن أقتل نفسى .

يولاند : النجدة ! النجدة !

أوليس : (الذى يضطر يولاند للركوع ، مخاطباً نيقولا) أجبني بصراحة .
نيقولا : أنا تحت أمرك .

أوليس : أنا فى الجحيم ، أليس كذلك ؟
نيقولا : لا ، يا سيدى ، أنت ما تزال مع ذكرياتك .
أوليس : هذا هو الجحيم .

يولاند : دائماً يريد أن يعرف أكثر من الآخرين .
أوليس : (مخاطباً يولاند) أخبريني بالحقيقة .

يولاند : ثانية ؟

أوليس : وكونى صريحة ، مادمتُ بعد لحظة ، سأعرف الحقيقة ،
حتى لو كذبت على .

يولاند : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟
أوليس : من يدري ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه
لن أعثر على أثر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ،
حتى الأفكار التى تخجلين منها .

يولاند : يا للفضاعة !

أوليس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتهما أنت اليوم ...
يولاند : لا أريد .

أوليس : نعم ... الإنسان منا يعيش دائماً كأنما الآخر لن يعرف
كل شىء يوماً من الأيام .

يولاند : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان - ولو كان الله تعالى .
أوليس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفية
للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يولاند : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلاً ؟

أوليس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيقولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش
حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ،
وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يولاند : لماذا يولد طفل من جديد ، ثم يكون شاباً وكل ما بقى حتى
النهاية ، ينبغى أن يصل إلى أنا ، إلى حبيبى ، إلى حبنا .

أوليس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقاً
بما سيكون من أمر علاقتى بك ، لالتزمت الجمود منذ
البداية حتى لا أصل إليك - حتى لا أعرفك ...

يولاند : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟
أوليس : من يدري ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه
لن أعثر على أثر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ،
حتى الأفكار التى تخجلين منها .

يولاند : يا للفضاعة !

أوليس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتهما أنت اليوم ...
يولاند : لا أريد .

أوليس : نعم ... الإنسان منا يعيش دائماً كأنما الآخر لن يعرف
كل شىء يوماً من الأيام .

يولاند : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان - ولو كان الله تعالى .
أوليس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفية
للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يولاند : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلاً ؟

أوليس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيقولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش
حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ،
وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يولاند : لماذا يولد طفل من جديد ، ثم يكون شاباً وكل ما بقى حتى
النهاية ، ينبغى أن يصل إلى أنا ، إلى حبنى ، إلى حبنا .
أوليس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقاً
بما سيكون من أمر علاقتى بك ، لالتزمت الجمود منذ
البداية حتى لا أصل إليك - حتى لا أعرفك ...

يولاندا : لا تنكر الأوقات السعيدة التى قضيناها معا ...
أوليس : نيقولا ، الرسالة - رسالة زرقاء -- تبدأ هكذا :
" حبيبى ... " أنا قرأتها .

(مخاطبها يولاندا) كنت أعتقد أنك كتبتها لى لنا
" حبيبى " كانت طريقة كتابتك توحى بأنها لى ، تماما .
ولكننى وأنا أقرأها عرفت أن رسالتك تخص شخصاً آخر ،
كتبتها بخطك ، باسمك ، لشخص آخر .

نيقولا : سيدتى ، أنت المسئولة ، ليس فقط عن موته ، وإنما عن
كونه يموت ميتة صعبة .

أوليس : إنك حتى لم تغيرى اسمك ، لم تغيرى خطك ،
ورسالتك كانت هناك ، كقطعة الأثاث ، كالشجرة ،
كالحجر ، تقول لك : " أنا من أنا ولا أستطيع أن أكون
شيئاً آخر

يولاندا : نيقولا ، مادام لم يعد هناك فوق الأرض سواك بينى
وبينه ، وأنت وحدك الذى تستطيع أن تغلب كفة الأصوات ،
قل لسيدك إنه أنا وأنت لا نترك زوجة فى مثل هذه
الحالة إذا كنا نحبها ! ماذا سأقول لأصدقائه غداً ؟
أصدقائه الذين لا يحبونه ، الذين لو استطاعوا لما ترددوا
فى النوم معى ، نعم ، كلهم ، أنا أعرف ذلك ؛ إن الفتاة
الصغيرة تدرك مثل هذه الرغبات . ولكنهم ، غدا
سيبتهون باحتقارى - سينقمون على لى يقنعونى أنهم
كانوا يحبونه !

أوليس : أريد أن أرحل .

نيقولا : نعم ، تعال بسرعة

يولاند : لماذا لم تعطني الفرصة لمواساتك ؟

أوليس : تحدثيني حديث المربيات .

يولاند : مع الوقت ، كنت ستنسى .

أوليس : أنسى ؟

يولاند : نعم هناك أمثلة كثيرة مشهورة .

أوليس : أنا لا أريد أن أنسى .

يولاند : إذن لماذا لم تعطني الفرصة لكى أندم ؟ كنا سنتقدم فى السن مثل الآخرين .

أوليس : وفضيلتى تفرق فى العادات ؟ كلا ! لقد أردت حياة من نار .

نيقولا : تنتهى بطلقة من نار .

أوليس : من نار ؟ هل سأظل إلى الأبد فى هذا الجحيم ،

وأمامى هذه الرسالة الزرقاء ، وهذه الزوجة الفاسدة ؟

يا إلهى ! ولكننى قبل أن أكون رجلا ، كنت طفلا صغيرا

سعيدا - وقبل أن أكون طفلا ، لم أكن سوى رغبة فتية

لوالدى - إلهى ، أسألك العودة إلى تلك الحقبة التى

لم يكن حتى لأبوى فيها وجود . إلهى ، استرد روحى ،

استرد جسدى ، هبنى القدرة على أن أمحو أثر مرورى

على الأرض ، بل وعلى تدمير ذكرى المغامرات الكبرى

التي كنت أحلم بأن أكون بطلا لها .

(يخر راكما)

نيقولا : لا بد وأنه كان يحب رغباته وأحلامه وأعماله التى لم تتم ، حتى إنه ليتعذب كثيرا لانتزاعه منها .

أوليس : نيقولا ، ما هذه المعجزة التى تجعلنى أتعذب كل هذا العذاب من هجر ما كان من الممكن ألا أعرفه ؟ إلهى ، قيّض لى أن أنسى أفكارى الحاضرة .

(ضوضاء هائلة فى الكواليس)

نيقولا : (من أعلى الشرفة) - هل يشك سيدى أن طلبة نارية يمكن أن تحرك أشياء كانت لا تتحرك؟ المنزل يتعرض للغزو الكامل، لقد امتلأ بمعارف قديمة ، وأثاث قديم ، والبقية تأتى . لقد امتلأ الشارع ! من كان يظن أن سيدى لديه كل هذه الذاكرة ؟ سيكون هناك ناس أقل فى جنازتك .

يولاند : حبيبى ، هل تذكر أنك كنت تحبنى أكثر من أى شىء فى الدنيا ؟

أوليس : ومازلت أحبك أكثر من أى شىء فى الدنيا ، للأسف .

يولاند : فلنحرق هذه الرسالة .

أوليس : (لنيقولا الموجود فوق) فى هذه الفوضى ، ابحث لى عن يوم أمس ، سنقوم بالقضاء عليه ، بإحراقه (ليولاند) ذلك اليوم الذى انطرحت فيه عارية من أجل رجل آخر ...

نيقولا : سيدى ، سيدى ، أنية قديمة ، وصور بلا أطر ، ومصاصات ، ولعب مكعبات ، ورجل مسن يعرج فى

مشيته ، وعربة بحصان تتقدم تحت ضوء القمر ، وأنت
بداخلها تغط فى النوم - وجميع تلك النساء ! أوه ! أوه !

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : هذا لم يعد طلقة من مسدس ! بل دوى جرس رائع !

يولاند : (وهى تحاول أن تمسك أوليس) - حبى الكبير !

نيقولا : سيدى . كل شىء قد حضر . حياتك بأسرها ! الرجال

والنساء والأثاث والأولاد والبناات والكتب وأشياء أخرى

من كل صنف ، بدءاً من المولدة التى أخرجتك إلى الدنيا

حتى بائع السلاح ! فيما عدا احترامك ، تعرض كلها فى

لمحة عين مع جميع ملحقاتها . عمرك البالغ ثلاثة وثلاثين

عاما كأنه سوق خردة أو جراج للروبايكيا .

يولاند : حبيبى . أغمض عينيك ، ابق بين ذراعى .

نيقولا : أكثرهم هياجا ، كرسى فوتوى بالقטיפه الحمراء

ذراعه اليسرى ملطخة بحبر أخضر .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : ويوجد فوقه طفل صغير يبول .

أوليس : هذا أنا . (ليولاند) أنا رويت لك ذلك . هذا أوليس الصغير .

أصوات رجال ونساء : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : (وهى تمسك أوليس) لماذا لم تحاول أن تفهمنى فى

عواطفى الكبيرة كما فهمتنى فى نزواتى الصغيرة ؟

نيقولا : سيدى ! أمطار جليدية تسقط ، وأنت تلعب بهذا

الجليد ، أول جليد فى حياتك .

أوليس : هل معى قطتى الصغيرة تحت إبطى ؟
نيقولا : لا ! لقد هربت قبل قليل ، وهى تهز قوائمها على إفريز النافذة .

يولاند : كن عادلا : لقد عشت معى فترات صمت طويلة ، فترات غياب طويلة .

أوليس : (شاردا) وقد عرفت كيف تستغلينها !
نيقولا : سيدى ! تلك القطة الصغيرة ، أنت تقوم بدفنها فى الحديقة فقد ماتت منذ ساعة

أوليس : اسكت يا نيقولا ، إن قلبى ثقیل تغشاه الكآبة .
يولاند : حبيبى !

أوليس : فى صدرى ، صدر الطفل ، قلبى تغشاه الكآبة ؛ هذه القطة الصغيرة لن تعود للحياة أبداً . وحتى لو صرت شيخا طاعنا فى السن كأمثال أصدقاء والدى ، فإننى لن أستطيع أن أمل منها أن تأتى ذات صباح ، صباح واحد ، فتوقظنى كما كانت توقظنى وهى تقفز فوق فراشى .

يولاند : أنت طفل صغير .

أوليس : كان عمرى ثمانية أعوام ، وكنت أعيش مع مية .
نيقولا : لكنها هنا يا سيدى ، تنتظرك .

الأصوات : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : (لأوليس) - يولاند هنا يا حبيبى ، بين يديك .

أوليس : أخبرينى . هذا الرجل هل كنت تحبينه ؟

يولاند : لا ، بل ظننت أنى أحبه .
أوليس : وخلال تلك الساعات ، كان الأمر بالنسبة له وبالنسبة لك
كأنك كنت تحبينه .

الأصوات : أوليس ! أوليس !
أوليس : وخلال تلك الساعات ، أين كنت أنا ... أنا الذى كنت أفقد
سعادتي ؟

نيقولا : سيدى ؟ هل لى أن أقول شيئاً معقولاً ؟ هل تسمح
لى بأن أذكرك بأنك انتحرت لكى تنسى هذه المرأة ؟
**(الأم " فينو " وهى عجوز نحيفة من عامة الشعب تتقدم
الذكريات)**

الأم فينو : من هنا ...
الأصوات : أوليس !
يولاند : هاهم أولاء ! لن أتركك بعد الآن . تعال !
الأم فينو : أسرعوا ! إنه ينصرف ...
الأصوات : أوليس !

أوليس : يولاند - بإمكانى الآن أن أكون حياً بين ذراعيك
الحيتين ، وأعتقد فى السعادة .

يولاند : أحبك ! تعال .
(تسحبه ويخرجان)

نيقولا : (إلى الذكريات) لا تتدافعا !
مادلين : حاسبوا !
المجهولة : أود أن أستلقى وأنام .

نيقولا : هدوء ! أولا هو ليس هنا !

المدير : (داخلا) أوليس !

المجهولة : (مشيرة إلى مدير المدرسة) من هذا الشخص ؟

مادلين : هذا رجل سمج (ثقيل الظل) . حذار ! إن لديه حكاية حول كل كلمة .

المجهولة : ماذا ؟

مادلين : (صارخة ، متوترة) أسرّ إليكم أن هذا بائع بيانوهات .
المدير : بهذه المناسبة ، أنا مدين له بأجمل إجابة أدلى بها
إلى طالب خلال مدة خدمتي الطويلة كرجل تربوى
مغمور .

مادلين : أه لقد بدأ !

المدير : ذات يوم سألت التلاميذ : ما أجمل آلة موسيقية ؟
أنا أعترف بأن هذا السؤال مع أنه خارج المقرر ، إلا أنه
ليس أكثر ذكاءً من غيره من الأسئلة . المهم ، زملاؤه فى
الفصل رفعوا أصابعهم قائلين : سعادة المدير ... البيانو !
المجهولة : (إلى مادلين) برافو !

المدير : وآخرون أجابوا قائلين : لا ، لا ، إنها الكمان . إنها
الكونترباس ، إنها البوق . وقال فنان شاب : إنها
القيثارة . أما هو وحده ، فقد أجاب قائلا : سيدى المدير .
إنها صوت الإنسان .

مادلين : حقا ؟ طز !

(صيحات)

الاب : (بلهجة اهل مرسيليا) - أفسحوا لى حتى أدخل ،

يا إلهى ، قلت لكم إبنى والده ، أنا أبوه !

(يبدو عجوزاً بلحية بيضاء)

النساء : (باحترام) أبوه !

الاب : لم أره منذ ثلاث سنوات . لقد فارقت الحياة . لكنه فى

هذه اللحظة يفكر فى .

أنا أشعر به . إنه يبحث عنى . سأذهب لاستقباله وأتى به إليكم .

(يخرج)

مادلين : بسرعة ، هه !

الأم فينو : لماذا تطلبون منه أن يأتى بسرعة .

مادلين : حتى ننتهى بسرعة .

الأم فينو : سيداتى ، بادئ ذى بدء أود أن أعبر لكن عن عميق

احتقارى .

مادلين : ولماذا أيتها الساحرة الشمطاء .

الأم فينو : أنا أعرف مع من أتحدث . أنا أتحدث مع زمرة من

الفاجرات . هس ! نحن النسوة يعرف بعضنا بعضا

بسرعة . الرجال يطلبون منا النصائح لتكوين رأى معين .

أما نحن النساء ، فيكفى أن ننظر إحدانا إلى الأخرى

لكى تكون رأينا ، لكى تحكم عليها .

المجهولة : أنا لا أسمع لك ...

الأم فينو : يؤسفنى أن أقول لكن إن ذكريات أوليس الصغير ليست

هى الذكريات التى يستحقها . ولكن - صبرا !

مادلين : (مشيرة إلى ثوبها) أوه ! إننى أضيق بهذه الثياب .
أولا ، انظرن كيف أبدو فى هذه الثياب العتيقة . شئ
فضيع أن تتغير المودة فى عشر سنوات .

المجهولة : وأنا ! قدمائى مبتلتان . لكى يتذكرنى هذا الغلام ، كان
عليه أن يختار يوما آخر - يوما آخر أكون فيه أكثر
استعدادا - وقدمائى جافتان .

مادلين : وأنت ما اسمك ؟

المجهولة : لا أعرف .

مادلين : كيف ، لا تعرفين ؟

المجهولة : لا أذكر شيئا على الإطلاق . لا أعرف من أين أنا آتية ،
ولا أعرف إلى أين أنا ذاهبة . لكن قدمائى مبتلتان .
ويستولى على حزن غريب يذكرنى بمصيبة وقعت ،
أو يذرنى بمصيبة ستقع .

الأم فينو : وأنت ، ألم تتمكنى من كسب وده ؟ لقد قلت لك إنك
لم تكونى تحبينه .

مادلين : وهل تعرفين أنت معنى الحب ؟ إيه تكلمى إذن . أنا
أسمعك ... لا ، دعك من الشتائم ! أنا جريت وراء رجال
كانوا يهبوننى المتعة ... لكن لم يكن هذا هو الحب .
وانتظرت ، بكل عرفان وامتنان ، رجالا أعطونى المال ،
حين كنت فى حاجة ماسة إليه ، وبذلك منعونى من
ارتكاب كثير من الحماقات . ولكن لم يكن هذا هو الحب .
واستمعت لشبان ظرفاء وأنا مغمضة العينين - ولكن

لم يكن هذا هو الحب . ورحلت مع رجل صحبني في رحلاته . وشاهدت معه بلادا كثيرة ، ومدناً ، ومقا هي وجبالا ، وبحيرات وقرى وفلاحين ، وكان هذا الرجل يضربني . وقد انتقلت معه في البلاد سنوات ، ولكن لم يكن هذا هو الحب . بعد ذلك ، ولما تعبت من السفر ، فضلت أن أستقر في بيت لا أغادره . وهناك ، عرض على رجال كثيرين ، وكانوا يعودون لرؤيتي مرة أخرى . لم يكونوا يفكرون إلا في الحب - ولكن لم يكن هذا هو الحب أبدا ، أبدا .

المجهولة : بكل تأكيد ! بعد الرجل الأول ، ينتهى الحب ! ولكن هذا الأول يجب أن نحبه لكي نهب له أنفسنا ... نعم ... أنا أذكر ...

مادلين : الأول ؟ كنت أريد أن أتعلم ... كان مجرد فضول ، لم يكن حبا .

(بيت تدخل)

ييت : أوليس ؟

مادلين : إيه ، ماذا عن أوليس . هيا ، تكلمى . أنا أسمع لك .

ييت : (وهى تفك أزرار ثوبها) - انظرى !

المجهولة : هذه رصاصة ؟

ييت : نعم .

مادلين : هل قتلك ؟

ييت : أوه ! لا ! أنا التى أطلقت النار .

مادلين : قتلت نفسك من أجله ؟
بيت : كلا ! لقد أخطأت التصويب : وقضيت ثلاثة أسابيع فى
المستشفى . هذا كل ما فى الأمر .

مادلين : ولكنك كنت مجنونة يا حبيبتي .

المجهولة : كنت تحببته لدرجة أن ...

بيت : نعم .

مادلين : وهو ، هل كان يحبك ؟

بيت : أعتقد . لست أدري . لكننى مازلت أحبه ... أحبه .
وسأظل أحبه إلى الأبد .

(تبكى)

مادلين : وماذا قال لك ، بعد ذلك ؟

بيت : أنا لم أره بعد ذلك . أبدا . ومع ذلك وأنا أعيش حياة
عادية . مرَّ بعض الوقت ، وقابلت شاباً طيباً ، تزوجته
وعندى منه طفلان . والآن أعيش فى الريف فى هدوء .

(تصل يولاند وتحاول أن تشق لها طريقا وسط مجموعة
من النسوة يردن الدخول أيضا)

يولاند : دعننى أدخل . أريد أن أدخل ! يا إلهى ، يالهن من
سوقيات ! غريبة ! نساء أخريات هنا ! سيتضايق أوليس
جدا لأنه وضعنى وسط هؤلاء !

مادلين : (بلهجة هجومية) ماذا ؟

يولاند : أسأل نفسى كيف أن امرأة مثلك يمكن أن يكون لها
مكان فى ذاكرة زوجى .

نيقولا : هيا . لا عليكن . لقد أحبكن الواحدة تلو الأخرى .

مادلين : وليس فى بيت واحد بطبيعة الحال !

يولاند : حينما نرى أنفسنا جميعا هنا ، ألا ترين أن ذاكرة

الرجال من نوع ردىء للغاية ؟

الأم فينو : لا تذكرن أوليس بالسوء ، إنه فى الخامسة من عمره .

وشعره أشقر جميل ، وأنفه صغير يرتفع نحوى .

ويده طويلتان . أبحث عنه فأجد مكانه نسوة مضطربات

لا تشبه إحداهن الأخرى !

(النساء مفتاضات . الأم مرهقة فتجلس)

(يصل شابان . الأول هو ماكسيم ، والثانى شاب فى زى

عسكرى يعود إلى عام ١٨٧٠)

ماكسيم ٢٠ : إذن فأنت لا تعرفه ؟

الجـد : لا . ولاحظ أننى جده !

ماكسيم ٢٠ : جده ؟

الجـد : كل شىء يصبح واضحاً إذا علمت أننى مت وأنا فى

العشرين من عمرى فى " جرافيلوت " . كانت زوجتى

حاملأ فى شهرها السادس . كانت تنتظر طفلة .

أوجينى الصغيرة التى لم أراها أبداً

ماكسيم ٢٠ : أنت مت وأنت فى سن العشرين ؟

الجـد : فى سن العشرين !

ماكسيم ٢٠ : عفوا لفضولى وسؤالك ؛ فى مثل هذه الظروف ، ماذا

تعمل هنا ؟

الجد : أنا جئت مع أثاث الصالون . فى الإطار الذى شاهدنى فيه أوليس كثيرا وهو راعى فوق أحد الكراسى لى يرانى عن قرب . أنا آسف للحديث كثيرا عن نفسى . أنت أحد أصدقاء حفيدى ، أليس كذلك ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أعز أصدقائه . وقد تصافحنا آخر مرة أمس فقط ، هنا بالضبط ، وبالمصادفة البحتة .

- " صباح الخير يا صديقى العزيز

- " كيف حالك يا صديقى ؟ "

لا شىء أكثر من ذلك ، لا تتصور شيئا آخر . أقسم لك . مثل هذه الدناءة لم تكن جالت بفكرى بعد .. فضيحة ، يا سيدى ،...

الجد : ماذا بك ، يا سيدى ؟

ماكسيم ٢٠ : أقسم لك : لم أكن أعرف أنه سينتحر . ثم كان كل منا قد غاب عن صاحبه فترة من الوقت . أولا ، أنا متزوج وعندى ثلاثة أبناء . وأنا أعمل مهندسا للطرق والكبارى ، وحاصل على وسام " جوقة الشرف " . إذن لم يكن لدينا شىء مهم نقوله .

الجد : (مندهشا) - مهندس ، متزوج ، وثلاثة أبناء ؟

ماكسيم ٢٠ : نعم ، قد أبدوا أمامك صغيرا إلى حد ما . ولا أدري لذلك سببا ، لأننى فى الحياة حاليا لى شارب كبير أسود ويطن كبير إلى حد ما . عجيبة . ومع ذلك فعمرى سبعة وثلاثون عاما .

الجد : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : وقبل قليل وعلى حين فجأة ، عدت إلى مطلع شبابى دون أى تفسير .

الجد : ربما بسبب حفيدى ؟

ماكسيم ٢٠ : ربما . ثم علينا أن نجد لأنفسنا الأعذار . فلا يمكن أن يظل الإنسان منا فى العشرين من عمره إلى الأبد .

الجد : بلى . أحيانا ، للأسف !

ماكسيم ٢٠ : كيف ذلك ؟

الجد : انظر إلى ، أنا سأظل فى العشرين إلى الأبد .

ماكسيم ٢٠ : شئ عجيب .

الجد : لا . هذا يحدث كثيرا . ولكن الآخرين لا يفكرون فيه . هذا كل ما فى الأمر ...

(يدخل الأب والابن)

أوليس : لن أسمح بأى عتاب أو توبيخ .

الأب : لعلك تريد من أبيك أن يهنتك ؟

نيقولا : أه ! سيدى ، لقد بحثت عنك تحت جميع قطع الأثاث ، بين النساء ...

أوليس : رأسى فى دوامة من ضحك الأطفال والهرج والمرج السعيد ...

نيقولا : سعيد ؟ ماذا كنت أقول لك ؟

أوليس : أعرف بأى ألفاظ ينضج هذا المزاج السعيد .

الجد : (مخاطبا ماكسيم) - والآخر - العجوز ذو اللحية ، من يكون ؟

الاب : (إلى اوليس) ستستمع الآن إلى أبيك العجوز .
الجد : هذا الشيخ ... صغيرتى أوجينى ! ؟ أوجينى ؟ !
يا للفضاعة !

أوليس : (لنيقولا) - كل هذه الذكريات انقضت على أشد وأعنف
من مائة امرأة غيور .

الأم فينو : (للجد) - نعم ، هذا الشيخ ، هو أملك فى طفلة صغيرة !
أوليس : حينما يكون المرء منا على قيد الحياة ، ويفكر فى
ماضيه ، فإن النسيان يجعلنا نختصر أشياء لم تكن فى
الحسبان ... لم أكن أتصور أن حياتى طويلة إلى هذا
الحد وحافلة بالأحداث ...

الاب : أريد منك أن تبرر موقفك ...
أوليس : الذى أدهشنى هو عدد الدقائق والساعات الضائعة .
دقائق الانتظار ، كم هى طويلة وكثيرة ... كأنها علامات
على الطريق ... الساعة الثانية إلا خمس دقائق... ننتظر
حتى الساعة الثانية ! خمس دقائق لا يحدث خلالها شىء
سوى أن ننتظر حتى الثانية ... ننتظر امرأة . ننتظر
الحافلة . ننتظر تحرك القطار - ننتظر الساعة حتى تدق ...
تصور (إلى الاب) فى حياة طويلة مثل حياتى ، أنا
متأكد أن الدقائق التى ضاعت فى الانتظار وحدها يمكن
أن تشكل حياة بشرية بأكملها ، أقصر من حياتى ،
ولكنها قد تكون رائعة .

الاب : (بشيء من الضيق) آه ! الموت لم يغيرك !

نيقولا : لكنه ما يزال حيا يا سيدى ! الوقت اللازم لإنهاء هذه الرحلة .
أوليس : لا . أنا قررت أن أجلس هنا ، وألا أسمع شيئا وألا أرى شيئا .

(إلى نيقولا) عفوا يا صاحبى ، أريد أن أبقى وحدى .

الاب : الطفل الذى بذلنا من أجله أعظم التضحيات !

الأم فينو : (للجد) - هيا ! إنه ينتظرك أنت .

(تصحبه)

أوليس : جدى !

الأم فينو : واسمه أوليس ، مثلك .

أوليس : أنت ... ! أنت ... ! أنت !

(يعانقه ويبكى)

الجد : أنا أدرك انفعالك وتأثرك - وأنا نفسى ...

أوليس : جدى ، أودُّ ... أن أدعوك " جدى " كنت دائما أفكر فيك بهذا الاسم ...

الأم فينو : (وهى تسحب الجد) - وذو اللحية البيضاء هذا .
ألا تقبله ؟ إنه ابنك .

(موقف صعب عسير)

الاب : (للام) تعرفين أن هذه أول مرة نلتقى فيها .

الأم فينو : حسنا . حاول أن تكون أقل عبثا من الموقف . على أية حال هو أبوك .

أوليس : (للجد) - لقد حاولت دائما أن أستخلص السمات التى انتقلت إلى منك ، الصفات التى عاشت منك فى

شخصى . وحينما بلغت العشرين وأربعة أشهر وسبعة أيام - أنت قتلت فى هذه السن ، ظللت طوال الليل أرتعد . أنا أيضا كنت جنديا فى الجيش ، فى الشمال . وكما كان غضبى شديدا حينما كانت تشرق الشمس بعد تلك الليلة التى تمثل موعد موتك فى حياتى .

الجد : عزيزى أوليس !

أوليس : كنت أعيش فى الجبهة - كانت المرة الأولى التى أدركت فيها كم كانت حياتك قصيرة فوق الأرض . كنت أقول لنفسى : " فى مثل عمري ، كان كل شىء قد انتهى بالنسبة له . "

الجد : ولكن ، لماذا إذن ترتكب هذه حماقة اليوم ؟

الأب : أرأيت ، حتى جدك يقول إنها " حماقة "

الجد : لماذا ؟ هل كنت فقيرا محتاجا ؟

أوليس : فقيرا ؟ لا . ياله من سؤال غريب !

الأب : بابا مثلى ، يريد أن يفهم . ولكنك تضيع وقتك . من المستحيل أن نفهمه . تصور ، لقد تطوع فى الحرب ...

الجد : هل كانت الحرب ما تزال مستمرة ؟

الأب : نعم .

الجد : ضد بروسيا ؟

الأب : طبعاً .

الجد : مرة أخرى ؟

الأب : نعم .

الجد : ولكن ماذا كان مصير حربنا نحن ؟

الأب : خسرتها .

الجد : وحربكم ؟

نيقولا : كسبناها .

الجد : ما أسرع الأحداث !

أوليس : فى كتب التاريخ ، هذا صحيح .

الأب : بعد الحرب التى خسرتها كنا أسعد حالا مما كنا

بعد الحرب التى كسبوها ! صحيح أنها استمرت !

استمرت ! كانت مستمرة حتى ثلاث سنوات مضت

حينما تطوع فى الجيش بدلا من أن يدعى أعيش

شيخوختى فى هدوء مع حبنى الأبوى .

الجد : ثلاث سنوات .

الأب : لقد استمرت أكثر من أربع سنوات .

الجد : لا تقل هذا يا صغيرى .

الأب : لم يركن للهدوء أبدا .

أوليس : هدوء فى العالم الذى قدمه جيلكم للأطفال فى مثل سننى ؟

الأب : (مغيفا) - هل ستحملنى مسئولية الحرب ؟

(يدخل مدير المدرسة)

أوليس : أه ! سيدى المدير ! تفضل يا سيدى المدير .

نيقولا : (بكل لطف وكياسة) هل من جديد ، يا سيدى المدير ،

غير الإنذارات الليلية وقصف القنابل ؟ أه ! الحزن الذى يخيم

ليلا على صوت صفارات الإنذار داخل المخابئ والكهوف .

المدير : يا صغيرى أوليس ، أنت فخر مدرستى . ستذهب بعيدا وسترفع إلى أعلى عليين .

أوليس : لا أعرف إذا كنت سأصل بعيدا ، لكن من المؤكد أننى سأرتفع إلى أعلى عليين لأننى سأعمل طياراً .

المدير : أنت ! البارع فى فقه اللغة اللاتينية !

أوليس : وهل اللغة اللاتينية تتعارض مع الملاحة الجوية ؟

المدير : طيار ؟ لماذا ؟

أوليس : أمام حروبكم العصرية ، لأن المرء لم يعد بإمكانه أن يصبح جنرالاً فى سن العشرين ، هلبقى لنا شىء آخر

سوى المعارك الفردية التى يخوضها المرء برشاشه وحظه ؟

المدير : ولكن تلاميذ فصلك لم يُستدعوا بعد للتجنيد .

أوليس : إن فخر مدرستك ينبغى أن يكون من الذكاء بحيث

يتخذ لنفسه موقعا فى حرب عالمية . ليس أمامى إلا أحد

احتمالين : أن أتطوع أو أن أهرب من الخدمة .

المدير : أنت مجنون . لكى تهرب من الخدمة يجب على الأقل

أن ننتظر حتى يتم استدعاؤك للخدمة العسكرية ... وأبوك

الذى كان يقول لى بالأمس إنهم تنبؤوا لك بمستقبل باهر .

أوليس : حسنا ، إن حربا عالمية يبدو لى أنها مستقبل باهر

لشباب مثلى فى سن الثامنة عشرة .

المدير : ولكن العلوم ؟ والفنون ؟ وشعراعا ؟

أوليس : (ساخرا) - مدافع ! ومؤن وذخيرة !

المدير : الحرب يمكن أن تنتهى غدا . من الواجب عليك أن تتقذ روحك . إن وطننا العزيز سيكون فى حاجة إلى شبان مثلك ، غدا أيضا .

أوليس : غدا ، هذا بعيد جدا .

المدير : ستكون جنديا كالأخرين ، فى حين أننى أرى أنك موهوب وموهل لكى تصبح فخرًا للفكر المعاصر .

أوليس : سيدى المدير ، لا تقدم لى اختياراً غير محدود لمصائر كبرى .

المدير : من السهل أن نسخر من شيخ طاعن فى السن .

أوليس : بالضبط . غدا حينما أصبح شيخا عجوزا ، ويسألنى أبنائى عن الحرب ، أجيبهم قائلا : " أنا لم أسمع شيئا . فقد كنت أقرأ أشعار فيرجيل . " ؟ كلا !

المدير : أتمنى لك أن تنجو من الحرب ومن حماسك . أى بُنى ، إن الأشخاص الذين فى مثل سنى يعيشون شيخوخة صعبة . أنا أقوم بتربية تلاميذى وأكن لبعضهم معزة خاصة ، ثم ينتزعون منى جميعا .إننى بثقافتى الإغريقية واللاتينية أحدثهم وهم ينصتون لى وغدا تسمع أذانهم أصوات المدافع . إن أنت يوما تذكرت مديرك العجوز الذى يحبك فلربما استطعت أن تفهم .

أوليس : سوف أتذكرك يا سيدى المدير ، مادمت تعدنى بأن أكون فخر العلوم والفنون والسعادة فى الخامسة والثلاثين .

المدير : (ضيقا ساخطا) - يجب أن أنصرف . عطلة سعيدة يا بنى .

أوليس : لا توجد عطلات فى زمن الحرب . أنت نسيت أنه منذ ثلاث سنوات ، أننى استبدلت بلعبة القزم الأصفر لعبة أعلام صغيرة من بحر الشمال حتى البحر الميت ، كما استبدلت بتلاوة الصلاة اليومية ، قراءة بلاغ يوقظنى كل صباح بضجيجه ، ضجيج المعركة .

المدير : حاليا ، نحن الذين نكسبها .
أوليس : إذن ، هم الذين يخسرونها . أنا أود أن يكون مصير الحرب بالنسبة لى سواء ، حتى أشعر أكثر بغضا عنها وهولها .

المدير : وتريد أن تتطوع ؟
أوليس : كمتفقه فى اللغة اللاتينية لا يشق له غبار ! لكى أواجه الخطر مع زمنى وعصرى . ولأننى أريد أن أحيأ ، بلا تحفظ ، حياة بطولية .

المدير : أدخر قواك يا بنى . ستحتاج إلى طاقة عظيمة لتدعم حماساتك .

(المدير يختفى بعد ذلك)

نيقولا : سنرى إلى أين سيقودنا حب المغامرة هذا
أوليس : ما قيمة الحياة إن لم نولد لكى نصبح أبطالا ؟
نيقولا : هل تحب أن أحضر الميداليات التى حصلت عليها فى حياتك والإشارات باسمك فى الجيش وحتى فى البلاغ .

(موسيقى ، أجراس ، فرقعات ، صراخ - ثم يدخل جنديان)

الأول : انتهت الحرب !

الثانى : انظروا ! اسمعوا الأغاني !

أوليس : (بمرارة) - إنهم يسكرون !

الأول : هل تريد دموعاً لتروى بها الهدنة ؟

أوليس : ما أعظم فرحة الشعوب يوم يبدعون الحرب ويوم ينهونها .

ما أجوجهم إلى الرزاةة و الوقار .

الأب : (للجد) واستولى علينا الخوف شهوراً عديدة ، لأننا

كنا نفكر فيك وفى الكارثة التى وقعت لك فى جرافيلوت .

الجد : نعم ، كارثة .

الأب : أما هو ، فحينما كان يأتينا بإذن كان يقول : " أنا

أخوض الحرب لكى أقتل "

أوليس : (عنيفا ، يقبل على الأب والجد) - لعلك كنت تريدنى

أن أخوضها لكى أضحك وألهو ؟

الأب : هو يرى أن الحرب مبعث عار .

الجد : أنا أيضا .

الأب : هو يخوض الحرب مثل المتمردين الذين يشعلون النار فى

المنزل .

أوليس : كنت مثل عصرى ، عنيفا وسافلا .

نيقولا : لماذا تتحدث على هذا النحو أيها العقيد ؟

الأب : (للجد) - كانت تلك وصفته خلال الحرب .

الجد : وما معنى " طيار " .

الأب : لا شيء . سأشرح لك .

نيقولا : (**للآخرين**) - كان بطلا ، وقد قيل .

أوليس : كنت أجيد التصويب . هذا كل ما فى الأمر . ولكن

هل أدركتم الخوف الرهيب الذى كان يعتصر بطنى ؟

لا أدرى لماذا كنت أخاف مع أننى لم أكن أهتم بشيء

أو أحرص على شيء . كنت أشعر بالخوف مثل

الأشخاص الذين لا يحبون أن يتناولوا الطعام ومع ذلك

فهم يشعرون بالجوع . وكنت أفكر فىك يا جدى مع أنى

لم أعرفك ، ومع أنك مت فى "جرافيلوت" والدم على

سروالك الأحمر وأنت فى العشرين من عمرك .

الجد : كنت أصرخ من الألم واليأس طول الليل .

الأب : (**لأبيه**) - كنت بطلا .

أوليس : لا ! الحرب حل فى غاية السهولة . فى حين أنهم

وعدونى بحياة مجيدة ، فإن الحرب لأغراض بطولية ،

لم تكن سوى مصنع لإنتاج الملابس الجاهزة . لماذا

تتطلعون إلى هكذا ، أنتم الثلاثة ؟

الجد : يا بنى ، أنا لا أفهم شيئا مما تقول .

أوليس : أنت لا تفهم يا جدى ؟

الجد : لا !

الأب : أرايت !

أوليس : ولكن أنت الذى مت فى مقتبل العمر ...

الجد : أنا لم أفعل ذلك متعمداً .

أوليس : هل ندمت على حياتك ؟

الجد : وما زلت أندم عليها .

الأب : أسمعت ؟

الجد : ولو أمكنتني أن أحيأ ، لحيت .

أوليس : وماذا تعرف عن الحياة ، أنت الذى لم تعيشها ؟

الجد : ولكننى ظللت أصرخ طول الليل ، وبطنى يتمزق . كنت

أصرخ . كنت لا أريد . آه ، يا أبنائى ، قلبى على أولئك

الذين يموتون فى سن العشرين فى ساحة القتال .

أوليس : أنت لا تعرف الحياة يا جدى .

الجد : للأسف .

الأب : (بلهجة من يتحدث بين أفراد أسرته) - أن يموت المرء

فى مقتبل العمر وهو زوج وأب لطفل لم يولد بعد .

أوليس : نعم . والطفل جاء إلى الدنيا . ونبتت لحيته وقد فارق

الحياة

الأب : ما أشد عناد هذا الطفل !

أوليس : لا أعرف كيف أعبر عن وجهة نظرى ، ولكننى لا أفهم

سببا لندمكم لأنكم لم تعرفوا طفولة هذا الرجل الذى لم

يعد حتى شيخا عجوزا على قيد الحياة . إن عقم الحياة ،

حتى ولو كانت سعيدة ، لم يبدُ لى بمثل هذا الوضوح

والبداهة .

الجد : لكنه ختم حياته هو ، فى حين أننى باق بغير نهاية فى مستقبل غير مؤكد ، مع حنين لمستقبلى . كيف تسنى لك

يا بنى العزيز أن تقتل نفسك بنفسك ؟

أوليس : لأنك لم تعرف هلاك الحياة ودمارها .

الأب : فى سن الخامسة والثلاثين .

أوليس : العار الذى تشعر به لأنك لست أكثر من إنسان .

الجد : ماذا تريد أن تكون أكثر من ذلك ؟

أوليس : أه ! أريد أن تفهمنى . ألا يكفيك أن ترانا هنا نحن

الثلاثة بمصائرنا الشخصية فى هذا اللقاء غير العادى

، لكى تقتنع ؟

الجد : أقتنع بماذا ؟

أوليس : كيف أشرح لك ؟ أنا مشرف على الموت ، وجسدى

أنتن وروحي تنشر رائحة ألغن .

الجد : اهدأ واشرح لى ما تقول .

أوليس : (لنيقولا) - دع ذكرياتى تدخل .

(نسمع أغنية يولاند)

أوليس : نيقولا . لا . لن أستطيع . اعرض عليهم أنت حياتى يوما

بعد يوم ودعنى أرحل .

نيقولا : يجب أن تبقى يا سيدى .

الجد : ماذا هناك ؟

أوليس : ليس لدى الشجاعة لكى أبدأ من جديد .

الجد : وهل وانتك الشجاعة لكى تقتل نفسك ؟

نيقولا : بالضبط .

الجد : أنت تتعذب كثيرا يا بنى .

أوليس : حينما ترى هذه السيدة .

الجد : أية سيدة ؟

الاب : لقد انتحر من أجلها .

الجد : ولم تستطع نسيانها ؟

أوليس : نسيانها ؟ لم يكن فى حياتى سواها . إنها كالشمس فى

الصحراء .

(تدخل يولاند)

يولاند : هل تناديني ، يا أوليس ؟

الجد : ما أجملها !

أوليس : لو كنت تعلم يا جدى !

الجد : ولكن على أية حال ، لا شئ يستحق أن نقتل أنفسنا من

أجله .

أوليس : ربما أكون شخصا يبعث على السخرية ، ولكن لعل

السخرية أصبحت شكلا جديدا أو عصريا للعظمة ،

عظمة مائلة بعض الشئ ، تتردد بين السماء والأرض .

نيقولا : مثل برج بيزا ، الذى ينتظر هنا أيضا ، مع ذكرياتك .

أوليس : جدى . أريد أن تفهم . بعد قليل سنلتقى فى رهان

رهيب . بعد قليل ، ستناولنى أنت المسدس الذى

سيحررنى . لا أريد أن أرحل قبل أن تعطينى أنت هذه

القبلة التى طالما انتظرتها . قبلة الكرب والأسى التى

يمكن للرجل فقط أن يعطيها للرجل حينما يدرك كل
منهما أنهما ضائعان .

الجد : أنت تشعر بمدى حبي لك .

أوليس : ولأنك فى العشرين من عمرك ، فستفهمنى الآن حالا .
يا نيقولا ، أعط الكلمة لجميع هذه الأشباح ، جميع هؤلاء
الفارين من ذاكرتى . دعهم يتكلمون ...

يولاند : (بحنان بالغ) أوليس !

أوليس : أريد أن تفهمنى يا جدى ، من أجلك ، سأراها ، للأسف
وأموث مرتين .

الجد : لسنا بصد أن تموت ، وإنما أن تحيا .

أوليس : انتظر يا جدى ، - انتظر .

ستار

الفصل الثانى

(الديكور نفسه)

الأم فينو تتكلم أمام يولاند وماكسيم (فى سن السابعة والثلاثين)

الأم فينو : لقد عثرت على صغيرى أوليس .
يولاند : ولكن أنا أيضا كنت طفلة ، أناس أيضا كنت فى الثالثة والرابعة والخامسة .

وكان لى شعر معقوص وابتسامة مازالت أمى تتحدث عنها ...
ليست كابتسامة أوليس ! كان طفلا ذكيا وكان يحبنى
الأم فينو : ويقول لى : " غنى يا أمى فينو " وكنت أغنى .
} على جسر نانت
} حفل راقص ...

(تتوقف وتنصت)

لا يفكر فى الغد أيامه لا تتصارع فيما بينها . طفل
صغير سيد نفسه ، سيد العالم .
ثم يهبط الليل ...

} فى المرة الثانية
عشرت قدمه }

... ستبكى ... ما أطيب قلبك يا حبيبى أوليس ، حينما ...
(تغنى)

} فى المرة الثالثة
انهار الجسر }

(تجلس . يسمع فى المساء شدى طيور وصراخ أطفال .
ثم صوت طفل : " غنى ثانية يا أمى فينو " (حينئذ ، وبون
تحرك ، تستأنف الأم فينو أغنيها)

يولاند : (تهمس لمكسيم ٣٧) - هى أجنُ مما تتصور . إنها
تسمُ أوليس . ألم يحدثك عنها أبدا ؟ تلك العجوز التى
كانت جارة لأبويه وماتت وهو فى الرابعة من عمره . لقد
نسى ملامح وجهها . لم يبق منها فى ذاكرته سوى ثوب
أسود وشعر أشيب قذر . كانت تظهر له فى بعض
الصور الثابتة فى طفولته . كيف ؟ أنت صديق عمره ،
ألم يرو لك أبدا قصة الأم فينو ، تلك التى قالت ذات يوم
لبعض جاراتها : " أوليس ، ذكى جدا ، فى الثالثة
والثلاثين من عمره سيصبح رئيسا للجمهورية ؟

ماكسيم ٣٧ : (ينفجر ضاحكا) رئيسا للجمهورية ؟

الأم فينو : (وهى تفيق من نومها) تضحكان ، أنتما الاثنان ؟
بئس الصحبة ! لا تقترب يا بنى . هذه المرة لن تأخذوه
منى ! أنا قادمة إليك ...

(تخرج)

ماكسيم ٢٧ : وفى سن الثالثة والثلاثين ، رئيسا للجمهورية ؟

(تسمع أغنية " جسر نانت ")

يولاند : نعم . والأسرة أيضا كانت تضحك . لكن الطفل أوليس كان يبدو رزينا أمام هذا الكلام الذى كان لا يدرك معناه ، والذى لن يلبث أن ينساه لكى يذكر فقط أن امرأة عجوزاً تنبأت له بغزو العالم . ثم ، وفى سن العاشرة ، بدأت هذه التفاهات الشائهة تتخذ طريق الأسطورة التى ستوحى له بحنين غامض لمصير عظيم . للأسف ، نحن لا نستطيع دائما أن نلزم الصمت أمام الأطفال ، ولكن فالكلام الذى ينبغى أن نقوله حتى لا نصبح مسئولين فيما بعد ، عن رؤسهم ؟

ماكسيم ٢٧ : هل هذه هى القصة البارعة التى تتعشمين أن تهدئى بها أوليس حينما يأتى بعد قليل ليسالك الحساب عن رؤسه وشقائه ؟

يولاند : مازلت لا تفكر إلا فى نفسك .

ماكسيم ٢٧ : أنا أفكر فىك أيضا - وفيه .

يولاند : الوقت تأخر الآن قليلا .

ماكسيم ٢٧ : يولاند ، هل تشعرين بوخز الضمير ؟

يولاند : وأنت ؟

ماكسيم ٢٧ : نحن أمام موقف جديد ...

يولاند : أهكذا تسمى انتحار أوليس ؟

ماكسيم ٣٧ : ... جديد ومفاجئ .

يولانـد : لا . ليس مفاجئاً . يبدو لى الآن أننى كنت أعرف
أوليس بما فيه الكفاية لى أتنبأ بقراره . أنا لا عذر لى .
لا أستحق الصفح .

ماكسيم ٣٧ : لا .

يولانـد : ... وأثير السخرية .

ماكسيم ٣٧ : السخرية ؟

يولانـد : حينما أتصور أننى كتبت إليك أنت رسالة أقول لك فيها
" حبيبى " !

ماكسيم ٣٧ : ألم تكونى تحبيننى ؟

يولانـد : ما أعمى النساء حينما يردن بأى ثمن أن يتخذن عاشقا .
ماكسيم ٣٧ : لكنك أحببتنى ، يا يولانـد . أمس فقط كنت عارية بين
ذراعى ...

يولانـد : أوه ! لو كنت تدري كيف أن مصيبة يمكن أن تغير
عواطفنا على حين فجأة .

ماكسيم ٣٧ : هناك كلمات نلفظها فى لحظات معينة وحركات
صادقة تعتبر أدلة على الحب ، ولا تستطيعين إنكارها .

يولانـد : أنا أنظر إليك جيدا وأكتشف أنك دميم وغبى - ولم أعد
أفهم نفسى .

ماكسيم ٣٧ : لن أسمح لك أن تقولى ...

يولانـد : ونفسك وضيعة ، مادمت خنت معى أخلص وأعز
أصدقائك .

ماكسيم ٢٧ : أنت التي تلوميننى على خيانة أوليس ؟ لست أنت التي تتحدثين الآن ؛ يا يولاند . كلا . أنت الآن لست إلا مجرد ذكرى بين ذكريات أوليس . وأوليس هو الذى يوحى إليك بهذا الذى تقولينه .

يولاند : ليس صحيحا . إنه يعرف أننى أفكر فيما أقول فعلا .
ماكسيم ٢٧ : دعك من هذا . إن أوليس يمكن أن يتنازل عن نصيبه فى الجنة لكى يسمع الكلمات الصريحة التى ستقولينها لى حينما نلتقى حقا .

يولاند : ولكننى لم أعد أريد أن أراك ثانية . لن نلتقى ما حييت . وأرجو ألا تحضر جنازة زوجى .

ماكسيم ٢٧ : هذا فعلا ما يسألك به أوليس نفسه . لكننى ، حفظا للأعراف ولسمعتى وسمعتك ، سأكون مضطرا للمشاركة فى الجنازة ، ثم ، أنا كنت فعلا أحب أوليس . وأخيرا فأنت نفسك ستشاركين فيها !

يولاند : لا ! أنا ، بعد كل هذه الانفعالات ، سأكون مريضة .
ماكسيم ٢٧ : يا يولاند ، منذ تزوجت أوليس قبل أربع سنوات ، كانت لدى الفرصة لكى أدرسك جيدا . وهذه الأسابيع الأخيرة التى أحببنا فيها بعضنا ، قد ختمت هذه الدراسة وأكملتها .

يولاند : وأسلوبك أسلوب بيروقراطى ! أه ! لو أن كلمة " أحبك " هذه ، ليست كلمة جاهزة ، ويضطر الرجال فى كل مرة أن يبتكروا كلمات الحب الذى يشعرون به ، لكان فى ذلك منجاة للكثير من النساء !

ماكسيم ٢٧ : أنت الآن فى حالة يأس وخيبة أمل . ولست أنا السبب فى ذلك .

يولاند : من إذن ؟

ماكسيم ٢٧ : أوليس ! أوليس الذى انتحر من أجلك ، والذى يقضى آخر ثانية فى حياته بين ذكرياته الغريبة عنك .

يولاند : هو مضطر لاستعراض مرحلة شبابه . ولكنه فى النهاية سيعود إلى لكى يموت ، للأسف ، فماذا أقول له ؟

ماكسيم ٢٧ : لو كنت أقهملك جيدا ، فإن يقينك من أن أوليس سينتحر هو الذى يمنعك أن تصبحى عشيقتى ؟

يولاند : نعم .

ماكسيم ٢٧ : إذن ، فأنت لم تكونى تحبيننى حقا .

يولاند : ليس إلى هذه الدرجة .

ماكسيم ٢٧ : إذن ، فقد انتحر أوليس بلا طائل حقا . ولكننى

لا أصدق ما تقولين . أنت أحببتنى . ومازلت تحبيننى

حتى هذه اللحظة ، وفى جسدك الحقيقى ، وأنت

تصرخين من الرعب بجوار أوليس الذى يموت .

يولاند : لا ، لا ، لا .

ماكسيم ٢٧ : غدا ستقولين لى كلاما آخر لن يسمعه ، ولن يستطيع أن

يسمعه أبدا . وهو، إن كان قد أحبك حقا ، لما أطلق

الرصاصات التى تصل إلى مخه فى هذه اللحظة .

يولاند : إن أوليس أيضا هو الذى يوحى إليك بالكلام الذى تقوله .

ماكسيم ٢٧ : هو يعرف أنني أفكر فعلا فيما أقول .

يولاند : وزوجتك ؟

ماكسيم ٢٧ : ماذا عن زوجتى ؟

يولاند : وأبناؤك ؟

ماكسيم ٢٧ : ألم تكونى على علم بأن لى زوجة وأولاداً حينما أصبحت عاشقة لى ؟

يولاند : كنت أعتقد أن ضعفى سيظل سرا . وهاهو كل شىء يتحول إلى حدث تاريخى . لابد من تبرير . والآخرى ، وحتى اليوم الذى سيجدون فيه أنفسهم فى وضع مماثل ، سيصرون على ألا يفهموا وسيلقوننا بالحجارة كأنهم ذاهبون فى رحلة صيد بريء .

ماكسيم ٢٧ : أنا سأدافع عنك .

يولاند : أنت مع ذلك كنت ستطاردنى - لأنك فعلا طاردتنى - لو كنت توقعت حدوث المأساة .

ماكسيم ٢٧ : هل تشكين فى ذلك يا حبيبتى ؟

(يصل ماكسيم فى سن العشرين)

ماكسيم ٢٠ : كذاب !

ماكسيم ٢٧ : (وقد شعر بالإهانة فى البداية) كذاب ؟ (ثم ، ملتفتا)

أوه ، هو مرة أخرى !

يولاند : من هذا ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا هو للأسف .

يولاند : كيف أنت هو ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا هو حينما كان فى العشرين من عمره .

ماكسيم ٣٧ : نعم ، حينما كنت فى العشرين ، كنت أشبه هذا المجنون .
يولاندا : أوه ! لقد عرفتكَ ! (إلى ماكسيم ٢٠) لقد
أرانى أوليس صورة فوتوغرافية لك فى سن العشرين .
لم أكن أعتقد أننى فى يوم من الأيام سأسمعك تتكلم
بصوت شبابك .

ماكسيم ٢٠ : أوليس يخلط بينى وبينه فى ذاكرته . فبالنسبة له ، نحن
الاثنان " صديقه " ، صديقه ماكسيم . أنا ماكسيم ، وهو
ماكسيم . نحن شخص واحد : انظرى ماذا صنع بى ،
بعد سبعة عشر عاما .

ماكسيم ٣٧ : أصبح لى كرش صغير ، طبعاً ...

ماكسيم ٢٠ : الكرش فقط ؟

ماكسيم ٣٧ : وبعض التجاعيد ؛ ووسام جوقة الشرف .

ماكسيم ٢٠ : أيها الخائن ، تخون مرتين . تخون صديقك ، وتخوننى
أنا . تستقل ما كنت عليه يوماً ما - ما أنا عليه الآن - لكى
ترقى إلى مؤثر ومحرك لم تعد تستحقه . لو كنت تنبأت
بالمأساة لأخلدت إلى الهدوء يا زير النساء ! أنت تريد أن
تعتذر عن خيانتك بحب قاهر بحيث يقاوم ويتغلب على
فكرة موت صديقك . لكن الحقيقة أنك ترتعد خوفاً لأنهم
أخبروك بموت أوليس منذ قليل . ورحت تردد فى ذعر
" يا إلهى ، لو كنت أعلم ! ولكنى أيضاً ، ما أغباه ! إن
المرء لا ينتحر من أجل امرأة مثلاً ! "

يولاندا : (هائجة) - ماذا يقول ؟

ماكسيم ٢٧ : لا شيء . اغفرى له شبابه . أنا أعرفه أكثر مما يعرفنى هو .

ماكسيم ٢٠ : ما هذا التهديد ؟ تعال مُعَى إذا كانت لديك الشجاعة .

وقل لأوليس إن حبك لزوجته كان من القوة بحيث لم يقاوم

فكرة موتك ، بل ولم يقاوم فكرة أن صديقك سيموت

بسبب هذا الحب . هيا . تعال واعتذر يا كاشف العورات

يا سارق زوجة صديقه لأن ذلك أيسر وأسهل .

ماكسيم ٢٧ : أسهل وأيسر ! أبدا . والدليل : انظر ما نحن فيه من

ورطة !

ماكسيم ٢٠ : أنت تذكر أُنننى و أوليس نشأنا معا وكبرنا معا وأننا

كنا نستحم معا فى النهر عريانين ، وأن كلينا يعرف

جيدا جسد صاحبه .

ماكسيم ٢٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : وأنه اعترف لى بأسرارهِ الغرامية الأولى ، وأننا

اعترفنا له بأسرارنا الغرامية .

ماكسيم ٢٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : هل انحدرت نفسك إلى هذه الدرجة بحيث إنك لا تدرك

أن هذه المكاشفة تزيد من عذاب أوليس ؟ فهو يعرف

جسد وعادات جسد الرجل الذى سلبه زوجته التى يحبها .

بل إننى أَسْأَل ، وأنا أرى جبتك اليوم ، إن لم تكن قد

أخذت زوجة صديقك ، لأنه لم يعد يصارحك بهذه

الأسرار ، وأنت كنت مازلت تريد أن تعرف ، كما يفعل

الآخرون حينما يتنصَّتون على باب حجرته ، أو يتطلعون

من ثقب الباب . (إلى يولاند) حينما ضمك بين ذراعيه -
وهما ذراعىً فيما مضى - ألم يطلب منك الإدلاء بأسرار
معينة عن حبك لأوليس ؟ (يولاند لا تجيب) أوه ! إننى
أشعر بالخجل !

ماكسيم ٢٧ : أنت تشعر بالخجل لأنك عرفتني جيداً ؟

ماكسيم ٢٠ : لا أفهم ما تلمح إليه .

ماكسيم ٢٧ : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أجهل ما صرت أنت إليه - لكن هل نسيت أنت
ما كنت أنا عليه ؟

ماكسيم ٢٧ : لا طبعاً .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أننى وأوليس كنا نحب بعضنا كما تحب
جذور الشجر التربة : كنا نعيش بأمال وطموحات
ممتزجة . كان كل منا يحب صاحبه أكثر مما كان
نرجس يحب نفسه .

ماكسيم ٢٧ : نعم ... كالحب فى سن الخامسة عشرة . سهل جداً فى
مثل هذه السن .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أننا أردنا أن نرحل معاً حاملين حقائقنا
على ظهرينا لنفر من الناس المضطربين فى دوامة الحياة ،
سعيدين لأن كلينا كان فخوراً بصاحبه ؟ ... ماذا تعمل
فى الحياة ؟

ماكسيم ٢٧ : أنا مهندس فى الطرق والكبارى .

ماكسيم ٢٠ : أيها البائس الشقى .

ماكسيم ٢٧ : أقوم بإنشاء طرق يحلم أن يرحل خلالها مجانين آخرون مثلنا . ثم أنت كنت تعرف جيدا أنك لن ترحل .

ماكسيم ٢٠ : أنا أمنعك أن تتحدث عني في سن العشرين . أنت لم تعد تدري شيئا عن روحى فى مرحلة الشباب . سيدتى ، أنا لا أدري شيئا . لا أعرفك . ولكن حينما يحب المرء أوليس كما أحببته أنا فى سن الخامسة عشرة ، لم يكن من حقكما أنتما الاثنان ... لم يكن من حقكما ...

(بيكى)

يولاند : (لماكسيم ٢٠) كان أوليس يقول لى دائما إنك كنت صديقاً لا مثيل له.

ماكسيم ٢٠ : وربما ، بسببى أنا ، أحببت أنت نفايتى هذه (يشير إلى ماكسيم ٣٧)

يولاند : من يدري ؟

ماكسيم ٢٠ : كنتما تتحدثان عني ؟

يولاند : نعم ، هو يذكر شبابه بكل خير .

ماكسيم ٢٠ : لم أكن أستحق أن أجد نفسى يوما فى هذا الهجران - ماذا صنعت بمستقبلى ؟ ماذا فعلت بشبابى ؟

ماكسيم ٣٧ : شبابك لم يكن بهذه الدرجة من الطهارة .

ماكسيم ٢٠ : ماذا صنعت بصديقى ؟ أنت لم تكونى موجودة بعد يا سيدتى ، ولكن ...

ماكسيم ٢٧ : ومع ذلك فأنت كنت تشعر بالغيرة منه فى بعض الأحيان ، ألا تذكر ذلك الحلم الذى ما نسيته أنا حتى الآن والذى رحت أنت فيه تسلب جميع باقات الورود التى كانت تتبعها بائعة الزهور التى كان يحبها أوليس ؟ وذلك اليوم الذى سرقت منه موضوع التعبير الفرنسى لكى يعاقبه المدرس وتكون أنت الأول ؟

ماكسيم ٢٠ : ألا تشعر بالخجل وأنت تحاول اليوم أن تعتذر عن جريمة بالتنقيب فى أشياء تافهة فى شبابى ؟

ماكسيم ٢٧ : أنا أضع الأشياء فى نصابها .

ماكسيم ٢٠ : ولكن ماذا صنعت أنت بطموحاتى التى كنت أحلم بها ؟ طيور حياتى كلها أخرست ولم أعد أسمع سوى صراخ حيوانات عجماء على الطرق التى تشييدها من أجل شيخوخة الناس . عد إلى ورشتك ، يا أيها الأمل المحطم ! إن شبابى بأسره يحتقرك ويطردك . اذهب ! اغرب عن وجهى ، أيها الشقى ! (ماكسيم ٢٧ يخرج)

وأنت يا سيدتى تخونين أوليس من أجل حقير كهذا ؟

يولاندا : أمامك ، وبالمقارنة بك ، يبدو إنسانا خاملا ، ولكن حينما لم تكن أنت هنا ، كان يشبهك كثيرا . ولقد أدركت الآن سر جاذبيته .

ماكسيم ٢٠ : هو متزوج على ما يبدو ؟

يولاندا : نعم .

ماكسيم ٢٠ : ومن تكون تلك المرأة التى زوجنى منها ؟

يولاند : أوه ! امرأة عادية ، عادية جدا . لا تستحقه ، أقصد لا تستحقك .

ماكسيم ٢٠ : ولدينا أطفال ، كما يقولون ؟

يولاند : نعم . ثلاثة أطفال ظرفاء . الأخير الذى فى السابعة من عمره يشبهك كثيرا .

ماكسيم ٢٠ : حينما أتصور أن أبنائى لن يعرفونى أبدا .

يولاند : أوه ! حقا ، أنت خير منه .

ماكسيم ٢٠ : وذلك الشارب المزرى الذى ألصقه بوجهى ...

يولاند : رأيت ، أنا أيضا كنت أريد أن يحلق شاربه ...

(فى ضوءاء شديدة ، تدخل كل من مادلين وبيت والام

فينو والجد)

مادلين : (مهددة ، مشيرة إلى يولاند) هاهى ذى ! هاهى ذى !

الجد : اسكتن جميعا ! أسف لأننى أحدثكن بهذه الطريقة

الفضة مع أنى سعيد جدا بصحبتكن ، كانت معرفتى

بالنساء قليلة خلال حياتى القصيرة ولم أكن أعرف أن

النساء على هذه الدرجة من السحر والجاذبية .

مادلين : (مشيرة إلى يولاند) حتى هذه ؟

الجد : إذا كنا سنعقد ذكريات أوليس بمشاكلنا الشخصية

وصراعاتنا ، فلن نصل إلى شىء . صدقونى : هو الآن

غائب ، علينا أن ننتهز فرصة غيابه هذه لكى نضع شيئا

من النظام فى هذه المغامرة . أريد أن أجد لى مكانا فيها .

أريد أن أفهم ما يدور .

يـيـت : وما فائدة ذلك ؟

مـاـدـلـيـن : ألن تعودى إلى بكائك ؟

يـيـت : ألم تروا أوليس حينما مرّ أمامى ولم ينظر إلى
ولم يعرفنى ؟

(يولاند تنطلق فى ضحكة رضا وغبطة)

الجـد : كنت أول من تساءل إذا كان حفيدى له قلب أم لا .

يـيـت : أوليس له قلب ، أعرف ذلك ، ولكننى لا أعرف أن له ذاكرة .

مـاـدـلـيـن : لديه ذلك ، مادمنا هنا . لكن ذاكرته خائنة .

يـيـت : وهذا أسوأ نوع من الخيانة . الوحيدة ، الحقيقية .

لقد أحببى ، وكل ما أرجوه منه أن يذكرنى . لم يعد

يحببى ، ولكن هل من حقه أن ينسى أنه أحببى فى يوم

من الأيام ؟

يـولـانـد : (فى تعال وتكبر) - أوليس اعتقد أنه يحبك .

معذرة يا سيداتى فقد أغبظكن بكلامى ، ولكن الأحداث

تقول ذلك . أوليس انتحر من أجلى . ولكى يطلق عيارا

ناريا على نفسه ، لا تعرفن ...

يـيـت : (مقاطعة) - أنا أعرف .

يـولـانـد : (فى قلق) - هل حدث من أوليس ، قبل أن ينتحر من

أجلى ، أن حاول الانتحار من أجلك ؟

مـاـدـلـيـن : لا . بل هى التى حاولت الانتحار من أجله .

الجـد : أوليس الذى طالما شكى من الآخرين ، مذنب .

مادلين : هو رجل ، هذا كل ما فى الأمر . لقد نسيها . وأنت (إلى بيت) بعد فشلك فى الانتحار ، ألم تتزوجى من تاجر فى الريف ؟

بيت : بلى ، تزوجت .

مادلين : أنجبت منه البنين والبناات . وحاليا ، وفى الوقت الذى يمر فيه أوليس ، ألا تعيشن حياة هادئة ، ربة أسرة فى إحدى المدن الصغيرة ؟

بيت : هادئة ؟ تقولين هادئة ؟

الجد : ألا تحبين زوجك ؟

بيت : نعم لا أحبه .

الجد : لماذا إذن تزوجت منه ؟

بيت : كان لابد أن أواصل الحياة .

مادلين : ليكن - ولكن بقى معك الأولاد .

بيت : أولادى غرباء عنى . مادام أوليس لن يعرفهم أبدا . ماداموا لن يعرفوا الرجل الذى أحبيته . إن حياء الأمهات يشوهن .

مادلين : حال يرثى لها .

بيت : فما بالكم إذا تضاعف خجلى . هل أستطيع أن أمحو ما حدث ؟ إذن أزيلوا هذه الندبة إن كنتم تستطيعون .

مادلين : أصبت نفسك فى هذا المكان ؟ شئ مؤسف .

بيت : ثم كان أن وضع ولداى ، كل فى دوره ؛ رأساهما فوق هذا الجرح - لأننى مع ذلك أردت أن أرضعهما . أردت

أن أحبهما ... ذات صباح ، ابني الصغير بولس قفز فوق فراشي وهو يلعب فدرس إصبعه فى هذه الندبة ... هنا ... وقال لى : " أوه ، ماما ... واوه ؟ هل تؤلك ؟ " ولم أعرف كيف أردُّ على سؤاله . لم أجد سوى هذه الإجابة ! نعم ، كثيرا يا بنى " لم أكن قد عرفت أن أوليس قد نسى حتى ذكرى حبنا " .

(يظهر أوليس أعلى ، يتبعه نيقولا ، الذكريات تحت ، تنفض)

أوليس : نيقولا !

نيقولا : سيدى ؟

أوليس : قل لى ، حينما يموت المرء ميتة عادية كما يموت الناس جميعا ، هل يضطر أيضا لاستعراض حياته ؟

نيقولا : لماذا هذا السؤال ؟

أوليس : لأننى لو كنت توقعت هذا العذاب لكنت لَقَّحت نفسى بحمى التيفود .

نيقولا : حتى النهاية ، ستحتفظ يا سيدى بطبعك العسير .

أوليس : عسير ؟ ولكن هل وجد على هذه الأرض إنسان أكثر منى رقة وحنانا ؟

لقد رأيت بنفسك كم كنت طفلا محبوباً . كم ستصبح حياة الناس أفضل إذا استطاعوا أن يحتفظوا بذكريات طفولتهم بشكل دقيق . لماذا ذكريات طفولتى على هذه الدرجة من السحر والجازبية ؟

نيقولا : ألم تكن طفولتك كذلك ؟

أوليس : كانت ، على ما يبدو لى ، تتسم بالتردد والتنوع .

نيقولا : كل شيء يتغير يا سيدى ، حينما يتجمد كل شيء ،

ويتوقف . الاحتمالات والتوقعات تثبت . فى الماضى ،

كنت لا تعرف . يوما بيوم ، أين يمكن أن تحط قدم

سعادتك وهوأتها . والآن تستطيع أن تزور ماضيك بكل

الثقة والتمكن الذى يتوافر لعالم جغرافى عليم .

أوليس : وما جدوى ذلك ؟ إحدى العبارات النادرة التى كنت

أسمعها منك فيما مضى ، تقول : " ما حدث لا يمكن أن

يحدث مرة أخرى " وكنت أعزى نفسى أحيانا فى شقائى

بهذه العبارة العميقة : ولكن هانحن نجد أن " ما حدث

يحدث مرة أخرى " .

نيقولا : ألا توجد فى ماضيك ذكريات جميلة تحب أن تراها مرة

أخرى ؟

أوليس : ما جدوى ذلك مادامت قد مضت وانقضت . لا سعادة

إلا السعادة الخالدة .

نيقولا : ولكنك يا سيدى لست سوى إنسان .

أوليس : وهذا هو السبب الذى يجعل هذه المغامرة بلا طعم

ولا رائحة بالنسبة لى .

نيقولا : ابحث جيدا . ألا يوجد شيء ، امرأة ، أو دقيقة

تحب أن تراها مرة أخرى .

أوليس : لا .

نيقولا : تعوزك الصراحة .

أوليس : أسمح لنفسك ...

نيقولا : منظر طبيعي لمحتة ... طعم فاكهة يوما ما ، ثم لم تذقه بعد ذلك أبدا ؟

ولا لقاءات ضائعة ، لقاءات بلا توابع ؟ المصادفة تضعك أمام زهرة تمد يدك لكى تقطفها فإذا بالريح تحمل الزهرة ولا تنسى لونها الفريد طيلة حياتك . لقاء فى شارع ... نظرة ... ونهاية - لكن الذكرى تظل ملتصقة بندم يعجز عنه التعبير .

أوليس : هل أستطيع أن أرى شخصاً لا أعرف حتى اسمه ؟
(أجراس آراس تدق)

نيقولا : نعم .

أوليس : هل تسمع هذه الأجراس ؟

صوت المجهولة : أوليس !

أوليس : وصوتها !

صوت المجهولة : أوليس !

أوليس : أخيرا ، سأعرف من هى ... ولكن فلتدخل ... فلتأت ...

(تدخل المجهولة)

أوليس : أخيرا ، ألقاك هنا :

المجهولة : أوليس !

أوليس : أخيرا ، ستشرحين لى كل شىء .

المجهولة : ماذا تريد أن أشرح لك ؟

أوليس : صحيح . أنت تجهلين ما حدث بعد ذلك .

المجهولة : ماذا حدث يا فارسي الجميل ؟

أوليس : هل تذكرين لقاءنا ؟ كنت غليظا معك . سامحيني .

المجهولة : لم تكن غليظا .

أوليس : أجل ! أجل ! اسمع يا نيقولا . حدث ذلك في

ضواحي أراس . كنت قد نجحت في إسقاط طائرة

للعدو . وكنت أشعر بكرب شديد . هل هذا هو كل المصير

الرائع الذي ينتظرني ؟ كنت خلف رشاشي وأمام هدفي

لا أفكر في شيء . ولكنني ما إن عدت إلى الأرض حتى

انتابني الخوف . كنت أشعر بالبرد . كنت وحدي ضائعا

في يأس غريب . عندئذ قابلتك .

المجهولة : لا ، أنا أغريتك وقمت باصطيادك .

أوليس : أنت أغريتني وقمت باصطيادي ؟ لا ، لا ، أنا أسف . هذا

فعلا ما ظننته في بادئ الأمر - ثم تبعتك .

المجهولة : كنت ترتعد .

أوليس : وصحبتك إلى أحد المنازل المهجورة . أنت أيضا كنت

ترتعدين . فخلعتُ معطفِي المبتل وطرحتك فوق الفراش .

المجهولة : فقاومت - فاندعشت أنت وتركتني .

أوليس : كان الجو باردا والليل مظلما . ومن بعيد كنا نسمع

قصف المدافع . وكانت بعض الأنوار تلمع في السماء

وتحط على وجهك - ثم انفجرت في البكاء .

المجهولة : لا ! لا ! اسكت !

أوليس : وفى تلك الساعة كان الشفاء وحده يمكن أن يحركنى .

المجهولة : لماذا لم تضربنى ؟ كان يجب أن تضربنى .

أوليس : نعم شعرت بالرغبة فى ضريك ، بل وربما فى قتلك .

المجهولة : (مرعوبة) آه !

أوليس : كنت أستطيع أن أفعل ذلك . كنا وحدنا فى تلك المدينة

وسط الحرب . وكان الموت سهلا ميسورا ، انتابتنى رغبة

مجنونة فى أن أنتقم من حياتى كجندى ، وذلك بقتل

امرأة ، بخنق امرأة تبكى . وسألتك بكل بساطة إذا

كنت تحاولين اصطيد الضباط رغبة فى إظهار دموعك

لهم وحسب .

المجهولة : (كما فعلت فى الماضى) أنا وصلت هنا ، منذ ثلاثة

أيام ، أبحث عن أختى التى كانت تعيش هنا ، وقد تم

إخلاء المدينة . وقد ناديتك لأننى كنت أشعر بالجوع

والخوف .

أوليس : يا حبيبتى المسكينة !

المجهولة : كنت فى غاية الطيبة معى .

أوليس : لا .

المجهولة : لقد غطيتنى بمعطفك... ثم أردت أن تنصرف لتبحث عن

طعام ، فأردت أن أشكرك فقدمت لك شفتى وقبلتنى ،

وأنت تميل على الفراش .

أوليس : وكانت رائحة الخمر تفوح من فمك . كنت مخمورة .

المجهولة : نعم . فرحت تشمنى وتعنفنى . بل لقد لکمتنى بقبضة يدك .

أوليس : (وهو يضرب قبضة يده) أسف . أسف .

المجهولة : ثم رحلت وتركتنى .

أوليس : أتدريين ماذا حدث بعد ذلك ؟

المجهولة : لا .

أوليس : همت على وجهى فى المدينة بحثا عن محل بقالة .

واشتريت بعض البسكويت ، والشيكولاته ، ونبیذا ،

- ونبیذا ثم عدت إليك ، - عازما على اغتصابك ، لكى

أتأكد أنك فتاة بكر ، لكى أتأكد أنك لم تكذبى علىّ .

وعثرت على المنزل ، وكنت أنت ما تزالين هناك ، فائمة

كانت الدموع تسيل على خدك . وشعرت أمامك بالهدوء

والحنان . وتركت لك الطعام الذى اشتريته والزجاجة .

ثم كتبت لك كلمة أرجوك فيها أن تنتظرينى حتى الظهر .

وخرجت . وعلمت أن بعض الجنود مروا فى الصباح .

ثم قصفت المدينة بالقنابل فى الحادية عشرة . وتمكنت

من العودة فى حوالى الواحدة كالمجنون . وكان المنزل

الذى كنت تنامين فيه ما يزال قائما . فاطمأن قلبى

وصعدت السلم فوجدت الطعام قد اختفى ، وكذلك الكلمة

التي كتبتها لك ، وبحثت عنك فى جميع الحجرات فلم أجد

أحدا . وانتظرت فى المساء . ولكنك لم تعودى . ثم بحثت

عنك ثلاثة أيام فى جميع الشوارع . وبعد شهرين ، عدت

إلى المدينة فوجدتها مدمرة تماما . اللهم إلا ثلاثة منازل .

وكان منزلنا سليما لم يمس . فصعدت السلم وأنا أرتعد .

وكان الفراش ما يزال فى مكانه والأغطية منكوشة كما
تركبتها أنت . فانتظرت مرة أخرى كالمجنون ، يومين
كاملين ، داخل المنزل . على أمل أن أراك تعودين ، على
أمل أن تظهرى .

المجهولة : حبيبى !

أوليس : وخضت الحرب لا أفكر إلا فيك . من يدري لعلى طول
حياتى لم أحب سواك ؟

المجهولة : أوليس !

أوليس : أنت يا من كنت أبحت عنك دائما ، وأخيرا ، أعثر عليك ،
أيتها المجهولة العزيزة .

(يتعانقان)

أوليس : (وهو يخلص نفسه بعنف) أه ! ما تزال رائحة الخمر
تفوح منك .

المجهولة : أقسم لك أننى أقول لك الصدق . أنا فتاة عذراء تبحت
عن أختها ، ولست كما تعتقد .

أوليس : هذه المرة ، سأتمسك بك ولن أتركك أبدا .

المجهولة : أنا أغريتك ، ولكن لأننى كنت جائعة وخائفة . أرجوك أن
تصدقنى .

أوليس : اسكتى ! أولا ، لماذا لم تنتظرينى ؟

المجهولة : لست أدرى .

أوليس : أين كنت حينما كنت أبحت عنك فى كل مكان ؟

المجهولة : لست أدرى .

أوليس : الجنود الذين مروا فى الصباح هل اعتدوا عليك ؟

المجهولة : أى جنود ؟

أوليس : لا تتغابى . وأجيبينى ؛ لقد نسيت أن أسألك عن اسمك .
ما اسمك ؟

المجهولة : أنت تعرف جيدا أننا لا نعرفه .

أوليس : ولكنك أنت تعرفينه .

المجهولة : أنا الفتاة المجهولة فى ضواحي آراس .

أوليس : أنا أريد اسمك .

المجهولة : لا أعرف .

أوليس : نيقولا ! أأست أحلم ؟ هل كلامى يخرج فعلا من فمى
كالأشياء الصغيرة؟

نيقولا : أنا لا أعرف هذه الإنسانه . فقد عملت فى خدمتك
ميكانيكيا بعد ذلك بسبعة أشهر .

أوليس : أجيبينى : هل كنت فتاة أم عاهرة تمثلين على ؟

المجهولة : علمى علمك . أنت تعرف ذلك مثلى .

أوليس : واليوم ، لماذا تفوح منك رائحة الخمر ؟

المجهولة : كيف تريدنى أن أتغير ؟

أوليس : من كنت ؟ وماذا أصبحت ؟ ومن أين تأتين ؟ وإلى أين
تذهبين الآن ؟

المجهولة : كل ما أعرفه أننى أقف أمامك .

أوليس : لقد أحببتك كثيرا فلا تسخرى منى .

المجهولة : دعنى !

أوليس : أجيبى !
المجهولة : دعنى أنام .
أوليس : (يلكمها بقبضة يده) قذرة !
المجهولة : آه !
أوليس : (مشدوها) وألكمها بقبضة يدي ! كما حدث فى الماضى ...
وهى ترحل .
نيقولا : نعم . لقد انتهى الأمر بالنسبة لها .
أوليس : ولكننى أحلم ...
نيقولا : كلا . أنت تستعرض حياتك من جديد ، وأنا
لا أستطيع أن أقدم لك إلا ما عشته فعلا .
أوليس : ولا أستطيع حتى أن أناديها ... إذن لن أعرف اسمها
ما حييت ؟
نيقولا : لم تعد تشك الآن أنك بين ذكرياتك ؟
أوليس : اتركونى وحدى .
المتسول : (داخلا) آه ! الوحدة رهيبة أيضا .
أوليس : من هذا الرجل ؟
المتسول : أنت على حق يا سيدى . الحياة صعبة : حسنة من فضلك !
أوليس : أنا لا أذكره . ماذا يعمل هنا ؟
نيقولا : أنت كنت تشعر بخوف شديد من أن تصبح فقيرا !
أوليس : (فى تشكك) - أنا !
نيقولا : كما أن الفقر كان يجتنبك ويستهويك : فى بعض الأحيان
كنت تود أن تزهد فى كل شئ . الصحراء ، الدير ،

الطريق ... كل ذلك تتصوره وأنت جالس فوق الكرسي
الفوتوى .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : أشياء متناقضة . إن حياتك ، كحياة جميع
الأشخاص العاديين ، حافلة بالمتناقضات . تارة نعم ،
وتارة لا . أه ! سيدى إننى أرثى لمن سيتولى كتابة تاريخ
حياتك . فإذا حاول أن يضع نظاما فى إبداعه فإنه
سيبتعد عن الحقيقة . وإذا هو تتبعك خطوة بخطوة ، فى
ذكرياتك ، كان التَّيه الذى يضل فيه .

المتسول : حسنة ، من فضلك !

أوليس : (مغیظا) لماذا لا تنفك تقول : " حسنة ! ... حسنة ... "

المتسول : لأن هذه هى العادة . نقول " حسنة ! " فاهم ! الحسنة
هى نقود ...

أوليس : والنقود ؟

المتسول : نبيذ .

أوليس : والنبيذ ؟

المتسول : سعادة .

أوليس : والسعادة ؟

المتسول : أنت تعرف معنى هذه : المرء يكون سعيدا ، ثم يمضى كل
شئ وينقضى !

أوليس : وإذن ؟

المتسول : إذن ، أبدأ من جديد فأقول : " حسنة ، من فضلك ! "

أوليس : هنا المتسول لا يطاق . قذر ، كريه الرائحة . لا يدرك شيئاً ممأً أعانى .

المتسول : لو كنت تشعر بالجوع ... لو كنت تحتاج إلى خبز ...

أوليس : لا تقترح على هذا الوضع بهذه الحماسة .

المتسول : عفوا ؟

أوليس : إن الحاجة إلى الخبز، فى حد ذاته ، هى أيضا وضع

الراهب فى الصحراء ، كما أنها وضع العامل العاقل .

أنا أريد لمصيرى إرشادات أكثر دقة .

المتسول : أنا جائع .

أوليس : أقضى عمرى فى تقديم الخبز للجوعى ؟ ما رأيك فى ذلك ؟

نيقولا : لو رحلت تتناقش مع الجوعى الذين يفكرون ، فهى

نفسك لكل أنواع المغامرات .

المتسول : واللائشون والنبىذ والأحذية ...

أوليس : أعمال خيرية فى حى للفقراء ؟ أليس كذلك ؟

المتسول : لو كنت مكانى ...

أوليس : ولم لا ؟

نيقولا : كم من الوقت ؟

أوليس : الوقت الكافى للانتهاء من الدروس الأخلاقية المرتبطة

بهذا الموقف .

نيقولا : وبعد ذلك ، هل تسترد نقودك ؟

أوليس : أنا أكسبها بلا مزاح ولا فخر . لقد هبطت من سماء

من نار . أه ! لو كنت تدرك حياتى ؛ آخر أسبوع فى

الحرب : كنت أَلعب لعبة الاستخفاء مع الموت ، ولا أريد أن أموت . بل كان ذلك لكى أَعيش حياة أفضل . أنا لا أفسر ولا أشرح فأنا لست عالما نفسانيا ، أنا أروى فقط . وهذا ما ادخرته لى مدن السلام : زيادة جميع جراجات باريس والضواحي لبيع كربيرتير طراز جديد .
نيقولا : كنت دائما تطلب من الله تعالى معجزة يومية وشخصية صغيرة .

(إلى المتسول) يحتاج إلى عنايات إلهية خاصة .

المتسول : أنا ، جوعان .

أوليس : هو على حق . الناس مثلنا لا يشعرون بوخز الضمير الكافى حينما يأكلون فى ساعة محددة .

نيقولا : على أية حال ، هذا اللقاء فى غير محله . أنت تجعله بعد الحرب . لكنه حدث وأنت فى الخامسة عشرة تقريبا .

أوليس : كلا ! إنه لقاء يقع لى كل يوم فى حياتى .

نيقولا : إذن ، لماذا لم تكن محسنا ؟

أوليس : لأننى اتبعت عرف العصر الذى عشت فيه .

المتسول : سيدى الطيب ...

أوليس : ومع ذلك فهو لا يهم . ولكن الآخرين ... الذين

لا نكتشفهم إلا إذا انتقلنا إليهم ، الذين يعيشون فى

بيوت تسقط فيها الأمطار ، فى حجرات فيها دلاء الماء

فوق الكراسى والأطفال يفترشون الأرض... خليط من

القذارة والبؤس ...

نـيـقـولـا : أنت ذاهب إذن إلى هؤلاء الناس الفقراء ؟

أوليس : نعم ، ثلاث مرات أو أربع .

نـيـقـولـا : ولماذا ثلاث مرات أو أربع فقط ؟

أوليس : لأن مستقبلي يدفعني ويشدني .

المتسول : حسنة ، لو تكرمت ...

أوليس : خذ ، هذه عشرون قرشا ، أنت مزعج .

المتسول : شكرا يا سيدي الكريم .

نـيـقـولـا : سيذهب من فوره إلى الخمارة .

أوليس : طبعاً . بعشرين قرشا لا يستطيع أن يذهب إلى ملهى ليلي .

(الديكور يظلم . الأشخاص يتفرقون في أماكن مختلفة من المنصة ، على مستويات مختلفة من الارتفاع - عليهم ضوء خفيف)

نـيـقـولـا : سيدي يجهل إلام ستقوده هذه الألفاظ : " ملهى ليلي "

ما أغرب ذاكرة الإنسان . إن أكبر الذكريات تدخل

دائماً من أضيق الأبواب . لقد قلت لك : مادلين تقترب

(ما يزال يتوجه بالحديث للجمهور) وهى لم تعد مادلين

التي عرفتها . أبدا . ستعود الآن وقد تغيرت تماماً .

ليست كما كانت ، ولا كما أصبحت - ، وإنما ك ... هس !

هاهى الأزهار قد سبقتها !

مـاـدـلـيـن : (إلى أوليس) شكرا ، يا حبيبي ، على زهورك الجميلة هذه .

أوليس : أه ! هأنت مرة أخرى ! وأنا فى العشرين من عمري .
مادلين : وشكرا لأنك تذكرت أنى أحب السوسن الأبيض .
أوليس : أوه ! لن تستطيعى أن تعرفى إلى أى حد كنت قد نسيت ذلك !

مادلين : أشك فى ذلك . ولكن أشكرك لأنك تذكرته أول مرة :
لقد التقينا فى بار " الكاتب " هل تذكر ؟ وبلا سبب قلت لك ، قلت لك : أنا أحب السوسن الأبيض - وفى اليوم التالى تلقيت منك هذه الباقة الرائعة . حبيبى !
أوليس : حسنا ! اذهبى ونسقيها فى وعاء زهر فى بيتك، ولنكف عن الكلام عنها .

مادلين : فى وعاء الزهر اللبنى الذى كنت تحبه كثيرا
أوليس : تصورى لقد نسيت هذا أيضا . ثم إن هذا كله لم يعد ذا أهمية . ولم يكن له أية أهمية . فقبلى رجال آخرون قدموا لك زهوراً ذبلت فى هذا الوعاء . ثم جاءت زهور غيرها .

مادلين : ولكنك لست الرجل الوحيد فى الخليقة . يجب أن تعترف بهذا يا عزيزى وتسلم به .

أوليس : لا تتصورين إلى أى حد أنا مسلمٌ بهذا .
مادلين : أنت مخطئ . فأمام زهور بهذا الجمال ، أشعر بسعادة بالغة .

(تذهب إلى الناحية الأخرى لتنسق الزهور فى وعاء زهر لبنى)

الجد : (يقترب من أوليس) هل أسعدك الحظ وأحببتك هذه المرأة الجميلة أيضا ؟

أوليس : (متشككا) أحببتني ؟

الجد : نعم . هل أحببتها أنت ؟

أوليس : أبدا . (يتوقف ويسأل نيقولا :) ما رأيك ، يا نيقولا ؟
(حركة ساخرة من نيقولا . أوليس يستطرد :) شويه ، ربما ، على الماشى .

الجد : ولكن على الماشى هذا دام طويلا ؟

أوليس : لم أعد أدرى ... عدة شهور ... أعرف أن اسمها مادلين . اسم ضمن أسماء أخرى فى حياتى .

(مادلين تعود حاملة حقيبة سفر)

أوليس : ماذا تحملين ؟

مادلين : خطاباتك التى لم أجد فرصة لإعادتها إليك .

أوليس : (ساخرا) - وهل تحتاجين لحملها إلى حقيبة سفر ؟

مادلين : غريبة ! إن فيها أكثر من خمسمائة رسالة .

أوليس : هل أنت مجنونة ؟

مادلين : انظر . أنت كنت تكتب لى كل يوم تقريبا - وقد دام حبنا أكثر من عامين .

أوليس : عامين ؟

مادلين : عامين وشهرين .

أوليس : مستحيل

مادلين : (بهتان) ألا تذكر الصيفين اللذين أمضيتهما معا ؟

أوليس : أذكر .

مادلين : والشتاءات الثلاثة فى باريس ؟

أوليس : (سعيدا بتذكره) الأول ، نعم ...

مادلين : ثم كان الثانى ، - ثم الأخير الذى انتهى نهاية سيئة ،
الثالث .

أوليس : نعم ، أذكر . حيث لم نعد نشعر بالحب .

مادلين : هل أسفت على فقدانى ؟

أوليس : (لطيفا بقدر الإمكان) - كلا !

مادلين : أحيانا ، فى المساء ، اسمى لم يكن يخطر ببالك ؟

تتساءل : " ترى ، كيف أصبحت مادلين ؟ "

أوليس : كنت أتصور نهاية مصيرك ، كل شىء صار مبتذلا ،
شكلك كان يزداد سوقية ...

مادلين : حسنا . أشكرك .

أوليس : حقا ، ماذا أصبحت ؟

مادلين : كما ترانى ، أمامك ، بهذه الزهور التى هى زهورك ،
والثوب الذى كنت تحدثنى عنه دائما فى الماضى . هل
تتذكر هذا الثوب ؟

أوليس : نعم . التقينا لأول مرة عند أصدقائك ، يوم أحد ظهراً فى
الريف ، والشمس على أشدها ... كنت تشعرين بالحر ،
وكانت ذرات من العرق فوق شفتيك ... شفتيك الحمراء ...
كم كنت جميلة ... كنت أقول لنفسى : لن أستطيع
ما حييت أن أقول لمادلين إنى أحبك .

مادلين : كنا قد تعارفنا منذ قليل .

أوليس : وثوبك الذى طالما تمنيت أن أتحمسَّسه . دعيني أتحمس هذا الثوب الذى أراه لأول مرة بعد ذلك اليوم الذى أحبيتك فيه .

مادلين : أنت تذكر أن المودة كانت قد تغيرت ، حينما التقينا للمرة الثانية بعد عام .

أوليس : أوه ! فى ذلك المقهى الكئيب كما هى جميع مقاهى باريس بلا شمس .

مادلين : (كما فى الماضى) - " صباح الخير يا سيدى ، ألا تعرفنى ؟ " **أوليس :** أوه ! بلى ! أعرفك - كنت قد انتقلت إلى سكن آخر مما جعلك تتكلمين عن الشقة وهكذا عرفت عنوانك . وفى اليوم التالى ، أرسلت إليك أزهار السوسن . هل توجد هنا جميع خطاباتنا .

مادلين : نعم .

أوليس : هل توجد بينها أول رسالة لك ؟

مادلين : طبعا .

أوليس : (يبحث ويقرأ مطلع الرسائل التى تقع فى يده مصافحة) - " معبودتى الحبيبة ... " كلا ، ليست هذه " صغيرتى مادلين ... " كلا ، ليست هذه أريد رسالتك الأولى ... " هذه الرقة والعذوبة ... " كلا ، رسالتك الأولى (ثم يقول من الذاكرة مطلع الرسالة :) سيدى ، أكتب إليك وأزهارك البيضاء بين ذراعى - وأريجها ... "

(مادلين تذهب وتحضر أزهار السوسن - وتمثل أمامه والأزهار بين ذراعيها)

مادلين : هاهى ذى ، مع ثوبى الأول وجميع خطاباتى .

أوليس : عزيزتى مادلين .

مادلين : وتناولنا العشاء معا فى المساء نفسه . هل تذكر ؟

أوليس : وصبى المطعم الأبله !

(يدخل صبى المطعم فجأة وهو أحول وبتته فى الحديث)

الصبى : لا ، لا أريد أن يسخر أحد منى .

أوليس : صبى المقهى العزيز !

الصبى : هل ستبدأ من جديد ؟

مادلين : (لأوليس) هل رأيت عينه ؟ ينظر كما يتكلم .

الصبى : هل أنا أعاتبكما لأنكما تتعانقان فى كل مرة أصل فيها

بالأطباق ؟

نيقولا : (من الباب) أهذا هو الذى ستطلقه ؟ لأن هناك

أكثر من سبعة آلاف ينتظرون .

الصبى : أعرفهم تمام المعرفة .

نيقولا : شئ لا يصدق ، عدد رهيب ، عدد صبية المقاهى

الذين يمكن أن يراهم الإنسان طوال حياته . إنهم

موجودون كأنهم أشباح قذرة ، لا ملامح لهم .

أوليس : (للصبى) لا تغضب . اجلس هنا .

الصبى : وأنتما تشكوان لأن الكشك المظ كان من النوع المحفوظ

فى الملبات . كان فى الشتاء ...

أوليس : أنت جزء من المشهد . وجهك ، وجه البهلوان يرتبط بمغامرة حب عجيبة (إلى مادلين) لأننا سنحب بعضنا ؟
مادلين : يالك من طفل !

أوليس : كنت أحبك منذ عام ، لكننى لم أكن أمل أن أستطيع يوما ما أن أصارك بحبى . ليكن . ليحدث ما يحدث . ستضحكين منى إذا أردت . كل ما أرجوه منك ألا تغضبى : لا أستطيع أن أقاوم الفرحة التى أشعر بها وأنا أقول لك ، لك أنت : " مادلين ، أنا أحبك "
(يتعانقان)

الصبي : بمجرد انتهائهما من تناول المشهيات ، لا يتوقفان .
مادلين : تعال .

أوليس : (حائرا) إلى أين نذهب ؟
مادلين : ألا تذكر ؟ لقد ذهبنا إلى بيتى لنرى كم ستكون أزهار السوسن البيضاء جميلة فى وعاء الزهر اللبنى .
(أوليس يرى ذكرياته من حوله)

أوليس : لا تدخلوا هكذا بسرعة أنتم الآخرون . ابقى يا مادلين حتى النهاية ، لا تتركنى بعد الآن . أما أنتم ، فانصرفوا . فأنا لا أعرفكم . لا أعرف من تكونون . كل ما أعرفه أننى تعذبت كثيرا حتى الموت ثم عثرت فى آخر ساعة على لحظة من الراحة . مادلين ، ينبغى أن أنام نوما لا أحد يعرف أحلامه . وحتى أروح فى هذا النعاس ، ابقى بجوارى وحدثينى فى الحب .

مادلين : كنت رائعا . ظللنا متعانقين طول الليل من غير نوم .
ولما بدأت الشمس تشرق ، بدأنا ننام . ثم عندما أفقنا
وجدناها فى كبد السماء ، شاحبة صافية ، شمس شتاء
جميلة . وكنا نشعر بالجوع .

أوليس : ونحن اللذان كنا عشيتها لا نعرف بعضنا جيدا ،
رحنا نرتدى ملابسنا ونحن نضحك .

مادلين : سنتان من السعادة .

أوليس : كل هذه الفترة ، تعتقد ؟

مادلين : سنتان ، مر الزمن سريعا ، يوما بعد يوم .

أوليس : وهذه الأيام ، حينما تتوالى فى الذاكرة ، كم تتقلص
وتصغر وتكاد تتكدس داخل أحد الأذراج . وأنت متى
تذكرتنى ؟

مادلين : فى إسبانيا ، فى مالاجا ، وفى الفندق ذى الأزهار التى
كانت تنزل فى المياه الزرقاء ، والليالى التى كانت
تضيؤها النجوم الزاهرة ، وأنت معى تردد على مسامعى :
" أحبك يا مادلين ، أحبك . "

أوليس : نعم ... ومن حولنا ذلك الطنين من اللغات الأجنبية
وصهيل الجياد المجروحة ، والدماء الحمراء ، والرجال
الذين يقتلون الحيوانات وهم يرقصون - أو يعرضون
أنفسهم للقتل وهم يصيحون قائلين : " برافو ، أيها
الثوار . " أحبك يا مادلين ، أشعر أننى ولدت لأكون
سعيدا .

الجـد : (متدخلا) هذه التى تزعم أنها امرأة بلا أهمية ؟ اسم
ذهب طى النسيان ، خمسمائة رسالة غرامية ! رحلات
وقبل تحت النجوم الساطعة - سعادة أنا لم أصادفها فى
حياتى .

أوليس : أنت تباغتنا هكذا كوخز الضمير ... ولكننى يا جدى
لم أكن تعيسا فى جميع ساعات حياتى ودقائقها ،
ولم أنتحر سوى مرة واحدة .

الجـد : عظيم . فلنواصل !
أوليس : لا . لن أواصل . الآن وقد تقدمت فى السن وتعذبت
وأعثر على سعادة كنت قد نسيتهـا ... لقد نسيـت ...
مادلين أننا كنا سعيدين .

مادلين : حبيبى أوليس .
أوليس : ولكن ، من الذى فرق بيننا ؟
مادلين : لست أدرى .
أوليس : أنت لم تكونى مخلصـة فى حبك .
مادلين : فى البداية ، كنت مخلصـة .
أوليس : فى البداية ؟ وتخرجين دائما وحدك ، الآن ، وتعودين
فى قمة السعادة أو فى قمة الحزن ، ودائما متعبة .

مادلين : وأنت ؟
أوليس : وأنا أيضا .
مادلين : ومع ذلك فنحن سعيدان .
أوليس : هل تعتقدين ذلك ؟

مادلين : نحن صديقان صدوقان .

أوليس : صدوقان ؟ لا يا مادلين . كل منا يكذب على صاحبه وأنت تكذبين على .

مادلين : أقسم لك ، يا صديقي ...

أوليس : أقسمى لى فقط بأن تذهبى لتحضرى حقيبتك التى تركتها فى المدخل ، أن تحضرىها لى دون أن تفتحيها ، وأن تتركينى أفتحها بنفسى .

مادلين : حالا .

(تخرج)

الجد : ماذا جرى ؟

أوليس : هذه عاهرة !

الجد : ماذا ؟

أوليس : كيف كانوا يطلقون على أمثالها فى الماضى ؟ قطعة ... إنها تعيش على حساب رجل غنى يغير من اسمه دائما

الجد : ألم تكن تعرف ذلك يا عزيزى ؟

أوليس : كانت تقول لى : " لا ، هذا غير صحيح . " وكنت أصدقها لأننى كنت أحبها كثيرا .

الجد : ومنذ قليل ، وعلى حين فجأة ، عرفت جزئية جديدة ؟

أوليس : لا . ولكن القرف جاء مع الملل . إنها من جنسك يا جدى . تحتاج إلى نقود .

الجد : فى بعض الأحيان ، ...

أوليس : حسنا ! أنا لن أبيع نفسى ، حتى ولو للسعادة . لن أخضع أبدا .

(صفق باب)

نيقولا : سيدى ، الآتية رحلت قبل قليل .

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : ترددت وهى تأخذ حقيبتها ، ثم قررت دفعة واحدة .

أوليس : لكنها ستعود ؟

نيقولا : حاليا ، هى مقتنعة بأنها لن تعود أبدا .

نيقولا : أَرْضِيَتْ . إذن ؟

أوليس : الحياة ليست ببساطة رهان يا جدى ؛ إننا لا نحصر

مصيراً بين لفظتى نعم ولا . وبخاصة مع امرأة مثل

مادلين . نيقولا ، أين هى ؟

نيقولا : لا أعرف يا سيدى .

أوليس : اذهب وابحث عنها .

الجد : وهل سترضى أن تعيش مع امرأة حاجتها للمال

تفرض عليها نوعاً معيناً من الحياة ، كنت تقول عنه ...

أوليس : حتى بعض الرجال المتعاضمين يمكن فى بعض

الأحيان أن ينزلقوا إلى غراميات مؤثرة . حينما صادفتها ،

كنت عائداً من الحرب . كنت بطلا ، بطلا ضائعاً ...

(يدخل ماكسيم ٢٠) أوه ! أنت يا صديقى ستفهمنى .

ماكسيم ٢٠ : للأسف ، حينما علمت بخبر هذه الخيانة التى

لا تغتفر ، والتى أنا منها برىء ...

أوليس : لقد طردتها . أردت أن أقوم بدور الرجل القوى ، وأنا

وحيد وضعيف . إن جسدها غص . أخبرها أننى

صفحت . بل إننى امتثلت .

ماكسيم ٢٠ : ما أروعك يا أوليس إذ تستطيع أن تصفح ! وما أعذب كلامك هذا الذى ينزل برداً وسلاماً على قلبى .

أوليس : ألا تسيء الظن بى ؟ أأست فى نظرك جباناً ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أريد سعادتك ، إذا كانت ما تزال هناك فرصة لكى تكون سعيداً .

أوليس : حينما علمت أنها تخوننى ...

ماكسيم ٢٠ : باسم صداقتنا ، اسكت . لشد ما أشعر بالخجل .

أوليس : ماذا تريد ... أنا فى حاجة إلى أن أكون قريباً منها .

اعمل كل جهدك لكى تجعلها تعود . أريد أن أعيش ؛

وأنا لا أقوى على العيش دونها .

ماكسيم ٢٠ : لكى تعيش يا أوليس ، أنا أعطى ...

أوليس : ولكن لعلها لا تريد أن تعود ؟ أين هى ؟

ماكسيم ٢٠ : سأذهب إليها ، وأتوسل إليها ، بل وأحضرها بالقوة إذا لزم الأمر !

أوليس : هل تعرف أين تختبئ ؟

ماكسيم ٢٠ : نعم .

أوليس : إذن ، ابذل كل جهدك ...

ماكسيم ٢٠ : مادمت قادراً على الصفح يا أوليس ، فاعمل كل شئى

لم يضع . ولعلك تستطيع أن تواصل الحياة .

(يخرج)

نيقولا : (للجد) - ينتظرها . ولكن مادلين لن تعود أبداً .

الجد : وهو يعتقد أنه لم يحبها ...

نيقولا : هس ! إنه فى ذكرياته ... نعم ، الرجال على هذه الحال من التناقض والتذبذب ... قبل عشر سنوات ، كان يعتب عليها أنها هجرته ... والآن ، أنت سمعت المشهد : هو الذى كان قد طردها ...

(ماكسيم ٢٠ يصل بسرعة)

ماكسيم ٢٠ : عزيزى أوليس ! هاهى ذى ! هى أيضا تصفح عنك .
أوليس : صديقى

(تدخل يولاند)

يولاند : أخيرا ، تنصفنى يا حبيبى ...
(صمت)

أوليس : (شاردا) - من تكون هذه المرأة ؟

يولاند : (فى اندهاش وعنف) - أوليس !

أوليس : أعرف ، يا إلهى ، أن اسمى أوليس ! نيقولا ! جدى ! كل شىء يختلط ، يتعقد ، ذكرياتى تتحول إلى كابوس . لا تفرح يا جدى . لا تقل إن حالى لم يرثى لها . لا تقل إن الحياة كانت كريمة معى . لا تقل إن " الحظ " وافانى وأحببت . اليوم ، فهمت كل شىء . ليس المهم أن يحب المرء . وإنما أن يكون محبوبا . إن العمر يتقدم بى وأنا فى حاجة لمن يحببنى . اطرده هذه المرأة .

يولاند : أوه ! لكننى سأعود إليك !

(تخرج)

الجد : أنا أحبك يا بنى .

أوليس : أعرف ذلك . ولكنك لست سوى صورة . وأنا أفكر
فيك دائما وأعرف أنك كنت ستحبني . ولكنك لست قريبا
منى على الأرض . وأنا لن أستطيع أن ألقاك إلا فيما بعد
فى اللقاء الذى يضربه الموت للأحياء . لذلك أخذت
موعدا ، لأن أحدا لم يحبني فوق هذا الأرض ، ولا حتى
زوجتى .

(بيت تقترب)

بيت : ليس ظريفا أن تتحدث هكذا يا أوليس .
أوليس : (وقد فوجئ) من تكونين أنت ؟
بيت : إذا كنت تسألنى من أكون ، فأنا لست شيئا .
أوليس : لماذا تمسكين بهذا الشريط الأزرق فى يدك .
بيت : رجل اشتراه لى ذات صباح وأنا أعتقد فى السعادة
أوليس : مسكينة !
بيت : نعم .
أوليس : وسعادتك لم تدم طويلا ؟
بيت : كلا !
أوليس : أين قابلتك ؟ اعذرى لى نسيانى ، لكننى لا أعثر على
نفسى فى أى مكان . أين عرفتك ؟
بيت : أنت لم تعرفنى .
أوليس : إذن ، ماذا تصنعين هنا ؟
بيت : هذا ما أحاول أن أعرفه .
أوليس : ما اسمك ؟

يـيـت : نسيت حتى اسمي ؟
أوليس : هات هذا الشريط ... هذا الشريط ... يا بيت !
يـيـت : أوليس !
أوليس : وكنت هنا ... قريبة ...
يـيـت : هل تتألم ؟
أوليس : أوه ! عفوا ! عفوا !
يـيـت : ما زلت أحبك . لا تسألنى العفو .
أوليس : نعم ، أريد أن يكون آخر موقف لى فى الحياة عند
 قديمك ، أريد أن أتجمد فى وضع صلاة من أجلك أنت .
 التى أحببتنى .
يـيـت : حبيبى أوليس .
أوليس : نيقولا ! لا تزعجنا بعد الآن . إلا أن يشاء الله .
نيقولا : ولكن يا سيدى ، الآلهة هنا منذ زمن طويل .
أوليس : الآلهة ؟ هل هم كثيرون ؟
نيقولا : حوالى خمسين .
أوليس : ماذا تقول ؟
نيقولا : من جميع الأعمار ، والألوان ، الأصفر والحمرة والسود .
 يوجد بوذا من الجبس ، فوق مدفئك ! إذا كنت طالبا
 هناك أيضا يسوع الصغير الذى تعلقه والدتك فى رقبتك
 يوم مولدك والذى ستمصه بشفتيك حينما تؤلك أسنانك
 وهى تنبت .

أوليس : آه ! هذه ألهتى ! لقد سقطت كما سقطت أسناني الأولى . يمكن أن تحرقها ، ولا تعد إلى إزعاجنا .
أريد أن أتوقف عند هذه اللحظة .

(يعود إلى بيت) لأننى لا أريد أن أرى نفسى مرة أخرى وأنا أهجرك . لم أعد أريد أن أسمع بكاءك ، ولا أن أتذكر الأعذار التى انتحلتها فى طبيعتى المتقلبة ، لكى أهجرك وأجعلك تتعذبين .

بيت : لا تعجل بالحديث عن هذا من الآن .
أوليس : بيت . أخبرينى ، حينما أطلقت أنت الرصاص على نفسك ، هل استعرضت حياتك ، أنت أيضا ؟

بيت : لا . أنا لم أر سواك ، أنت الذى من أجله أردت أن أموت .
أوليس : وبعد ذلك ؟

بيت : أفقت من حلمى ، فوق سرير بالمستشفى وكنت أنت غائبا .
لم يكن لى أن أراك ثانية إلا هذا المساء ، حيث أنا أخيرا بين ذراعيك .

أوليس : يا حبى الغالى .
يولاند : (تقتحم المكان) وأنا ! أنا ! ماذا يصنع بى فى هذه القصة ؟

**(أوليس يتقدم ، وقد أصابه الرعب ، بطيئا نحو يولاند .
موسيقى عرس تصدح .)**

ستار

الفصل الثالث

(الديكور نفسه)

الجد : لن يستطيع أن يقنعني بأن حياته كانت لا تطاق . لقد خسر الرهان .

نيقولا : انتظر .

الجد : (للأب) - ما رأيك أنت ؟

الأب : أنا أنتظر .

الجد : ولكن أنت الذى مت عجوزا طاعنا فى السن ، هل تفهمه أكثر منى ؟
الأب : إيه ! كلا . أوليس كان دائما مجنونا .

الجد : ولكن أنت الذى مت طاعنا فى السن، هل كنت تستسلم للموت عشية موتك؟ (صمت) ماذا كنت ترغب يوم موتك ؟

الأب : عشر سنوات أخرى هادئة لكى أتأمل حياتى المنتهية .

الجد : أوليس لا يحب أن يتأمل ؛ إنه يفور ويغلى . لقد لاز قبل قليل بالفرار تحوطه النسوة والرجال وسط ديكور من المناظر الطبيعية والمدن التى تختلط وتنفصل ثم تتلاقى . أوليس كان فى غاية السعادة .

نـيـقـولـا : (كئيـبا حـزينا) - فلنتهـيئ أئـيـها السـادـة للـبـكـاء .

الأب : لمـاذا ؟

نـيـقـولـا : لأنـه مـع قـمة السـعـادـة الـتى كان فـيـها ، هـرب ، بـكل أـسـف ،

إلى آخـر يـوم فـى حـيـاتـه . و عـما قـلـيل سـيـقـابـل " يـولـانـد "

ويعـلم بأمر الخـيـانـة الـتى ارـتـكـبـتـها فـى حـقـه هـذه المـرأة الـتى

كان يـعـتـقـد أنـه يـحـبـها . أكـثـر مـن نـفـسـه ، ثم يـطـلـق عـدة

صـرخـات ، و يـتـناوـل مـسـدـسـه و ... حـيـنئذ يـنـتـهـي كـل شـئ .

الجـد : أنا سـأـمـنـعـه عـن ذـلك .

نـيـقـولـا : كـلا . فـى الحـيـاة كـل شـئ فـرـيـد : التجـارب مـثـل الثـوانـي

الـتى تـمر . شـعـور بـوخـز الـضـمـير لا يـحـل مـحـل تـصـرف

مـعـين . وشـعـور بـالنـدم لا يـمـحـو أثر كـلمـة مـعـيـنة . ما قـد

قـيل سـيـتـكـرر مـرة آخـرى . كم سـيـكـون المـشـهـد مؤلـما !

الجـد : أين هـو الآن ؟

نـيـقـولـا : هـو سـتـعـد ، سـيـأتـى لـيـحـدـثـنا عـن الـوـحـدة الـتى مـلـكت

عـلـيـه حـيـاتـه ، و كـيـف أن أـصـدقـاءـه ابـتـعـدوا عـنه و حـمـاسـتـه

تـخـلت عـنـه . سـيـتـحـدـث عـن مـدى طـهـارة هـذه الـفـتـاة .

ثم يـقـرأ مـرة آخـرى الرـسـالـة الـزرقـاء الـتى مـطـلـعـها :

" حـبـيـبـى " وأخـيرا المـسـدـس والنـاس الـذى يـسـتـولـى عـلـيـه ... أوـه ! ...

الجـد : و هـل سـتـكـون الـلـحـظـات الـآخـيرة فـى حـيـاتـه بـهـذه الأهمـية ؟

نـيـقـولـا : بـالنـسـبة لـه ، طـبـعا . فـهـذه آخـر مـرة يـسـتـعـمـل فـيـها كـلامـا

بـشـريـا يـعـبر بـه عـن قـلق رـيـما يـكـون عـاما وشـائـعا .

الأب : أبـنـى حـبـيـبـى !

نيقولا : بما أن المشهد النهائى سيبدأ بعد قليل ، فعلينا أن ننتهز فرصة هذا الهدوء لكى يودع كل منا الآخر .

الأب : ألن تتركونا معه وحدنا ؟

نيقولا : عند إطلاق الرصاص ، علينا أن نفترق . أنت ، وأنت

- لكى تغيبا فى نسيان أرضى نهائى - فلقد كان

أوليس آخر شخص على الأرض يفكر فيكما ؛ وأما أنا

فلكى أعود إلى جسدى ، جسد الكائن الحى لأننى - وهذه

خاصية أتمسك بها كثيرا - سأواصل الحياة (يعين مكان

المشهد الأول) هنا ، وحيث لا أرى نفسى ، وحيث ترتعد

فرائصى أمام سيدي الذى يحتضر مع أفكاره .

الجد : وهكذا سوف تعود أنت إلى مغامرات تجهل نهايتها ؟

نيقولا : نعم . وبطبيعة الحال ، ستكون الأيام الأولى صعبة

بالنسبة لى ... فمن وصول الطبيب الذى يواسى سيدتى ،

وإلى الشرطة ، إلى إجراءات الدفن وفراق سيدي الذى

كنت أحبه . (يبكى) كما ينبغى أن أبحث لى عن مكان

آخر . أليس من الغباء أن يقتل المرء نفسه من أجل

عاهرة كتلك ؟

الجد : ولكن ما رأيك أنت فى هذه القصة ؟ لماذا خانت زوجته ؟

نيقولا : وهل تعرف لماذا ترتكب النساء الحماقات ؟ إنهن

يتصرفن بالعكس كما تحطم الطباخات الأوانى . إنهن

يستوحين مثل هذه السخافات من مصادر شخصية

تخيّب كل الظنون والتوقعات .

الأب : (للجد) - ولكن ما الموقف الذى سنتخذه حينما يصرخ
من الألم ؟

الجد : بالنسبة لى ، قمت باستدعاء طبيب ، وممرض ،
ونقالة ، والصليب الأحمر ... ولما لم أجد أحداً ، حاولت
أن أنتظر طلوع الشمس ... وجعلت أعد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ،
٥ ، ٦ حتى ٦٠ ثم أكرر من جديد ؛ كان الليل بارداً
وكان البرد يتسرب إلى ساقى . وأنا أعد ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... هذا كل ما أعرفه .

الأب : ولكن أوليس لم يوافق على استعراض حياته إلا من أجلك
أنت . سيتعذب بسببك مرتين .

الجد : ولكنك كنت متفقاً معى ...

الأب : على أن انتحاره شئ مؤسف ...

الجد : وهل تعرف الآن الأسباب ؟

الأب : لماذا كل هذه الغطرسة ؟ أنت نفسك غيرت رأيك -
وأصبحت تشاركنى الرأى .

الجد : أى رأى ؟

الأب : لكى نقتنع بأن موته كان ضرباً من الغباء ، نحاول أن

نجعله يموت مرة أخرى . مسكين ابنى ، مسكين .

نيقولاً : آه ! أسمعنا الآن وقد بدأ فعلاً يردد اللازمة " لماذا

خنتنى؟... لماذا خنتنى ؟ ... سأقتل نفسى ... "

(يدخل أوليس ، وحوله بيت ومادلين والمجهولة)

الجد : (فى غاية الانفعال) أى بنى ... ابنى المسكين ...

أوليس : أه ! جدى ، يالها من رحلة رائعة ...

الجد : (مندهشا) - ماذا تقول ؟

أوليس : أنت مت وأنت شاب ، هذا مفهوم ... ولكن ليس من

الضرورى مثل هذه الخبرة الطويلة بالنساء لكى نعرف

أنهن غيورات فيما بينهن ولا يتَّفَقْنَ على رأى واحد .

انظر إلى صديقاتى ، ألا تراهن رقيقات ناعمات ؟ تحب

كل منهن الأخرى كما أحبهن أنا . ونحن نتبادل أجمل

ذكرياتنا . لعبة جميلة ، لعبة أجمل ذكرى .

بيت : وهذه الذكرى : رائحة البطاطس المحمرة والقواقع

التي أكلناها فى ذلك المطعم الصغير صبيحة اليوم الأول .

وذكرى أخرى أجمل : ذكرى ابتسامة الساقية التي

كانت تتبسم لنا لأننا كنا نتبادل القبلات .

مادلين : ومحطة أورسى ، وتذاكرنا فى جيوبنا ، مبكرين ،

هادئين ، ننتظر على راحتنا السفر إلى إسبانيا ...

المجهولة : أما أنا ، فكم كنت سأكون سعيدة لولا ذلك البلبل فى

قدمي .

أوليس : فى كل خطوة كنا نسمع نزع الماء ، والهواء الذى

كان يتسرب بين الشراب والنعل كان له صوت حزين

يصاحب نزهتنا الوحيدة .

المجهولة : كان الماء باردا ، قذرا . ولكن كم كنت أنت جميلا ،

يا فارسى الجميل !

أوليس : بابا ، خلال حياتك الطويلة ، هل أحببت نساء غير أمي ؟

الاب : حتى مع الأخذ فى الاعتبار الوضع الراهن ، فأننا أرى
أنك تتجاوز الحدود المسموح بها فى عدم التحفظ العائلى .
أوليس : كنت أود أن أعرف إذا كانت النساء المحبوبات يقمن
بمثل هذه الدورة الجميلة فى ذاكرة جميع الرجال . نعم
(إلى مادلين :) أنت التى أحببتنى لأننى أحببتك ... (إلى
بيت :) أنت التى أحببتك لأنك كنت تحبيننى ... (إلى
مادلين :) ألا تشعرين بالغيرة حينما أقول لبيت إنى
أحببتها أكثر مما كانت تعرف ؟

مادلين : وهل يبدو على ذلك ؟
أوليس : (إلى بيت) أكثر مما كنت أعتقد أنا نفسى . وأنت ،
يا بيت ، هل مازلت تريدين أن تموتى لأننى أحب مادلين أيضا ؟
بيت : أنا لم أكن فى حياتى بهذه الدرجة من السعادة .
أوليس : (إلى المجهولة) - وأنت ، يا من التقيت بك ساعة
فى حياتى ، ولا تفارقينى أبدا ، ولا أستطيع أن
استغنى عنك ... أنت بالضبط حركة فى شارع ، نظرة
بلا تفاوتات ، وجه محدد وبلا اسم ... وداعة كاملة كنت أهم
بمعرفتها وأقللت منى - ، كلا ، وداعة عرفتها وتصاببنى .

(تدخل يولاند عنيفة)

يولاند : هل من الإنصاف إهانة امرأة بهذه الطريقة الوقحة ؟
نيقولا : (إلى الأب والجد) هاقد وصلنا !
أوليس : (بكل أدب) - هل تعرف كل منكن الأخرى ؟ طبعاً !
ما أغبانى ! هذه مادلين ...

يولاند : (مقاطعة) - تشرفنا ! حقا تشرفنا ! المرأة سيئة

السمعة التى تعيش مع الرجل الغنى ، أليس كذلك ؟

مادلين : وأنت طبعا سيدة المجتمع ، حسنة التربية ؟

يولاند : عفوا ، أنا أكرز جملة قالها زوجى .

أوليس : (لمادلين) هذا صحيح . ولماذا وأنا أتحدث عنك

فيما مضى ، لم أحتفظ إلا بهذه الجزئية من الصورة ؟ يولاند ،

حينما كنت أحدثك عنها ، كنت قد نسيت أشياء كثيرة ...

يولاند : إذن ، لم يكن هذا من التحفظ ؟

أوليس : وهذه بيت ...

يولاند : هذا يكفى . أنا أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن

سبب وجودكن هنا ؟

(حركة جهل من النساء)

نيقولا : كنت على يقين من أنها لن تتبع قاعدة اللعب ، المهزلة

نفسها فى الحياة العامة . مثلا : هى لا تقبل أن تقوم

الطباخة وحدها بالذهاب إلى السوق .

يولاند : أكرر سؤالى : أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن

سبب وجودكن هنا ؟

بييت : لا . نحن سعيدات ولا نسأل عن شىء آخر .

يولاند : أوليس ! كم من الوقت ستجعلنى أنتظر أيضا ؟

أوليس : أجعلك تنتظرين ؟ تنتظرين ماذا ؟

يولاند : أليس من المفروض ، يوما بعد يوم ، أن تصل إلى

أيامنا - ثم إلى يومنا الأخير ؟ أنا على عجلة من أمرى

لأبرر موقفى ، وأشرح لك .

ييس : (تضحك ضحكة عالية ، ثم بجدية :) نحن لم نعد نعيش بترتيب الأيام .

نحن ندور . نحن نكرر الكلام نفسه بالفرحة نفسها . شريط أزرق ! أوليس! شريط أزرق ! وهى تأتى بأزهارها ، أزهار السوسن البيضاء . نحن لا نملك ، تحت أيدينا ، سوى عدد محدود من الحركات أو التصرفات ، ولكن يمكن أن نظل نكرر ونُعيد إلى ما لا نهاية .

أوليس : يولاند ، ولكن أنت فى العشرين من عمرك ! هذا ثوب عيد ميلادك . أنت متحفظة ، كتومة وأخالك رقيقة ودیعة ...

يولاند : (ترتدى على قدمى أوليس) سامحنى !

مادلين : أه ! هذه هى حركتها !

يولاند : سامحنى ! لم يكن من حقى أن أنسى أننى حبك الوحيد .
(ضحك النساء)

أوليس : لماذا تطلبين منى أن أسامحك ؟

يولاند : فليخرجوا جميعا .

أوليس : فليخرجوا ؟ لماذا ؟

يولاند : (هامسة) - أنا لست مذنب . لست مذنبه تماما .

أوليس : أى ذنب ؟

يولاند : يا أوليس ، تلك الرسالة التى عثرت عليها ...

أوليس : (ببساطة بالغة) نعم ، لقد أعدنا قراعتها معاً .

يولاند : معقول ! هل سمحت لنفسك ...

أوليس : إنهم لا يفارقوننى أبدا ، قلت لك ...

يولاندا : (وقد شعرت بالإهانة) - رسالتى ! ... أمام كل هؤلاء
المجهولين ، أوه !

(تشعر بالخجل ، هائجة ، عاجزة)

أوليس : حبيبتى . لا داعى لاضطرابك هذا . مادلين كتبت أسوأ
منها فى الماضى .

وانظرى مدى السعادة التى نحن فيها اليوم .

يولاندا : (عاجزة) أسوأ منها ؟

أوليس : أكثر من ذلك ، رسائل تسخر فيها منى (إلى مادلين)
تلك الرسالة ، لماذا فعلت ذلك يا مادلين ؟

مادلين : لأنك كنت مدعاة للسخرية .

أوليس : (يضحك سعيدا) هذا صحيح !

يولاندا : (متوترة) لكن أنا خنتك !

أوليس : وهى أيضا . بالمناسبة ، أخبرينى الآن ، لماذا خنتتى ؟

يولاندا : لا أعرف . لم أعد أعرف ...

أوليس : أرايت ؟!

يولاندا : أنت لم تعطنى الفرصة لكى أشرح لك ...

أوليس : حسنا ! فلنبحث معا ! هل تريدين أعذاراً معقولة ؟

يولاندا : أنا فى منتهى الخجل والحياء من أن أحدثك فى
مصيبتى إذا لم تأخذها مأخذ المساة . هل يمكن للمرء

أن يعترف بذنبه دون صراخ ودموع ؟

(صمت)

أوليس : أنا أسمعك .

يولاند : فى هذا الهدوء ، كلامى يتفاقم ويجعلنى أحمر خجلا ...

أنت تستمع إلى هكذا - وتنظر إلى - وتبتسم ...

أوليس : كنت فى غاية السعادة وأنا معك .

(تسمع موسيقى عرس مشهورة)

يولاند : حاول أن تذكر !

أوليس : هذا كل ما أفعله .

يولاند : أنت أحببتنى لأننى كنت فتاة طاهرة .

أوليس : اضطراباك الأولى كانت تفتتنى .

يولاند : كنت تحبى لأننى كنت سأصبح صاحبك الوفية حتى آخر ساعة .

أوليس : ساعتى الأخيرة حانت مبكرا بعض الشيء ، ولكن

حتى آخر ساعة من سعادتى ، ألم تكونى صاحبتى الوفية ؟

يولاند : أنت تتطلع إلى وأنا فى الثوب الأبيض ، والكنيسة

مليئة بالشمس ، والأصدقاء المهنيين ، والأغاني الرائعة -

وذات يوم ، وذات يوم حل ، سأخونك .

أوليس : ساعدونى جميعا : لماذا تخون المرأة الرجل ؟

يولاند : أنت بشع !

أوليس : ربما لم تعودى تحبيننى ؟

يولاند : لا ، لم أكن أحب سواك .

أوليس : من بينكن جميعا فى تمثيلنا هذا ، تحتفظ لها بدور

المرأة البلهاء قليلا - أليس كذلك ؟

يولاند : (حانقة) - عما قليل ستحين لحظة تكف فيها عن

السخرية منى . .

أوليس : لأنك ستقولين لى لماذا خنتنى .
يولاند : ... وبين ذراعيه كنت أحدثه بلا كلفة بصوتى الذى تغير .
أوليس : كم مرة خنتنى ؟
يولاند : عدة أسابيع .
أوليس : هل نمت معه عارية ليلة كاملة ؟
يولاند : مرة ، نعم ، رأتى نائمة فأيقظنى وهو يقبلنى .
أوليس : ولكن لماذا ؟
يولاند : لا أعرف .
أوليس : لماذا تعلقين كل هذه الأهمية على حركاتك وكلامك ؟
لو كنت شعرت باليأس ، فذلك لأننى وجدت نفسى وحيدا
معك على حين فجأة .
يولاند : أنت وحيد معى لأنك لا تحب سوى . انظر ، ما يزال
الحبر على إصبعى .
أنت تذكر ، أول أمس ، حينما عدت ، أننى أسرع
بإخفاء رسالتى وأن الحبر ما يزال رطبا على إصبعى ...
انظر هذه البقعة . أوليس ، من كل هذا الحب ستسطر
كلمات حب من أجل آخر .
أوليس : ومن سيمحو كل رسالة الحب هذه المجتمعة على إصبعك ؟
يولاند : ومن أجل أعز أصدقائك . ولن تتحمل أنت ذلك ، أيها المغرور .
بيت : ربما لن يتحملة ، بالذات لأنه أحبك ؟
مادلين : حذار يا أوليس ، إنها تريد أن تعذبك ، تعزلك فى
عذابك ، لكى تطرдна جميعا .

أوليس : على أية حال ، هى على حق . فقد كنت مغروراً بدرجة رهيبة . غروراً يا جدى ، أعترف بأنه حملنى فى بعض الأحيان على أن أحتقرك ...

الجد : (مذعوراً) ماذا تقول ؟

أوليس : سامحنى . أنت أولاً كنت صورة ، الفتى الهمام بطل " جرافيلوت " الذى كنت أشعر بالفخر به فى المدرسة فى أثناء دروس التاريخ ، ثم أصبحت سؤالاً مقلقاً ...

يولاند : أوليس ، لا أظن أنك ستتنسانى .

أوليس : خفى من صخبك قليلاً ، يا امرأة أفكارى . يا أصدقائى ، أنا معكم لأخرج من نفسى ، للأسف . . وإذا كنتم فى بعض الأحيان توحون بشيء من السخرية ، فذلك لأننى أحب أن أسخر من نفسى . ولكن فى هذه اللحظة التى أترككم فيها ، فإننى قد ألتقى ، على الجانب الآخر من الخط وراء الدموع والتنفس ، بالقصة الحقيقية لجميع الذين أحبوا بعضهم بعضاً منذ قرون طويلة ، لكى يولد لهم طفل يتزعزع ويكبر ويصبح أوليس . أين أنتم يا أجدادى ويا آباء أجدادى ، يا من تنشرون فى كل جيل ، أربعاً أربعاً ، تنتشرون وتنتشرون حتى تحيطونى بأفق من الأسلاف ؟ ترى من كان الشخصان اللذان فى كل ربيع من الأجيال ، كل عشرين عاماً ، منذ آدم وحواء ، أنجبا للنديا فتاةً كان ينتظرها فتى لكى ينجبا يوماً ما هذا الولد الصغير ؟

يولاند : أوليس !

أوليس : أه ! يا جميع آباء وأمهات حياتى ، أنتم يا من تبلغون العشرين كل العشرين عاما ، منذ أجيال وأجيال ، يا من تحدثتم لغات لا أعرفها ، يا من عرفتم جميعا ، على ما أظن ، كل أنواع العذاب والفرح ، تعالوا واستقبلونى فى آخر يوم وأعينونى ، وأنا الذى أدخل فى هذه الأرض دون أن أترك أحدا خلفى .

(الأب والجد يسندان أوليس)

الأب : أوى بنى !

أوليس : أنا لم أستطع أن أسأل سواكما ...

الجد : وبعد ؟

أوليس : مغامرتك لم تساعدنى كثيرا ! على العكس !

الجد : ولكنك قلت ...

أوليس : أوه ! شىء مثير للغاية بالنسبة لطفل صغير أن يكون فى أسرته بطل ، لكن الطفل الصغير يكبر .

الجد : ليتك تشرح لى .

أوليس : لقد عرفت عنك الكثير .

الجد : (قلقاً) - منذ متى ؟

أوليس : منذ الحرب . حينما كنت أبيع الكاربيراثير الطراز الجديد فى الجراجات .

الجد : ولكن من حدثك عنى ؟

أوليس : ليس عمال الجراجات طبعاً .

الجد : (الذى يريد أن يخرج من الحرج) أنا حتى لا أدرى ماذا تقول .

أوليس : ولكننى من خلال تجميع بعض العبارات التى صدرت عن بعض العجائز فى الأسرة وأجزاء من رسائل ، وحسابات بعض موثقى العقود ، اكتشفت شيئا فشيئا وأعرف الآن أنك ، يا بطل جرافيلوت ، قد بعث نفسك بعد أن حسبتها جيدا ، بلا حب وبلا عاطفة .

الجد : (مغلوبا على أمره) مادمت قد عرفت ! لكن أنا - لو كنت أعرف !

أوليس : (للآخرين) لقد تزوج فى سن العشرين من أنسة جافة ، لأنها كانت غنية ، فقط لأنها كانت غنية .

الجد : أنا أعترض ! لقد توصلت إلى أن أحببتها لأنها كانت غنية . كنت أحب فيها الغنى ، كما يحب غيرى فى زوجاتهم الوجه الجميل أو الروح الطيبة .

أوليس : ولكنك كان من الممكن أن تختارها غنية وأقل نحولا .

الجد : لقد قمت بهذه التضحية لأؤمن حياتى فى سن الخمسين .

غبى ! غبى ! غبى ! (مادالين تطلق ضحكة عالية)

اضحكى ! اضحكى ! ولكن من يستطيع أن يصف اليأس

الذى يصيب الغزاة المجهولين لأنهم يموتون قبل تحقيق

الغزو ؟ لو كنت أعلم أنى سأموت فى سن العشرين .

فهل كنت تزوجت ، قبل موتى بستة أشهر ، فتاة

متغطرة ومزعجة من أجل (صداقها) غناها ؟

أوليس : مسكينة جدتى !

الجـد : هل ستحكم على من شعرها الأشيب ؟

الأب : هى أمى .

الجـد : بالنسبة لى ، لم تكن سوى زوجتى . كنت أريد أن أترك

لكم جميعاً ثروة أه! افهمونى . كنت واثقاً من أننى

سأصبح غنياً ببضعة مئات الآلاف من الفرنكات . لذلك

تزوجت أمك . واشتريت الأراضى .

مادلين : سامحونى جميعاً إذا قلت لكم إنه على المرء أن يثق

تماماً من أنه لا يساوى شيئاً لكى يقلل أن يبيع نفسه .

أوليس : عزيزتى مادلين . لماذا تذكرينى بهذه الجملة البشعة التى

أندم عليها ؟

الأب : لا تستطيع أن تلوم نفسك على أنك عشت حياة صعبة

لأنك وأنت تتزوج نسيت أن تتنبأ بحرب عام ١٨٧٠

الجـد : متى بيعت هذه الأراضى ؟

الأب : عام ١٨٧٥ .

الجـد : بكم ؟

الأب : بمائة فرنك المتر .

الجـد : الهكتارات الثلاثين ؟

الأب : نعم .

الجـد : يعنى ثلاثين مليون فرنك !

الأب : نعم .

الجـد : وماذا صنعت بالأموال ؟

الأب : أمى ضيعت أراضيتها .

الجد : أوه ! أوه ! أوه ! ولم تدافع أنت عنى ؟

الأب : كما تعلم ، أنا كنت فى الرابعة من عمرى فى ذلك الوقت .

الجد : الرابعة ...

الأب : (حزينا) أمى اضطرت ؛ لإنقاذ ما تبقى ، أن تتزوج ابن

موثق العقود .

الجد : أى أبنائه ؟ لم يكن عنده سوى صبى وقح بسرّوال

قصير وبأنف قذر .

الأب : كبر بعد ذلك . كان أصغر من أمى بخمس سنوات .

وكان يحب الجنوب والهدوء . لذلك فقد رحلنا جميعا إلى

هناك . والحقيقة أنه لم يكن إنسانا سيئا . وهو الذى

قام على تربيته .

الجد : وماذا أصبح بعد ذلك ؟

الأب : مات هو أيضا . منذ فترة طويلة .

(صمت)

الجد : أنت على حق يا أوليس ! إذ تحتقرنى .

أوليس : لا ، يا جدى . أنا لم أعد أحتقرك . ثم إنك عشت

حياتك أيضا . فى يوم زواجك ، واعتمادا على ثروة

زوجتك ، ألم " تنتهز " فرصة شبابك ؟ ويوم اشتريت

الأراضى ، ومع اطمئنانك بالنصر ، ألم تكن تعيش تبعا

لنزواتك ورغباتك ؟

الجد : لكننى لم أحقق رغباتى .

أوليس : لا أحد يحقق كل رغباته بالكامل .

يولانند : أوليس ، مازلت فى انتظار لومك وعتابك .

أوليس : ولماذا اللوم والعتاب؟ أنتى كنت معى فى غاية الرقة والوداعة وكنت أشعر بسعادة بالغة معك .

يولانند : ماذا ؟ هل فقدت الذاكرة ؟

أوليس : كلا ؛ بل أنا استعدتها ، يا فتاتى العزيزة ، الغضة الهادئة الطاهرة ...

يولانند : إذن ، أنت تذكر أول مساء كنا وحدنا . تحدثنى فيه عن طفولتك ، وأنت طفل رائع واسع العينين . تقول لى إن المرء كلما تقدم فى السن صغر حجمه لأن الأفق من حوله يضيق . دوائر تصغر كل عام . أولا أنت تنسى نجومك والأرض نفسها تصبح غاية فى الاتساع لنظرتك . وذات يوم امتزج أفقك بحدود وطنك حيث تدور الحرب ، وتراكمت عليك السنون ، وظللت تتقدم فى السن واستمرت الدوائر تقترب شيئاً فشيئاً حتى عزلتك حتى عن أصدقائك . حينئذ راحت ذراعاك الصغيرتان ، ذراعا الطفل ، اللتان كنت تفتحهما على العالم ، تنحسران حولى . وتضاءل العالم ليصير فى حجم الفراش الذى أصبح عالمك .

يبيت : (شاعرة بالإهانة) ومع ذلك خنته ؟

يولانند : ابقى وحدك معى .

أوليس : لماذا ؟ من المستحيل على الآن أن أستمع إليك فى حضرتهم . لا تخشى شيئاً . سوف يساعدوننى فى الصفح عنك . بل أستطيع أن أقسم لك أننى صفحت عنك .

يولاند : ولكنك لا تستطيع أن تصفح عنى .

مادلين : لعلك وحيدة نسجك ؟

يولاند : نعم ، على الأقل ، بالنسبة له .

مادلين : لا . لقد تعذب من أجلك ، كما تعذب من أجلنا .

يولاند : أنسىتم أننى الأخيرة ؟

أوليس : لم يعد هناك أولى ولا أخيرة .

يولاند : ذكريات رائعة ، حقا .

أوليس : (جادا) نعم .

يولاند : (مشيرة إلى بيت) هذه المرأة متزوجة . وفى هذه اللحظة بالذات ، ربما تكون بين ذراعى زوجها ، - وأنت تلاطفها أيضا .

أوليس : لا تتركونى وحدى مع هذه المرأة .

يولاند : آه ! يا له من وسط جميل لذكرى رجل متوسط ! وهكذا وهو يهجرنا ، يحملنا ويحتفظ بنا .

الجد : (فى غاية الرقة) - أوليس !

يولاند : ولا تنسى أننى أيضا ، فى ذاكرة رجل آخر ، أعتبر الآن ذكرى .

أوليس : عاهرة !

يولاند : تحت أمره وطوع إرادته .

أوليس : عاهرة !

يولاند : إذن فأنت ما تزال تحبنى ؟

(**أوليس هائج . ينقض عليها . هى تصرخ وتنادى**)

حبيبى ! حبيبى !

(**ماكسيم ٢٧ يسرع . دخوله يهدئ أوليس . صمت**)

ماكسيم ٢٧ : أنا أحبها - يا أوليس .

أوليس : لا أريد ! لا أريد !

ماكسيم ٢٧ : هذه كارثة لنا جميعا وكان ينبغى أن أعترف لك بها

قبل ذلك . أنا أحب يولاند .

أوليس : هذا ليس صحيحا ! أنتم جميعا تريدون تعذيبى . كيف

تجرؤ وتقول لى إنك تحب امرأة تحبنى وهى أُملى الأخير ؟

افهمنى ! هذه فتاة أنا أحببتها وأصبحت زوجتى

وصاحبتى وأنت صاحبى وصديقى .

ماكسيم ٢٧ : منذ عدة أسابيع ، ألتقى بها دائما فى غرفة نخل فيها

وحدنا ساعات كاملة ثم تعود إليك . وأنا حينما أضافحك ،

أضافحك بهذه اليد التى داعبت جسدها .

أوليس : مستحيل ، فى حلقى غصة كأننى فى كابوس . ليس هذا

أكثر من كابوس .

يولاند : أول مرة ، حينما رفعتُ ثوبى ، كان يتطلع إلى

وهو يرتعد (**تشير إلى ساقها**) لأول مرة رأى ساقى

(**أوليس ينقض على الثوب ، يخر على ركبتيه باكيا**)

واليوم هو يعرف جسدى كله .

أوليس : وعما قليل ستخاطبينه قائلة " حبيبى " ، وتخلعين عليه جميع عبارات الحب الأخرى المنقوشة على بقعة الحبر فى أصبعك . من ذا سيمحو هذه البقعة ؟ من ذا سينسبنى هذه الساعة ؟ لماذا تكون جميع الساعات التى نعيشها خالدة ؟

الجد : أوليس ، أودُّ أن أحوِّلك عن قدرك ومصيرك . ولكن كم نحن عاجزين عن تخفيف آلام أعزٍّ من نحب ! نحن هنا جميعا نحبك وأنت تفرُّ منا . تتسرب منا . أنت تهوى فى شقائقك يا أوليس .

يولاند : وهذه الشامة التى كنت أجهلها ، والتى اكتشفتها أنت فى اليوم الثالث بعد زواجنا والتى كنت سعيدا لأنك الوحيد الذى تعرفها - هو يعرفها ، وهو أيضا يحدثنى عنها .

مادلين : (تواسى أوليس) أوليس ، أنت صرخت أيضا من أجلى .
أوليس : نعم .

مادلين : ليال بأكملها . ثم نسيتنى إلى حد أن تحب بكل هذا العنف هذه المرأة الأخرى .

أوليس : نعم .

مادلين : (باسم النساء الأخريات) ... التى لا تساوى ما نسأوى ، التى هى أقل منا شأنا .

أوليس : نعم .

مادلين : إذن ، فأنت على يقين من أن امرأة أخرى سوف تواسيك غدا ؟

(يولاند تضحك)

مادلين : (بعد لحظة يأس أمام أوليس الذى لا يسمع سوى ضحك
يولاند) - اسمعنى أنا أيضا ...

أوليس : غدا ؟ غدا ؟ ماذا يعنى الغد حينما تكون هذه المرأة أمام
عينى ؟

(نيقولا يحضر منضدة صغيرة بدرج)

ييت : ما هذا ؟

نيقولا : الدرج الذى سيأخذ منه المسدس .

الجد : أى بنى ، ماذا باستطاعتى أن أصنع من أجلك ؟
أوليس : أن تقول لى ما العلاقة التى يمكن أن تقوم بين رغبتى
فى الحياة بطموح كبير ، وبين بقعة صغيرة مختفية فى
إحدى ثنايا جسد هذه المرأة .

يولاند : انظر يا أوليس وهو يعانقنى . (إلى ماكسيم ٣٧)
عانقنى يا حبيبى !

(ماكسيم ٣٧ يقترب من يولاند وهو يرتعد)

أوليس : (يلقى بنفسه بين أذرع النساء الثلاث) صديقاتى !
صديقاتى ! خذنى فى أحضانكن !

الجد : حقا ، لقد تعذبت كثيرا ! سامحنى .

أوليس : (شاردًا) على ماذا ؟

الجد : كنت أعتقد أننى عرفت الكرب الأكبر ، لكننى لم أكن
أعرف النساء .

ماكسيم ٢٠ : (داخلا فجأة) عفوا ، يا أوليس !

أوليس : أنت أيضا ! ...

نيقولا : (على حدة) - ما أشد رقتنا مع الأموات !

أوليس : آه ! حينما انزلت في البحيرة وأنت في السابعة من

عمرك ، لماذا ألقيت بنفسى في الماء لكى أنقذك ؟ كان

ينبغى على أن أتركك تغرق . لكننى أردت أن ألعب لعبة

الأخ الأكبر ، لعبة البطل ، فقد كنت أجهل ما يخبئه لى

المستقبل .

ماكسيم ٢٠ : ولكن أنا برىء .

أوليس : (ساخرا) - نعم !

ماكسيم ٢٠ : ولم أحب سواك فى الدنيا

أوليس : أنت أكثر من يعذبنى اليوم .

ماكسيم ٢٠ : لست أنا . أنا لیت لى علاقة بذلك الذى أصبحته (ويشير

إلى ماكسيم ٢٧) أنا الوحيد الذى يفهم هنا . أقولها لك

على الملأ : لا تندم على حياتك العاطفية .

الأب : دعنى أقل لك يا سيدى ، إذا كانت العاطفة تعد

فضيلة شخصية ، فهى كارثة عائلية مقدسة .

ماكسيم ٢٠ : أنت أحسنت صنعا حينما لم تدعن لوضاعة قدرنا .

أحسنت صنعا حينما عرضت بكل عنف دناءة الحياة

اليومية . لو كنت مكانك ، لكنت فضلت أنا أيضا الموت .

أوليس : ولكنك للأسف لم تمت .

ماكسيم ٢٠ : هل كان بوسعى أن أتنبأ بهذه الخيانة ؟

مادلين : صحيح ، دائما ندرك بعد فوات الأوان .

ماكسيم ٢٠ : أنت التى تنصحينه اليوم ؟

مادلين : أنا أحببته أكثر مما أحببته أنت .

ماكسيم ٢٠ : لم يكن حبك مرحلة من أمجد مراحل حياتنا .

مادلين : المجد ! المجد ! تواضعوا قليلا أيها الرجال .

أوليس : نتواضع ؟ حينما كنت أحلق مع الموت فى أثناء

الحرب والسماء مليئة بالنجوم ، حينئذ كنت رجلا

متواضعا . لكننا لم نعد نرى النجوم فى سماء المدن ، -

والناس يركضون فى الشوارع تائهين شاربدين . النجوم

لا ترشد الملاحين فقط : فهى تذكر الناس بأنهم فوق

الأرض بين أراضٍ أخرى . كارثة المدن الكبرى تكمن

فى أنها لم تعد فيها سماء . وشقائى الحقيقى يتمثل فى

أننى عشت معزولا عن النجوم .

(نجوم تضىء مع أن الوقت ليس ليلا)

ماكسيم ٢٠ : وأمام مشهد بهذه العظمة تأخذ دروسا فى الجبن

والتخاذل ؟

أوليس : بل فى التواضع !

ماكسيم ٢٠ : أنت تخضع إذن لوضاعة الحياة ؟ وأمام الرجل

الذى كنته ، ألا تشعر بمذلة مخزية ؟

أوليس : كلا . أنا كنت أطلع إلى مصير مجيد . ولكن لماذا ؟

وياسم ماذا ؟ تأمل والدى بجوارى وهو يلزم الصمت

إنه يتعذب فى قرارة نفسه بسبب آلام شخصية .

الآب : لا .

أوليس : أنا أعرف كل شيء عن داخلك ، مادمت وحدى الذى أجعلك تتكلم . إن جدى يشعر بخيبة أمل فظيعة بسبب برودك الذى قابلته به هنا فى أول لقاء لكما .

الجد : كيف لا أفزع وأنا ألتقى لأول مرة وفى مثل سنى ، بابنى فى مثل هذه الحال ؟

الاب : (للجد) لقد ظلت طيلة أيام حياتى أفكر فيك وأقول : " لو كان أبى هنا ... لو كنت عرفت أبى ... "

الجد : (وهويكى) نعم ... بطل " جرافيلوت " - ، أعرف .

أوليس : أنت لا تقول كل شيء ، يا جدى .

الجد : قبيل موتى ، وحينما تطرّق الحديث إليك ، ألم تخبرك أمك بأننى كنت أحب ابنى الذى كان سيولد حتى قبل أن يولد ؟ وأننى كنت أتوقع أن يكون المولود أنثى ؟ لقد متُّ مع أجمل ذكريات طفلة قادمة . ثم كنت أنت المولود .

أوليس : ذكرياتى ، علينا بالتواضع أمام هذه اللوحة الجميلة : طفلة أحلام ، تتحول إلى رجل همام يلقي حتفه ، وسط بطلين .

ماكسيم ٢٠ : أوليس ، أنت لم تعد كما كنت .

أوليس : بالعكس ، فمع كل هذه الذكريات ، أنا كما أنا لم أتغير قيد أنمله .

ماكسيم ٢٠ : وطموحاتك الكبرى ؟ وألامك المبرحة ؟

(ماكسيم ٢٠ يتهمك)

أوليس : تتهكم لأننى أتساءل لماذا لم أدرك قبل الآن أن عظمة الإنسان الحقيقية هى فى أن يعرف أنه أقل من عادى ،
وَألا يذعن لذلك وإنما يجد فيه القانون الذى يحكمه ؟

ماكسيم ٢٠ : أنت الذى كنت تحتقر الحياة ، لأنها ليست خالدة .

أوليس : أنا اليوم أحبها بالذات لأنها عابرة فانية .

ماكسيم ٢٠ : وهى تمضى مثيرة للسخرية .

أوليس : مثيرة للسخرية ، نعم ، ولم أكن فى حياتى أكثر سعادة من الآن .

مادلين : (إلى أوليس) - أوليس ، أخيرا . أنت وصلت إلى الغد ...

أوليس : إلى الغد ؟ فلتشرق الشمس سريعا ! (يهبط الليل ،

مخاطبا يولاند :) ادخلى ، يا ملاكى العزيز .

يولاند : لقد أحببتك كثيرا ، يا أوليس .

أوليس : يا لها من سعادة !

ماكسيم ٢٠ : كيف تستطيع الآن أن تتعلق بأى أمل ؟

أوليس : أى إنسان على الأرض يعيش بلا ذكريات ، فهو

إنسان ضائع . وأنا استعدت ذكرياتى منذ قليل .

فلتشرق الشمس ، أريد أن أعيش !

يبيت : (إلى نيقولا) - دع المسدس ! فقد نجا من الموت .

نيقولا : للأسف ! لقد أطلقت الرصاصة ولا شئ فى الدنيا

يمكن أن يمنعها من الوصول إلى الهدف .

يبيت : ولكن الله تعالى ، يمكن أن ...

نيقولا : الإنسان حر - ورضى بأن يتحمل المسؤولية .

يولاند : ظللت أحبك ثلاث سنوات باستثناء هذه الأيام الثلاثة الأخيرة . لماذا تكون الأيام الثلاثة أرجح وزنا من ثلاث سنوات ؟

أوليس : عندى لك سؤال واحد أرجو أن تجيبى عليه : لماذا كنت تغنين ؟

يولاند : فعلت ذلك لكى أحقق لنفسى شيئا من التوازن والتماسك .
أوليس : ولماذا هذه الأغنية بالذات ؟

يولاند : لم أفكر فى ذلك كثيرا : شعرت بالرغبة فى أن أبكى ، أن أصرخ ، كنت أشعر بالخوف ، كنت أريد أن أتمرغ عند قدميك - ووليتك ظهري ورحت أغنى بكل بلاهة ...

(يولاند تهم بالغناء)

نيقولا : لا ! لا تغنى . فهذه إشارة الموت بالنسبة له .

أوليس : انظر يا نيقولا ، كيف أنظر إلى يولاند دون أن ترتعد أوصالى . تأمل كيف تغيرت من حال إلى حال .

نيقولا : المرء لا يتغير ، إن لم يكن التغيير هو ألا يكون ما كان .

أوليس : أنا لم أعد كما كنت . أولا ، معذرة يا جدى .

الجد : علام المعذرة يا بنى ؟

أوليس : على هذا المسدس . لم أعد أريد الآن أن أكون قاتل نفسى . وبذلك فقد فزت أنت برهانك الرهيب .

نيقولا : **(إلى يولاند)** لقد أمسك بالمسدس ، يمكنك أن تغنى .

أوليس : كم سنكون سعداء . لقد بدأت أعيش لتوى . تعرفون جميعا أن هناك سبع خطايا . وحياتى كما رأيتم كانت

بسيطة : لم يتسع الوقت لى لكى أكون بخيلا ولا حسوداً
ولا كذاباً ...

الأب : (الجَد) - هل تعذبت وأنت تموت ؟

الجَد : كنت أنتظر عربة الإسعاف ، وأنت ؟

الأب : أنا ، كان الطبيب موجوداً .

أوليس : (إلى يولاند) - ولكن أخبرينى مع ذلك ، لماذا كنت تغنّين ؟

يولاند : ... بكل بلاهة .

" كلمنى عن الحب " ... إلخ

أوليس : (صارخاً) - أنا أتعذب .

الأب والجَد : أى بنى المسكين ، حبيبى !

أوليس : ولكن أريد أن أحيأ . لماذا لا أواصل الحياة مادمت قد

بدأت ؟

ييت : أوليس ، لقد فات الأوان .

الجَد : لا تحاول أن ترفع صوتك على الخالق لأنه يميّتك ،

فأنت الذى أردت لنفسك الموت .

نيقولا : لقد سبق السيف العذل . اللعبة تمت وإلى الأبد .

أوليس : مادلين !

مادلين : أحبك .

أوليس : ييت !

ييت : (باكية) شريط أزرق ! شريط أزرق !

أوليس : هناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها . وأسئلة كثيرة

أريد أن أوجّهها . هذا سؤال من بين ألف سؤال :

العرقى ، أريد أن أعرف ما هو مشروب العرقى ...

لن أموت قبل أن أعرف ما هو ...

المجهولة : أنا سأقول لك .

أوليس : أنت ... أنت ... يا مجهولة أراس الصغيرة ...

يولاند : عفوا ، سامحونى جميعا ، فأنا يجب أن أغنى .

" كلمنى عن حبك ... "

أوليس : (بصوت خفيض) - وغدا ... دونى - ، الشمس ...

(طلقة نارية - إظلام - ضوء الفصل الأول - الأغنية

مستمرة)

نيقولا : النجدة ! النجدة !

يولاند : (تصل كما حدث فى الفصل الأول) - أوليس ! أوليس !

نيقولا : لقد مات يا سيدتى !

يولاند : كأنه يريد أن يتكلم .

نيقولا : الله وحده الذى يعرف ماذا كان يريد أن يقول .

يولاند : سامحنى ، يا حبيبى . لم أكن مذنبه لهذا الحد .

نيقولا : لا أستطيع أن أصدق أن سيدى قتل نفسه من أجل هذه

المرأة .

ستار

لعبة الحب والموت

رومان رولان

رومان رولان

ولد عام ١٨٦٦ ، طفولة تعسة فى أسرة فقيرة وحى متواضع ، فى أحضان أم مغلوبة على أمرها ، لم تستطع أن تقدم للطفل إلا المثل الأعلى فى الخلق القويم ونظرة التشاؤم للحياة والناس .

- أستاذ فى تاريخ الفن فى السوربون .

بدأ بالمسرح ، فحاول أن يكتب سلسلة من المسرحيات عن الثورة الفرنسية ، كتب منها أربع مسرحيات هى : الذئاب ١٩٩٨ ، دانتون ١٩٠١ ، انتصار العقل ١٨٩٩ ثم ١٤ يوليو ١٩٠٢ .

لم يستطيع أن يفرض نفسه على الحركة المسرحية ، فتحول إلى العمل الضخم الذى حقق له الشهرة العالمية وهو رواية جان كريستوف من عشرة مجلدات . هذا العمل الذى يذكرنا بحياة بتهوفن وحياة الكاتب نفسه وحلمه بأن يرى أوروبا موحدة ، حصل بفضل الكاتب على الجائزة الكبرى لمجمع اللغة الفرنسية عام ١٩١٣ .

لم يصرف ذلك عن مواصلة مشروع قديم بكتابة سلسلة من تراجم العظماء : حياة بتهوفن، حياة ميكيل أنجلو ، حياة تولوستوى .

ثم عاد رومان رولان إلى المسرح وكتب رائعته الأثيرة إلى نفسه لعبة الحب والموت عام ١٩٢٥ ، وأعياد الفصح المزهرة عام ١٩٢٦ ، ثم ليونيد أو الأسديات عام ١٩٢٨ وأخيرا مسرحية رويسبير عام ١٩٣٩ .
جميع أعمال رومان رولان تنم عن سعيه الدءوب وراء الصدق والصراحة المطلقة نحو نفسه ونحو الآخرين ، والرغبة الشديدة فى الاستمساك باستقلالية الفكر وعدم الانحياز ، مما أثار حوله الريبة التى وصلت إلى حد توجيه اللوم .

تحت العناوين المختلفة التى تصدرت أعمال رومان رولان الروائية أو المسرحية ، نجد الدعوة إلى الوفاق بين الشعوب والسلام بين الأمم . وقد ظل طول حياته فى بحث دءوب عن بطل يجمع بين فلسفة نيتشه وأفكار تولوستوى ، بطل يسعى دون عنف أو قسوة إلى أن يفهم كل شىء ، لكى يحب كل شىء .

فى لعبة الحب والموت نشاهد فنون الحب المختلفة (الحب العاطفى ، حب الوطن ، حب الأصدقاء ، حب الأزواج ... إلخ) تتعرض لامتحانات عسيرة أمام أحداث الثورة الفرنسية وتوابعها التى شابت لها رءوس الشبان قبل الشيوخ ، قبل أن يأتى الموت الذى لا يفرق بين أولئك وهؤلاء .

فى عام ١٩١٦ حصل رومان رولان على جائزة نوبل .

الشخص

٦٠ سنة	عضو لجنة الميثاق	جيروم دي كورفوازييه
٣٥ سنة	زوجته	صوفى دي كورفوازييه
٣٠ سنة	نائب جيرونديني منفى	كلود فالليه
٤١ سنة	من لجنة السلام العام	لازار كارنو
٦٥ سنة		دينى بابيو
٢٥ سنة		أوراس بوشيه
٢٥ سنة		لودوييسكا سيريزيه
١٧ سنة		كلوريس سوسى
	مندوب لجنة الأمن	كرابار
	مفتشون	{ تيموليون دوسان بودان

تقع أحداث المسرحية فى باريس ، فى منزل كورفوازييه حوالى
نهاية مارس ١٧٩٤ .

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى باريس على مسرح الأوديون
القومى فى ٢٩ يناير ١٩٢٨ وأدرجت بعد ذلك فى برنامج فرقة
" الكوميدي فرانسيز " فى ٥ يوليو ١٩٣٩ ، وذلك فى ذكرى مرور مائة
وخمسين عاما على قيام الثورة الفرنسية .

حجرة استقبال من طراز لويس السادس عشر ، ذات فتحات زجاجية واسعة ، فى الدور الأرضى الذى يرتفع بمقدار ثلاث درجات عن الحديقة .

فى وسط الحاجز القائم فى أقصى المسرح ، باب زجاجى مفتوح على سعته يوصل إلى الحديقة بواسطة الدرجات الثلاث . الحديقة الصغيرة تتلأأ فى ضوء الشمس . فى محور الباب المفتوح بالضبط ، نرى زنبقة مزدهرة ، زرقاء موردة ، وفى أقصى الحديقة ، يوجد الحائط الذى يفصلها عن الشارع . هذا الحائط ليس عاليا : لو تسلَّقه طفل عند الركن الأيمن لاستطاع - من فوق القمة - أن يرى الشارع . فوق الحائط ، تتورد سماء المساء ، وتشحب فى بطاء .

داخل حجرة الاستقبال

١- إلى اليسار : بابان ، أحدهما بالقرب من الدرابزين ، والآخر بالقرب من الحديقة . عندما يفتح الباب الآخر ، نلمح ركنا من الحجرة ، وهى حجرة نوم . بين البابين ، وسط الحائط الأيسر ، مدفأة عالية من المرمر ، فوقها تمثال نصفى لفولتير . فى الخلف ، مرآة كبيرة . إلى اليسار المدفأة ، مكتب طراز لويس السادس عشر . إلى يسار المكتب ،

بين المكتب والباب الداخلى القريب من الدرايزين ، أعدت جزيرة صغيرة من المقاعد المنخفضة من أجل التحدث على حدة . بروز المدفأة ، والمكتب وبارافان من الطراز الصينى تحجبها عن الأنظار المتجهة من الحديقة .

٢- إلى اليمين : باب يواجه باب الحاجز الأيسر ، القريب من الحديقة . عندما يكون مفتوحا نلمح بير سلم دائرى ، وركنا من صحن السلم ، والدرجات الأولى التى تنزل بالدور الأرضى وتفضى إلى الشارع . فى مواجهة المدفأة المرمية ، نافذة تطل على الشارع . إلى يمين ويسار هذه النافذة صورتان طراز القرن الثامن عشر يمثلان رب وربة البيت : أما الزوجة فهى فى سن العشرين ، فى رمز أسطورى دعائى ، وأما السيد فهو مرسوم على نحو صورة "يدرو" ، فى ملابس المنزل ، الرقبة مكشوفة ، منديل عنق حول الرأس ، فى حالة عمل ، يتحدث إلى مستمعين غير موجودين . الصورتان تبدوان وكأنهما متناسقتان مع تمثال فولتير النصفى ، الذى يبتسم فوق المدفأة الكائنة فى الجهة المقابلة .

معزف كبير ، تحت صورة مدام دى كورفوازييه (وهى أقرب الصورتين من الدرايزين) يهبط خلوة أخرى من أجل التحدث على حدة . الشعور السائد هو شعور بوسط راق ، مع آثار واضحة من ضيق الحال والفوضى والإتلاف . المدفأة الأثرية فارغة : سوف يشعل فيها ، فى النهاية ، لهب ضئيل . المكتب والمنضدة مزدحمان بالأوراق التى نرى وسطها فنجانين للقهوة . الثريا عارية (جرداء) . قنديل واحد سيستخدم بعد قليل فى إنارة المسرح .

المشهد الأول

يرفع الستار عن جماعة قليلة العدد - امرأتان شابتان (صوفى دى كورفوازييه و لودوييسكا سيريزيه) . فتاة (كلوريس سوسى) ، ضابط شاب (أوراس بوشيه) ، ورجل مسن (دينى بايو) - يمسك أفرادها بعضهم بعضا من أيديهم ، ويلفون حول الزنبقة المزدهرة وهم يغنون أغنية جريترى الوطنية الراقصة : " البراءة تعود . "

دينى بايو (لاهث الأنفاس يحاول أن يتخلص من الرقصة) - الرحمة ، يا شباب ! كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس - كلا ، كلا ، نور آخر !

(العجوز ، الذى خلص إحدى يديه ولا يزال ممسوكا من الأخرى ، يعود إلى المسرح ، وهو يجرد وراءه الشلة الصغيرة التى تواصل الغناء . يسقط جالسا فوق أحد الكراسى ، وفيما هو يلهث ، يبدأ الشبان الثلاثة حوله - وهم يتضاحكون - أغنية راقصة جديدة ساخرة ، على لحن جريترى : " من أجل غرس شجرة الحرية . "

(كلوريس تضع ، وهى تغنى ، فوق رأس العجوز غصن زنبقة ملوياً على شكل تاج .)

كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس (وهم يغنون)
" لظهره الرقيق ، عودى للحياة
أنت يا من جمدتك الشيوخة ...

انظري إلى أبنائك وهم يعصبون
من هذه النقوش المزهرة جباهك المبيضة ... "
صوفى : صديقى العجوز ، لقد جئت لكى أخلصك . هيا ،
أيها المجانين الصغار ، دعونا نتنفس ! ارقصوا ،
دوروا ، لفوا ! أما نحن فإننا نخرج من التيار ، نحن
معشر المستنين ...

دينى : إننى أحتج ! ليس فيكم مسن غيرى .
صوفى : أيها الأثانى !
أوراس ولودوييسكا : إننا نحتج جميعا ! هذه نكتة !
صوفى : لقد قطعت الآن نصف الطريق . (مخاطبة دينى بايو)
مهما تحتج ، فأنا فى جانبك .
دينى : حظ سعيد ! لن أقول كلمة بعد ذلك .
لودوييسكا : أما نحن ، فإننا لن ندعه يسلبك منا ! كلا ، كلا ، أنت
منا . أنت الأصغر سنا !

صوفى : (وهى تكشف فوق صدغها عن جديلة بيضاء)
انظروا إلى هذا الشعر الأبيض !
لودوييسكا : ما أجمله ! إن كلاً منا ، لو بحث جيدا فى رأسه لوجد
مثله .

أوراس : عندي منه ، أنا أيضا .

لودوييسكا : وأنا .

كلوريس : وأنا .

الجميع : (ضاحكين) لا ؟

كلوريس : صحيح ! عندي واحدة .

(تظهرها)

صوفى : إنها شقراء .

كلوريس : إنها بيضاء .

أوراس : ومن ذا الذى لا يكون عنده شعر أبيض ، بعد كل

ما قاسيناه منذ خمسة شهور ؟ !

لودوييسكا : خمسة شهور ! قل الضعف !

كلوريس : قل ثلاثة أضعاف .

أوراس : كلا ، علينا ألا نتحدث إلا عن هذا الشتاء ! أما الباقي ...

دينى : نعم ، الأفضل أن نسكت .

كلوريس : أه ! كل ما قاسيناه !

لودوييسكا : بلا نارٍ لمدة أسابيع كاملة .

دينى : بلا خشب ، ولا خبز !

كلوريس : أوه ! أما أنا فقد كنت أشعر بالبرد لدرجة أننى كنت

أجد الشجاعة الكافية فى الصباح ، لكى أغادر فراشى .

لودوييسكا : أما أنا ، فكنت أتجمد فى فراشى . لقد أصبح الآن

كبيرا جدا !

أوراس : (بغمزة) لابد من ملئه .

دينى : ذات مرة ، قضيت ست عشرة ساعة فوق رصيف بيرسى ،
بين السابعة مساءً والحادية عشرة صباحاً ، فى مهب الريح
الشمالية الباردة ، وأنا أنتظر توزيع جوال من الخشب وربع
كيلو من الدقيق ، تحتم على بعد ذلك أن أجريها على عربة يد
بعجلة واحدة فوق الجليد . ولقد سقطت مرتين .

صوفى : أيهما الأقوى ؟ الجوع أم البرد ؟

أوراس ولودويسكا : أوه ! الأسوأ ، هو البرد !

أوراس : كلا ، الجوع .

لودويسكا وكوريس وصوفى : البرد ، البرد ، البرد !

أوراس : الجوع ، الجوع ، الجوع !

لودويسكا : أيها الشره !

كلوريس : أوه ! إننى أفضل مائة مرة ألا يكون لدى ما أكله
وأستطيع فقط أن أدفئ قدمي خمس دقائق .

لودويسكا : أما أنا ، فإن ذلك يبكىنى ! (**أوراس يضحك**) تضحك
أيها المتوحش ... أوه !

أنت ، أنت لا تعرف شيئاً !

أوراس : فى جيش موزيل ، نمت فوق الجليد ... صحيح أننا كنا

نحرق كوخاً صغيراً فى بعض الأحيان لكى نستدفئ

دينى : والذين كانوا بداخله ؟

أوراس : لم نكن نهتم بالنظر إلى ما بداخله .

كلوريس : أما أنا ، فعندما كان يبلغ بى البرد أشده ، كنت أفضل ،
أجل ، أجل ، كنت أفضل أن أحترق !

لودوييسكا : ويصفون جهنم بأنه مكان نُحْمى فيه .

أوراس : إن جهنم هى أن نذهب إلى العدو بيطون خاوية .

أوراس ولودوييسكا : البرد !

أوراس : كلا ، الجوع !

صوفى : لقد قاسينا من الاثنين . هيا ، لا مجال للغيرة !

كلوريس : يا إلهى ! كم كان الوقت طويلا! ذلك الشتاء ، ذلك الشتاء

الذى لم يكن يريد أن ينتهى !

صوفى : لقد انتهى الآن . فلا نتحدث عنه بعد ذلك . ولنتمتع

بالشمس الجميلة !

دينى : أول يوم جميل من الفصل الشاب... صديقتنا الساحرة !

يا لها من فكرة جميلة أن تقومى بدعوتنا للاحتفال به فى

حديثك !

لودوييسكا : تمجيدا للربيع ، الذى يُبعث فى زنبقتك المزهرة !

صوفى : هل كان بوسعى أن أحتفظ به لنفسى ؟ فى زمن

المجاعة هذا ، يجب على كل منا أن يتقاسم مع أصدقائه

فتات سعادته .

لودوييسكا : نعم ، إن السعادة أصبحت نادرة !

دينى : السعادة ؟ لقد أصبحت بالنسبة لنا كلمة غريبة .

كلوريس : ما أطول الزمن الذى مضى دون أن نضحك ! أوه !

يا إلهى !

(تجهش بالبكاء)

صوفى : حبيبتى ، حبيبتى ، ماذا بك ؟

كلوريس : هل من حقنا أن نضحك ؟
دينى : نعم ، فقد تألنا أكثر من اللازم .
صوفى : (مخاطبة كلوريس) ولكننى أعتقد تماما أن هذا من حقنا يا حبيبتى ، بل من واجبنا .
كلوريس : وكل من فقدناهم .
لودويسكا : زوجى .
كلوريس : وخطيبى .
دينى : وابنى .
صوفى : صه ! صه !
أوراس : (مخاطبا لودويسكا) وأولئك الذين سنفقدهم ، ألا تهتمون بهم ؟
لودويسكا : أولئك الذين معنا ، أحتفظ بهم . لا أريد أن أفقدهم . كلا ، لا أريد ذلك !
أوراس : إذن ، علينا ألا نفكر فى الآخرين ! ولنرقص !
لودويسكا : فلنرقص ، أيها الخبيث !
أوراس : (مخاطبا كلوريس) وأنت أيضا ، يا صديقتى الصغيرة .
(كلوريس تتردد وتنظر إلى صوفى)
صوفى : هيا ، يا صغيرتى .
أوراس : هيا ، فلنستأنف الرقصة !
(الشبان الثلاثة يخرجون إلى الحديقة ويبدءون من جديد فى الغناء والرقص . دينى وصوفى ظلّا فى حجرة الاستقبال ، جالسين إلى اليسار ، بين المكتب والباب الداخلى ، بالقرب من الدرايزين)

دينى : كل يفكر فى أحزانه : هذه فى خطيبها ، وتلك فى زوجها
، وأنا أفكر فى ولدى ،الذين ماتوا ... ولكن الحياة أقوى ...

صوفى : حتى عندك ، يا صاحبى العجوز ؟
(طوال هذه البداية من الفصل ، تحتفظ صوفى بهدوء
لطيف باسم ، يتميز عن الاضطراب الذى يموج فيه
الآخرون)

دينى : حتى عندي ... إننى أشعر بالخجل .
صوفى : لستم وحدكم . اسمعوا !

(من الجهة الأخرى لجدار الحديقة ، يسمع فى الشارع
مرور أصوات تغنى . كمان ، ناي ، طبله ، صيحات فرح)
دينى : نعم ،هذا الحشد الذى يمر وهو يغنى طربا ،لا يوجد فيه
واحد لم يلق نصيبه من المعاناة ، وقسطه من التضحية
فى الحرب أو الثورة ، لا يوجد واحد غده ليس مثقلا
بالقلق كما كان أمسه مثقلا بالعذاب .

صوفى : لذلك فهم يغنون : حتى يكفوا عن التفكير فى ذلك .
دينى : لأنهم يفكرون رغم كل شيء . انظرى !
(الرقصة توقفت فى الحديقة)

أوراس : ماذا تسمعون فى الخارج ؟ ... فلننصت ...
(يصمتون لكى يسمعوا ، فى الخارج ، صوت بائع
الجرائد)

أوراس : (مكررا) " بريد المساواة ... معركة كبرى فى ... العدو
على ... "

(يجرى نحو الجدار ، يتسلق الحافة ، يمد يديه من فوق
القمة ، ينادى البائع)

بست ! ... أيها المواطن ... شكرا ! .

(يعود بالصحيفة . تسرع المرأتان وتلتفان حوله ، لكى
تقرأها)

أوراس : قوات الملوك يعيدون تكوين صفوفهم ، من نهر الموز حتى
الراين .

الجمهورية يجب أن ترد عليهم بمجهود ضخم . شمس
الربيع تضرم السعير . سيتحتم على أن أعود إلى هذا
السعير .

لودوييسكا : كلا ، كلا ! لا أريد ذلك !

دينى : ماذا نحن لكى نقول : " أريد " أو " لا أريد " ؟

أوراس : نعم ، إن الوطن يريد ذلك .

كلوريس : الوطن ؟ بل قل : " هؤلاء الرجال المرعبون ! ...

لودوييسكا : نعم ، اللجنة العليا .

(صوفى تضع أصبعا فوق فمها . الجميع يخفضون رؤوسهم)

أوراس : إنها على صواب .

دينى : (يسعل) إنها هى الأقوى .

كلوريس : إنها كالغول وستلتهمنا جميعا .

لودوييسكا : (تختم بيدها على فمها وتخاطب أوراس)

ولكن ، على الأقل ، ليس الآن فورا . أوراس ، لن تذهب

الآن فورا ؟

أوراس : كلا ،على ما أعتقد ،اللهم إلا إذا صدر أمر مفاجئ .
لودوييسكا : كم من الوقت أمامنا ؟
أوراس : ربما شهر .
لودوييسكا : أوه ! شهر ... بل هو الأبد ...
دينى : يا للشباب السعيد ! ما الذى لا نقبله نظير شهر من
السعادة .
كلوريس : وأنا أيضا ،أنا شابة . ولم أتمتع به ،لم أتمتع به ... أوه ،
بل إنتى ما كنت لأطلب شهرا كاملا ... ولكن يوما ، يوما
من السعادة !
صوفى : هدى من روعك ، يا حبيبتي ، فستتمتعين به ، وبكثير
غيره ؛ فالحياة أمامك لاتزال طويلة .
كلوريس : كلا ، كلا ، الحياة قصيرة .
صوفى : إن عمرى ضعف عمرك .
كلوريس : نعم ، على عهدك ... أسفة ! ... ولكن ، اليوم ، لم تعد
الحال كما كانت .
فمن ذا يضمن الغد ؟
لودوييسكا : أنا . أضمن اليوم .
(تنظر إلى أوراس)
أوراس : (وهو بالقرب منها ، يتناول يدها ، ويهمس لها) هذه الليلة ...
(كلوريس ، وقد سمعت الجملة ، تحدجها بنظرة حاقدة)
لودوييسكا : (تلاحظ ذلك فتقبل باسمة نحو كلوريس الجالسة فوق
ركبتى صوفى وتحاول أن تداعبها) حبيبتي الجميلة !

كلوريس : (وهى تخلص نفسها فى غضب) كلا ، لا تلمسينى
(تفر إلى الحديقة)

لودويسكا : ماذا بها ؟

دينى : (بشىء من العتاب) أنت تعرفين السبب جيدا .
أوراس : إنها تحسدنا .

دينى : إنها ليست الوحيدة .

صوفى : (مبتسمة لدينى و أوراس) اذهبا لمواساتها !

(مخاطبة لودويسكا) كلا ، أنت لا ، أيتها الأنانية ، ابقى هنا !

(دينى وأوراس يخرجان . تبقى صوفى و لودويسكا

وحدهما . لودويسكا ضاحكة ، سعيدة ، تلقى بنفسها

على ركبتى صوفى الجالسة وتضمها بين ذراعيها)

لودويسكا : نعم ، أنا كذلك ، أنانية ، أنانية ، أنانية ! ولا أحب
ألا أن أكون كذلك ، عندما يكون جميلا أن نكون كذلك !
عنفينى ! عنفينى !

صوفى : (مبتسمة) لن يجدى ذلك شيئا .

لودويسكا : أوه ! أجل ! إن هذا يزيد من متعتى ... كلا ، لا تحقدى

على ! فلطالما ، لطالما قاسيت ! ... زوجى ، هكتورى ،

ينتزعها ، من بين يدى الموت اللودا ... آه ! كم بكيت !

صوفى : متى فقدته ؟

لودويسكا : (ببساطة) قبل ستة ... كلا ، قبل خمسة شهور ...

أجل ، كان ذلك فى أكتوبر . وأصبحت لا أطيق الحياة .

لقد انتهت كل شىء بالنسبة لى ... وهاك كل شىء قد بدأ ...

(مستدركة) كل شىء قد بدأ من جديد ... هيكتور

المسكين ! ... أوراس العزيز ! ...

صوفى : كل أبطال العصور القديمة ...

لودوييسكا : أرجوك أن تسكتى ! ... يبدو لى أن الأمر يختلف ...

إننى أمنعك من السخرية .

صوفى : إننى لا أسخر ...

لودوييسكا : إننى على ثقة تماما من أن هكتور يستمتع معى ...

تبتسمين ؟

صوفى : وأنت أيضا .

لودوييسكا : كلا ... نعم ... أه ! كم يلذ لنا أن نكذب على أنفسنا ، إن

حاجتى إلى التمتع بمثل رغبتى فى أن يتمتع هو أيضا .

إننى أعلم تماما أنه لم يعد يشعر بشىء. ولكن ، أنا ، أنا

التي أحس ، هل أنا مخطئة ، قولى ، هل أخطئ فى حقه ،

إذا كنت أريد أن أتمتع بهذه البقية من عمرى التي لازلت

أحياها ؟ هل تظنين أنه يمكن أن يبغضنى ؟ كلا ، كلا ،

يجب أن يسعد لما يسعدنى . أليس كذلك ؟ مادام كان

يحببنى ! ... ثم مادام قد مات ! ... مسكين يا هكتور ! ...

أه ! الحياة ، الحياة ، شىء جميل !

صوفى : هناك حياة وحياة . الحياة بالنسبة لك ، هى الحب .

لودوييسكا : (فى الحوار الودى بين المرأتين ، يوجد - من جانب لودوييسكا

، عندما تعجب بحكمة صوفى - نرة من السخرية ، ومن جانب

صوفى ، نرة من القنوط الباسم ، وهى تتقبل شأها)

ليس هناك حياة إلا بالحب ... تبتسمين ثانية
يا صديقتي العاقلة ، أجل ، فأنت ، أنت فوق مستوى
ضعفنا . إنك تعيشين حياة جميلة ، واضحة تماما ،
متراصة تماما . ولقد عرفت كيف تحمينها من العواصف
الاجتماعية ومن اضطرابات القلب . أنت محظوظة . إنك
تتمتعين برباط زوجي لا تعكره سحب ، لم تنل منه
نزوات العواطف أبدا ، يسوده الصفاء ويكاد يكون
نبويا ، - بصحبة رجل عاقل - مثلك - رجل مرموق ،
محترم ، تربطك به ، منذ الطفولة ، روابط حنان ورع ،
سما صافية . أه ! كم أعجب به !

صوفى : (مبتسمة) ولكنك قد لا تنزلين عنه مقابل سحابة من
سحب .

لودوييسكا : مقابل حبيبي أوراس ؟ كلا ، كلا ! لا أنزل عنه . لكل
مذا نصيبها ! لكن نصيبك أجمل .

صوفى : إنه أشبه بتلك النساء الجميلات ، اللاتي يثرن إعجاب
الجميع . لكننا نحب غيرهن .

لودوييسكا : اسكتي من فضلك ! إنما نتمنى أن نكون أنت . لكن
ليس هناك سواك من يستطيع أن يكون أنت ...

صوفى : (مبتسمة) هذا بالضبط ما قلته الآن !

لودوييسكا : (التي لم تسمع) ... الصديقة ، موضع سر الرجل العظيم ،
بل لمهمته ، الرجل العظيم الذي كان صديقا لفولتير ،
وهو الآن صديق " كارنو "

ديونيسي : (الذى دخل منذ قليل وسمع الجملة الأخيرة) الذى كان مستشار دائرة المعارف ، وهو الآن مستشار اللجنة العليا . عالم . محب للإنسانية ، فيلسوف ، عضو فى مجمع اللغة ولجنة الميثاق ... مجد تأسس فى ظل الملك الأسبق ، وبقي ثابتا بعد سقوط الملوك ، ويرى النظم تتوالى غارضا نفسه عليها جميعا ، وظل حصينا وسط الأحزاب الهائجة التى تمزق بعضها

صوفى : يا أصدقائى ، إنكم لا تدرون على أية أسس واهية يقوم هذا الأمان

ديونيسي : على أية حال فتحن نعلم أنه ليس أناانيا . فكم من مرة خدمنا مركز جيروم كورفوازييه " تارة ليخفف عنا جانبا من بؤسنا وتارة ، ليشمل بحمايته الأصدقاء المهترئين فى الساعات الحرجة

لودويجسكا : ونحن نعلم أيضا لمن ندين بهذه الحماية ، لفريقة المكممة

ديونيسي . صوفى مثل القديسة صوفى ، اسم على مسمى ^(١)

لودويجسكا : الحورية الضمينة

ديونيسي : ناك الذى نستطيع ان نحصل منه على كل شئ .

لودويجسكا . وما معه

١- لودويجسكا : تولى القديسة صوفى

دينى : وكيف لا نكون معه ؟ لقد ظل "چيروم كورفوازييه" ، فى هذا العصر المجنون ، الرجل الوحيد الذى لا يزال يمارس دورا ملطفا ، لدى سادة الحياة والموت .

صوفى : واسفاه ! إن هذا الدور ضعيف ، ويزداد ضعفه يوما بعد يوم .

لودوييسكا : (بشيء من الحسد) مهما يحدث ، فأنت على الأقل فى أمان ، لا شيء يمكن أن يصيبك .

كلوريس : (راجعة مع أوراس . لقد نسيت تماما الحزن الذى انتابها قبل قليل)

أوه ! البؤساء ! البؤساء !

صوفى : ماذا إذن ؟

كلوريس : ذلك الذى عرفناه الآن .

(تقدم جريدة إلى صوفى)

صوفى : صحيفة أخرى من تلك الصحف المخيفة . كلا . لا يجب أن نقرأ شيئا بعد الآن !

لودوييسكا : أيتها الآمنة المطمئنة ، إننا لا نملك مثلك السبب الذى لا يجعلنا نقرأ . نحن نعرف أنه شيء مؤلم . ولذلك فنحن نمارسه .

(تناولت الجريدة)

كلوريس : كلا ، اسمعوا ! إنه لشيء فظيع ! بيتيون ، وبوزو ، وفاليه ...

صوفى : (فى هلع ، ولكن بصوت متماسك) فاليه ! ...

(نهضت من فوق مقعدها ، لا أحد من الآخرين يعير
حركتها أو صرختها أى انتباه ، الجميع ملتفون حول
لودوييسكا التى تمسك بالجريدة)

كلوريس : فى بورديو ، وجدوهم ، قتلى ، وقد التهمت الذئاب
أنصافهم ...

(وسط الاضطراب العام ، لا أحد يلمح اضطراب صوفى ،
التي تسقط جالسة ، دون حركة ، ودون كلمة . تغطى
وجهها بيديها ولا تتحرك)

أوراس : (يوجز ما قرأه ، لودوييسكا وكلوريس ودينى
يميلون معه فى لهفة على الجريدة) منذ شهر ، وهم
يطاردونهم . والكلاب التى أطلقوها وراء الأثر قادتهم
إلى كهف ، فى محجر مهجور . وقد تعرفوا بيتيون وقد
برزت أحشاؤه من بطنه ...

دينى : ملك باريس القديم ، عمدتنا ، ورئيس المجلس الذى
كانوا يتملقونه ...

لودوييسكا : (تقرأ) والآخر ... وقد أكل وجهه ... أوه ! أعوذ بالله ...
(تعطى الجريدة للآخرين)

أوراس : (مواصلا) ... وانتزع أنفه ، وشفتيه ... كانوا يشكون فى
الأمر ... قالوا : إنه بوزو ... ولكن الأوراق التى كانت فوق
الجنة كانت تقول : إنه فالليه .

كلوريس : مساكين !

دينى : لا تسرفى فى رثائهم ! لقد وجدوا طريقة للهرب من
المقصلة التى صعد فوقها فى الأسبوع الماضى
أصدقاءهم ومنهم " باربارو " و " جوديه "

لودويسكا : نعم ... ولكن كم تعين عليهم أن يتعذبوا قبل ذلك !

أوراس : وبعد ، فالأمر سيان ..

دينى : هكذا كان من المفروض أن ينتهى ذلك ... ذلك التمرد
المجنون ...

كلوريس : ولكنك كنت تؤيدهم قبل فترة قصيرة .

دينى : أبدا !

كلوريس : لقد سمعتك تقول ...

دينى : أبدا !

كلوريس : كنت تعجب بهم جميعا

لودويسكا : اسكتى ، أيتها الصغيرة !

(صمت قصير)

دينى : (وهو يسعل) لقد خدعوا الجميع . كنا نظنهم الجانب
الاقوى . لماذا نشور إذا كنا نمثل الجانب الأضعف ؟

(صمت . صوفى تكشف عن وجهها وتظل ثابتة فى

كرسيها ، ناظرة أمامها ، وقد ذهب عنها أنفعالها ،

بإبتسامة آلية جامدة)

كلوريس : فالليه المسكين الصغير ! لم يكن بلغ الثلاثين من عمره !

لودويسكا : لقد رقصت معه ، فى ربيع ذلك العام ... لقد كان من

أصدقائك أيضا يا صوفى

(صوفى لا تجيب ولا تتحرك . لودوييسكا من الحماس

بحيث لم تلاحظ ذلك : تواصل كلامها)

لودوييسكا : راقص ساحر فاتن !

كلوريس : وما كان أبرعه فى إلقاء أشعار فلورين !

لودوييسكا : كان كذلك شجاعا بأسلاً . إننى أراه على رأس كنيبه ،

وهو يسير ، وقد تناثر شعره فى الهواء ، بعد مهاجمة

قصر التويلرى .

كلوريس : كانت متعة لنا أن نذهب لنراه وهو يخطب فوق منصة

المجلس .

أوراس : كان ساخرا وعنيفا . كانت كلماته تتسم بدهاء رهيب ،

وكانت تجعل عينى روببسيير تكثر من الرمش خلف

نظارته القديمة . عندما كان يخطب أحد أعدائه كنت

المنصات والصالة تموج بالضحك والصراخ ، تحت وقع

القذيفة.

لودوييسكا : أما أنا ، فقد كنت أنظر إلى شفتيه

أوراس : لودوييسكا ، إننى أشعر بالغيرة .

دينى : الغيرة ؟ من شفتيه المنزوعتين ؟

لودوييسكا : أه ! يا للفظاعة !... ولكن لماذا ، لماذا راح يحترق بنار

السياسة !

أوراس : إن لدينا مثل طموحه ...

لودوييسكا : الحب ، أليس أفضل من ذلك ؟

أوراس : إننا نريد أن ننقذ الوطن .

لودوييسكا : إننى أريد أن تنقذنى أولاً !... يجب على المرء أن ينقذ من يجب .

دينى : بل يجب أولاً أن ينقذ المرء نفسه ...

(يصبحون دهشة)

أجل ، تدهشون !... سوف ترون ، أيها الشبان ، حينما تصبحون فى مثل سنى!... الطموح والحب ، شىء جميل ، ولكنه يزول ، إن الذى يبقى حتى النهاية ، هو الفرد نفسه . والمحافظة عليه مهمة مقدسة .

أوراس : أجل ، أن ينجح الإنسان فى أن يعيش أمر أصبح فى أيامنا مهنة صعبة . ولن يتوافر لنا الوقت ، نحن أيضا لكى نتعلم ذلك .

كلوريس : ولكننى أريد ذلك ، أنا ، أريد ذلك ! (مخاطبة دينى) علمنى السر ...

دينى : السر هو ألا نكثر . يجب على المرء يا ابنتى أن يختار ، إما أن يرى غيره يموت وإما أن يموت هو .

كلوريس : إننى لا أريد أن أموت !

(الشلة الصغيرة : كلوريس ودينى وأوراس ، ابتعدت)

وهى تتحدث وتضحك. تبقى لودوييسكا وحدها بالقرب من صوفى . المرأتان موجودتان فى الركن المحجوب عن الأنظار المتجه من الحديقة ، بين المكتب والدرابزين)

لودوييسكا : صوفى أيتها الصامته ، إنك تتركيننا نتحدث ، ونتحدث ، ونضطرب ، وأنت ، أنت تظلين مكانك ، متفرجة عطوفة

وغريبة بعض الشيء . ثابتة ، متكئة وكأنك متكئة على
شرفتك ، تتطلعين إلى انفعالاتنا من بعيد ، بعينيك
الجميلتين الرماديتين وابتسامتك الصامتة . كم أنت
هادئة ، هادئة !

صوفى : (نون أن تتحرك ، نون أن ترفع صوتها) أجل ، الهدوء ،
هدوء وألم ليس له من قرار .

لودوييسكا : (مأخوذة) صوفى !...

(صمت)

ماذا تقولين ؟...

(صمت)

ماذا قلت ؟...

(صوفى لا تجيب ، لا تأتى أية حركة . لكن لودوييسكا
التي مالت عليها لتتفرسها ، تندفع نحوها بشدة)

لودوييسكا : صديقتى ، تبكين !

(صوفى تضع يدها فوق فمها ، لتشير إلى لودوييسكا بالسكوت)
(صمت)

(صوفى تبحث عن منديلها لتجفف دموعها . لودوييسكا
تتناول منديلها ، وبرقة ، تجفف عيني صوفى)

لودوييسكا : هل تتألمين ؟ أنت يا من تبدين للجميع صورة للهناء ! ...
أنت يا من تملكين كل شيء . كل الخير : الحب ،
والشهرة ، والسلطان ، والإيمان بهذه الثورة ، التي
ساهمت وزوجك فى إشعالها ...

صوفى : (متماسكه) ليس بى شىء .

تودويسكا : كلا ، كلا ! لا أصدقك !

(صوفى تشير إليها بالسكون ، دينى بايو يقترب)

دينى : أليس من المفروض أن يعود جيروم بعد قليل من المجلس ؟

صوفى : (تستعيد لهجة المحادثة) لا يمكننا بأى حال أن نتنبأ

بالبفترة التى تستغرقها الجلسة . لقد كنت فى بعض

الأحيان أنتظره طوال الليل ، حتى الفجر .

دينى : ومع ذلك فلا يلوح اليوم أن أحداثا خطيرة ..

صوفى : فى أيامنا هذه ، من يستطيع أن يتنبأ بما سيجد قبل

وقوعه بساعة واحدة .

(فى الشارع خلف جدار الحديقة ، يسمع مرور عوكب ،

وموسيقى وزامير وطبول ، صوت عربات ، وخيول تعوى ،

وصياح جماهير)

كلوريس : ماذا هناك ثانية ؟

أوراس : إنها المجموعة الجديدة التى تمتل طعام المقصلة .

(يأتى حركة قطع الرقبة)

كلوريس : (وهى تسد أذنيها) لا أريد أن أسمع ...

(ترفع يديها عن أذنيها ، وتجرى ناحية الحديقة)

أوراس ، هيا نشاهدكم :

(تخرج مع أوراس)

دينى : إذن فالعربة تمر من هنا ، الآن ؟

صوفى : أجل ، إن شارع فلورنتان ، فى هذه الأيام ، منزوع البلاط .

(دينى يخرج ، يدفعه الفضول ، فى إثر الاثنين الآخرين)

لودوييسكا : (وقد بقيت وحدها بالقرب من صوفى)

صوفى ، إننى لا أصدقك ! كنت تقولين منذ يوم

صوفى : دعينا من ذلك !

لودوييسكا : كلا ، كلا ، أرجوك ! اعتبرينى صديقة لـ

(صوفى تشير لها نحو باب الحديقة)

لودوييسكا : أجل ، هذه الضوضاء البغيضة ..

(تسرع بفتح الباب وتعود ، أصوات لحن السير السريع

والصياحات لاتزال تصل الأذان ولكنها أصبحت خافتة)

لودوييسكا : قولى ! أخبرينى ! (تتناول يديها وتقبلها) صوفى ،

أنت ظالمة ، ألم تحصلى على نصيبك الجدير من

السعادة ؟ وما من شئ ، عكّر صفو زواجك أو حيد

صوفى : (بمرارة) حبى ؟ لم يحببنى أحد ، لقد حملت شبابى ،

وقوة أملى ، وحاجنى إلى وهب نفسى إلى رجز كنت

أحترمه ، ولا زلت أحترمه وأعجب به

فلماذا صنع ذلك ؟ لقد ضحى بى فى سبيل عقيدة

لودوييسكا : أولا تؤمنين بها أنت ، أيضا !

صوفى : إيه ! وقيم تهمنى عقيدتهم ؟ إذا كنت أحبها ، إذا كنت

أعتقد أننى أحبها ، فذلك لأنهم كانوا يحبونها هم ،

إنهم هم الذين كنت أحبهم من حلالها - فمأذا جعوت

منهم ومضى

لودوييسكا : (التى تحاول أن تفهم) تقوير هم ؟

صوفى : (بحدة) أقول إننى أكره هذه العقيدة ، أبغضها ...
اسمعى ! ...

(يسمع على الرغم من الباب المقفول الذى يحد من شدة
الضوضاء جلبة صائحين وضحكات عنيفة . ثم تخف
الضوضاء ، ويخيم السكون من جديد ، وتستأنف صوفى ،
بحقد مكظوم ، وبصوت خفيض :)

صوفى : إننى أكرهها ، كل هذه العقائد ، الواهية ،
المهووسة التى يتهاافت عليها الرجال ، كما يتهافتون
على الرذيلة التى تدمر الحياة . إن الحياة ، هنا ،
بالقرب منا ، فى منتهى البساطة ، فى منتهى الوداعة !
ليس علينا إلا أن ننحنى لقطفها . ولقد أصبحوا عاجزين
عن تذوقها . إن عقيدتهم هوس ، سم زعاف يفرقهم فى
جنون مؤقت قاصف مميت . لقد ضحوا بى فى سبيلها ...
أه ! وهذا أيضا ما كان يهمنى ! ...

لودوييسكا : (نظرتها معلقة بشفتى صوفى) ماذا إذن ؟

صوفى : لقد ضحوا بأنفسهم .

لودوييسكا : كيف ! زوجك ؟

صوفى : كلا ، ليس هو .

لودوييسكا : من إذن ؟

صوفى : (وكأنها مكرهه ، تدفعها العاطفة) لقد سمعت ... قبل

قليل ... هؤلاء البؤساء ... هؤلاء الذين حكموا عليهم بالنفى
من البلاد ...

لودوييسكا : (كاتمة صرخة) فاليه !
(تنهض صوفى لتهرب من الإجابة ، فى هذه اللحظة ،
يفتح باب الحديقة من جديد وتدخل كلوريس فجأة ،
وتصيح :)

كلوريس : أه ! خمنى ، خمنى ، من الذى رأيتَه فوق العربة !
(صوفى تلتفت ، ولودوييسكا تبعد كلوريس بحركة)
كلوريس : (فى غاية التأثر) كلا ! خمنى ، خمنى ، يقطعون رقبة
من الآن ! ...

العقل ، عقلهم فى سان أوستاش ، عقلهم المفكر الذى
كانوا يتوجهون إليه بصلواتهم ... لقد عرفته ... العقل ،
العقل ! ...

دينسى : (بلهجة فلسفية) منذ زمن بعيد ، يا ابنتى راح العقل
وانصرف ! ...

كلوريس : أوه ! هلا سكتُ ، بكلماتك المموجة !
(يواصِلان التحدث فى أقصى حجرة الاستقبال ، إلى
اليسار ، بالقرب من باب الحديقة كأنما قد شعرا
بأنهما يفسدان على صوفى ولودوييسكا حديثهما . هاتان
الأخيرتان انسحبتا إلى الركن المقابل ، إلى اليمين
بالقرب من الدرابزين محتميتين بالمعزف الكبير الذى
يجبب عنهما رؤية الباب الأيمن فوق السلم . لكنهما
جالستان أمام المرأة الموجودة على الجدار الأيسر ،
والتي ينعكس عليها هذا الباب)

لودوييسكا : (تناولت يدى صوفى ولا تتركها رغم محاولات صوفى للتخلص)

(بصوت خفيض واحوح) إنه فالليه ؟ ... صوفى ، أخبرينى ، أهو فالليه ؟

صوفى : (جالسة ، ويداها فى يدى الأخرى ، تحول رأسها بآلم) أه ! لا تطعنينى مرة أخرى ، باسمه !

لودوييسكا : (تاركة يدى صوفى ، وقد فاضت بها الشفقة) أوه ! حبيبتي المسكينة ! هل كان بوسعى أن أتصور ؟ ... كم أرثى لك ! شيء فظيع ! .. ونحن الذين كنا ، قبل قليل ، نغمد الخنجر فى قلبك دون أن نعلم ، أسفة ، سامحينى ! ولكن من كان يخطر بباله ؟ أجل ، لقد لاحظت منذ وقت قريب .

صوفى : (بصوت خفيض عاطفى) كنت أحبه . وكان يحبني . كان كل حياتي . وكنت كل حياته ... ذلك ما كنت أعتقد ، على الأقل . ولكن ذلك لم يكن صحيحا ، مادام قد راح ليموت من أجل تلك العقيدة المشنومة ... أه ! إذا كان قد ضحى بنفسه فى سبيل تلك العقيدة ، أفلم أضح أنا أيضا ، ألم أضح بنفسى أيضا فى سبيل عقيدة أخرى ؟

لودوييسكا : أية عقيدة أخرى ، يا صوفى ؟

صوفى : (بحقد) ذلك الشرف العائلى ، الذى حافظت عليه دائما

لودوييسكا : صوفى ، أخبرينى بكل شيء ! ... ألم تكونا حبيبتين سعد كل منكما الآخر ؟

جيسري : (يا نفعنا ستراييد) نعم لم تكن . وبعدها موسى سبب
 . سقاسي اليوم . بعثا كان ينوون الى . وبعثا كان قلبي
 . دفعني الى التسليم له . كانت فكره . بيوم راحهم الذي
 . خرافة الوفاء التي تعتبر مائة أكثر . منها تعقلا
 . قلب . لك الذي تسميه فضية . ذلك الصم العبود
 . يد ميون . لقد ضحبت في سبيله كل شيء . بكل ما
 . كنت أحب في هذه الدنيا . ولأن . لقد مات . والآن
 . فقدت . لماذا أفاد ذلك ؟ ماذا ؟

(الآن ، بوييسكا هي التي تحاول تهدئة صوفي ،
 التي راح صوتها يكتسب نبرات ألم عاطفي . تشير إليها
 باتخاذ الحذر . لكن بقية الشلة التي راحت في محادثة
 صاخبة . لا يبدو أنها تلاحظ شيئا)

صوفي تزم الصمت . بوييسكا تحدثها بصوت
 خفيض . ثم نعد نسمع سوى أصوات وضحكات الشلة
 الصغيرة المكونة من الأصدقاء الثلاثة الواقفين في الزاوية
 اليسرى . حجرة الاستقبال بالذرب من أنفاذة لحلة على
 الحديقة .

المشهد الثانى

(على حين بفتة ، يحل صمت أشبه بالموت ، الباب المفضى إلى السلم فتح منذ لحظة ، فى مواجهة الأصدقاء الثلاثة (دينى وأراس وكوريس) . لكن صوفى ولودوييسكا اللتين توليانه ظهريهما واللتين يججبهما المعزف ، لا تريان شيئا مما يحدث)

رجل دخل . فى زى الشعب ، جاكونى ، الشريط فى قبعته . يغطيه الوحل، يبدو عنيفا أشعث . إنه شاب ، نحيف ، قوى ، ذو عينين متقدتين . يبدو أن هناك من يطارده . فتح الباب بقوة ، وبمجرد أن دخل أعاد غلقه بقوة أيضا ولكن بلا ضوضاء ، وهو يرصد سكون السلم . ثم يعود ، ويستند إلى الباب فى مواجهة الشلة الصغيرة التى رآته وهو يدخل . الثلاثة تأخذهم الدهشة . تصدر عنهم حركة فزع ، ولكنهم من الانفعال بحيث لا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة .

فى هذه اللحظة ، صوفى و لودوييسكا متحصنتان فى صمت . لودوييسكا تلتفت ناحية الشلة جهة اليسار فترى ، دون أن تدرك ، الوجوه مضطربة . صوفى ، وهى ترفع نظراتها أليا إلى المرأة الكبيرة ، فوق المدفأة ، تلمح فيها الصورة المعكوسة للرجل المستند على الباب ، تنهض مطلقة صرخة لم تُحظ وسط الاضطراب العام . ففى اللحظة نفسها ...)

دينى وأوراس وكلوريس (يطلقون صرخة) : فإليهِ !
فإليهِ : (الذى لم يكن ينتظر أن يجدهم مجتمعين) دى بايو
... بوشيه ... كلوريس ... أصدافى ...

(صوته مبجوح من غرط التعب والانفعال . يتجه نحوهم
بقوة ، ويمد لهم يده فيتناولونها بارتباك وحرص . لكن
سنيين تبحثان ، وراهم ، وحولهم ، داخل حجرة
الاستقبال ، عن تلك التى لم يرها . وفجأة يراها ،
الباقى لم يعد له وجود بالنسبة له . صوفى واقفة ،
تستد بيديهما من الخلف على المعزف ، تنظر إليه ،
عينها متسعان من الانفعال ، والخوف ، والسعادة .
لم يعودا يفكران فى الآخرين ، فإليهِ يسرع نحوها ،
بأسط لها ذراعيه . فتقبل نحوه .

فإليهِ : صوفى !

صوفى : على قيد الحياة !

(يلقى بنفسه عند قدميها ، يضم ساقها ، يقبل ركبتيها
من خلال ثوبها ، يقبل قدميها ، ثم ينتصب ، ويسند وهو
راكع ، خده ، وعينيهِ وفمه على جسم المحبوبة التى
لا تقاوم ، بل تداعب بيدها وجه الحبيب)

فإليهِ : إنها هى ! لقد وجدتها ! .. إنها بين يدي ، أمسكها ،
إنها بين يدي !

صوفى : (بون أن تخلص نفسها ، تتناول رأسه ، تتعطف على
وجهه ، تسر إليه ، بصوت خفيض ، بحنان) انهض !

(فالليه ينهض ، عيناه معلقتان بصوفى ، ولكن ، لا يكاد

يقف ، حتى يترنح ، فتسندده صوفى)

صوفى : سيذهار ! .. أوراس ! لودوييسكا ! ... استند على

يا حبيبى ! .. ماذا بك ؟

استند جيداً ! .. تعال ! .. هنا ! .. فوق هذا الكرسي .

(تقوده إلى أحد الكراسى ، فى ركن الحجرة ، إلى

اليسار ، قرب الدرايزين ، فالليه جالس ، فى مواجهة

الجمهور وقد أدار ظهره لأقصى المسرح . لا هو

ولا صوفى المنحنية عليه ، يريان ما يحدث خلفهما :

دينى بايو ، أولاً ، يختفى ، تتبعه بسرعة كلوريس ، ثم

أوراس بوشيه الذى راح ، من مدخل باب السلم ،

يشير إلى لودوييسكا لكى تلحق بهم . لودوييسكا ،

متردة ومتائرة ، تنظر بالتناوب إلى فالليه الذى تسنده

صوفى وإلى أوراس . تقرر آخر الأمر ، وتجتاز الحجرة ،

لكى تأخذ وشاحها الموضوع فوق أحد الكراسى فى أقصى

المسرح إلى اليسار . كل هذا يجرى خلال الفترة

القصيرة التى استغرقتها صوفى فى توصيل فالليه إلى

الكرسي وإجلاسه عليه)

صوفى : (مواصلة حديثها مع فالليه دون أن تنتظر خلفها) انك

ميت من التعب

تعد ! ألم تأكل ! .. كلوريس ! لودوييسكا ! ساعدونى

اصدقائي ، حضروا شبتنا من القهوة ! .. هنا ! ..

فنجانا من فوق المنضدة ... (تدهش للصمت فتلتفت)
أين أنتم ؟ ... يا أصدقائي ...

فإليها : (ثابتا ، جالسا فوق الكرسي ، دون أن يرى ما يجرى ،
لا يجد مشقة فى فهم الموقف) ألا تعلمين أننى خطير
بالنسبة لكل من يقربنى ؟

(لودوييسكا ، الوحيدة من بين الأصدقاء الثلاثة المتأخرة
بسبب البحث عن وشاحها الذى اضطرها إلى اجتياز
الحجرة مرتين ، كانت لا تزال عند عتبة الباب عندما
التفتت صوفى ولحقتها)

صوفى : (ساخطة) لودوييسكا !

(لودوييسكا ، متأثرة وخجلة من النداء ، تتوقف ، تلتفت ،
تتردد ، ترجع بضع خطوات ناحية صوفى التى تترك
فأليه وتتقدم نحوها ، تهمس لها فى اضطراب)

لودوييسكا : (بسرعة وبصوت يكاد يكون خفيا) أسفة ...
أسفة ... ، هذا جبن ، أعرف ذلك ... لكن اليوم ... اليوم ،
بخاصة ، أريد أن أعيش ! (الكلمة الأخيرة لا تكاد
تسمع . تخرج مهرولة)

(صوفى ، بعد لحظة ، تعود إلى نفسها ، تذهب وتأخذ
من فوق المنضدة فنجانا ، تصب فيه القهوة ، وتحمله
إلى فأليه مع شئ من الخبز)

فإليها : (لم يأت حركة) عليك أن تعجبى بقدرتى وسلطانى !
حيثما أدخل ، يدخل الخوف . هذا البأس (يشير إلى

نفسه) ، الذى لا يقوى حتى على الوقوف على قدميه ،
يفر ، ويفرون منه . هاهى ذى خمسة أشهر وأنا أهيم
على وجهى خلال فرنسا كلها ، مطرودا من كل سكن .
كنا فى " نور نونى " سبعة رجال محكوما عليهم : بيتيون ،
وباربـارو ، وبوزو ، وجاديه ، وسال وفالادى . طرـقنا
أبواب ثلاثين صديقا . لم يفتح لنا واحد منهم . كنا نجر
فى أقدامنا شبح المقصلة . كانوا يصابون بالرعب لرؤيتنا ،
نحن وهى ، حتى إن واحدا دخلنا عنده صدفة ، أراد أن
يقتلنا ، ولما لم يكن هو الأقوى ، فقد هددنا ، إذا بقينا ،
أن يقتل نفسه .

(تندى عنه ضحكة عنيفة مريرة)

وذات ليلة ، سرنا تحت وابل الأمطار ، خلال الحقول
المحرثة . إذ كنا قد اضطررنا إلى مغادرة المحاجر التى
كنا نأوى إليها . بعد أن أبلغوا عن وجودنا فيها . أمل
أخير كان يقودنا إلى عائلة صديقة لعائلتى منذ القدم :
كنت ، بصفتى محاميا ، قد أنقذت شرف أحد أفراد هذه
العائلة فى قضية جنائية . كان الليل حالكا ، فضللنا
الطريق . كنا نغوص فى الوحل حتى أفخاذنا . فالتوت
ساقى . وبعد ست ساعات من السير ، وصلنا ،
منهكين . فطرقنا الباب . ومضت نصف ساعة من
الانتظار . تحت وابل المطر والريح الباردة ، كانت
أسناننا تصطك . وانفرج الباب . فصرحت باسمى .

فأغلق الباب من جديد . ومضت نصف ساعة أخرى
انتابتنى رعدة وفقدت الوعي ... وبعد ساعة من المداولة ،
أجابوا خائفين بأنهم لا يستطيعون استقبالنا . مكثت
مترددا فى وحل الطريق . ومن خلال ثقب الباب صاح
رفاقى قائلين . " ساعة فقط ، سقف نأوى تحته ! "
فكان الرد : " لا ! " فعادوا يقولون : " على الأقل كوبا
من الماء وقليل من الخل ! " فكان الرد أيضا : " لا ! "
.. فاستأنفنا هربنا ... ألا لعنة الله على الإنسان !

(صوفى ، واقفة بالقرب من فالليه ، تجمدها شفقة أليمة ،
تنصت له . فالليه ، الذى ألقى هذا السرد ، بصوت منقبض
تقطعه انفعالات حادة مكتومة ، ورأسه ثقيل ، يثبت نظره
كنيية نحو الأرضية عند قدميه ، يلتفت بشدة ناحية صوفى ،
ويسألها بصوت مبجوح مشوب بالعاطفة :)
وأنت ، ألا تطردينى ؟

صوفى : (مائلة عليه ، فى حنان وتقدم له الفنجان) حبيبى
المسكين ، خذ ! لقد أضناك التعب !

فالليه : (دون أن يتناول الفنجان ، باللهجة اللاذعة نفسها) إننى
أجلب الموت .
اطردونى إذن !

صوفى : (ترفع الفنجان إلى شفثيه بينما هو يشرب) اشرب !
(يشرب بنهم ، ويريد أن يتكلم بعد ذلك)
لا تتكلم ! ... كل ! أولا ، استرح .

(لحظات صمت ، ثم أثنائها تنصرف صرعى إلى خدمته ،
تراه ياكل ، شام سفيق ، فالليه يتناول يدها ، يقبلها
طويلا ، لا تحاول هي أن تسحبها ، تنسم في حزن وفي
حزان)

صوفي : (بعد لحظة ، تضع يدها فوق رأس فالليه) كيف جئت ؟
كيف استطعت أن تصل إلى هنا ؟

فالليه : اجلسي أمامي . هذا أردت مني أن اقوى على الإجابة !
دعيني أراك ... قريبا ... هنا ، اجلسي !

(يجلسها أمامه ، ويتناول بيدها في أثناء إلقائه /
أوه آيتها الأنثى ! إنها هي ! ثم بعد تلك الصورة التي
يستحيل إدراكها ، والتي نتراقص أمام شطوطي عند
شهور عديده ... إنها هي . وبنتي أمسك بها ، انني اشعر
براحة يديها في راسي ، ولست اصابعها بحرارة
جسدها تدوب في حرارة جسدي . خلا ، لا تنزعجهما
منى ! لا تدعني أسقط من جديد في الهوة التي أخرج
منها ! استقطبي بين يديك . هما اللتان أفتد ...)

صوفي : ليت أن الله يهبهما هذه القدرة ... حبيبي ، قص علي
نستفد من اللحظات .

كيف نجوت ؟

فالليه : حينما منع عنا جبن الاصدقاء الرهيب دلو الماء
الذي لا نمنعه كلبا جريحا يتضرع إليك . أعادت شدة
اليأس إلى أرواحنا الحياة من جديد . أعاد إلى العيط

شعورى وقوتى . فنهضت ، صائحا : " فلنفر ، فلنفر من الناس ، فلنفر إلى المقابر ! ولكن هل نظل نخفى أنفسنا عن أعين هذا الجنس القذر ! إلى الأمام ! فلنسر فوق أجسادهم ، أو فلنمت ! لا حل وسطاً ! " وعدنا إلى عرض الطريق . وهناك ، على الأضواء الخافتة للنهار الوليد وتحت المطر ، قبلت أصدقائى ، وقاسمتهم شيئا من طعامى ، وتجردت من صرة الثياب التى أحملها ، من كل ما يمكن أن يعوقنى فى سيرى : لأننى كنت قد عزمت على العودة إلى باريس . ظننى أصدقائى مجنوننا ، ولكن ما من شيء كان يستطيع أن يززع تصميمى ، ولم يحاولوا على الإطلاق . لأننا ، عندما نفقد كل شيء ، فماذا نتدبر ؟ لم يكن الأمر يتعلق بحياتى . كان المهم أن أراك مرة أخرى .

صوفى : (مأخوذة) أنا !

فالييه : أنت . كل ما أحب . أنت ... وأنت تعلمين ذلك تماما ! لا داعى أن نمثل مهزلة المجتمع ! فلم يعد هناك مجتمع . لم يعد هناك شيء . سواك . أنت وأنا ... فى عرض ذلك الطريق الأصفر ، الموحل ، الذى كان يمتد مستقيما يتصاعد منه الضباب ، صورة تلك المرأة - أنت - برزت مثل البرق . وفجأة ، توهجت أنا مثل عود من الهشيم . واختفى كل ما عداك . فكرة واحدة استبدت بى وهى أن أراك مرة أخرى قبل العدم الأبدى ! ... كانت هذه الفكرة

بالنسبة لى جرعة من نبيذ يكوى : أسكرتنى وأصبحت مخدرا ، مبللا بالمطر ومرتعدا من أثر الحمى ، متورد الساقين ، وبعد أن كنت قبل لحظة لا أكاد أستطيع أن أضع باطن قدمى على الأرض ، وجدتنى أنهض من فورى ، ووجدتنى مدفوعا إلى الإمام . وعلى الرغم من ثقل جسدى ، أخذته على كتفى لكى أحمله لك . كنت أقول فى نفسى : " إذا سقطت ، فلتعلم على الأقل ، أنه عند سقوطى ، كان وجهى متجها نحوها ! " كنت على مقربة من ريبيراك " . أحمل جواز سفر مزور تنقصه تأشيرة الدخول ، ومررت فى طريقى إلى هنا ، على أكثر من عشرين مركز من مراكز المقاطعات . ولحسن الحظ فإن الفلاحين لا يعرفون القراءة . كنت أقوم بنفسى بعمل التأشيرة والتوقيعات . كان يجب على أن أتخذ التدابير لكى لا أرقد إلا فى القرى وألا أجتاز المدن إلا فى غفلة من الحراس المرابطين عند المداخل . أما كيف مررت ، فلم أعد أستطيع لذلك تفسيراً . فلو كنت رابط الجأش ، لما استطعت أن أفعل ذلك . لكن العهد كان يدفعنى . كل خطوة على الطريق ، كل حاجز أجتازه ، كل خطر أتغلب عليه كان يقربنى منها ، - منها - منك ! ... كان الألم قد عاودنى من جديد . كنت أشعر بآلام حادة . ومن أثر الجهد الذى كان السير يكلفنى إياه ، كنت غارقا فى العرق . وحينما كانوا يوقفوننى ليطلبوا منى أوراقى ،

كنت أعزى ساقى المتورمة كأننى من جرحى
حرب ' الفيندية " كنت فى كل مدينة أعلم بتعذيب أحد
رفاقى أو بموته . وفى الليل . كنت أنام ، مرتديا ثيابى ،
ومسدسان فى جيبى ، وحبّات من الأفيون مخبأة فوق
جلدى فى قفاز مهلهل . كنت قد صممت ألا ينالونى حيا ! ...
كنت أصحو فى الصباح ، أكثر إنهاكا من اليوم السابق .
كنت أزيد من سرعتى دائما ، كمثّل المطارد الذى يسمع
من خلفه ، فى الليل ، وقع الخطوات ترن فوق الأرض
التي يكسوها الجليد . كانت أنفاس الموت فى إثرى .
كنت أشعر به . كان يتعقبنى ... ستقولين لى إنه كان
يجب أن أفكر أننى أقود إليك هذا الموت ؟ ... لقد فكرت
فى ذلك ... إن العاشق الشهم ، بدل أن يعرض للخطر تلك
التي يحبها ، أخرى به أن يعدل عن رؤيتها . أما أنا ،
فلا ! إن حبى أقوى من الاهتمام بحياتك . أن أفقدك ،
أن أفقد نفسى ، ليكن ! ... ولكن ليس قبل أن أراك مرة
أخرى . أن أراك كما أراك الآن . أن أقول لك إننى أحبك ...
(يتناول يديها ، يتحدث إليها ونفساهما متلاصقان)

صوفى : (دون حركة لتخلص نفسها ، كلاهما ثمل) وبعد ؟

(يصمت كما لو كان لا يدرى شيئا)

(تستطرد)

وبعد ذلك ، ماذا سيحدث لك ؟

فاللييه : لم أُنظر أبعد من ذلك .

(يترك كل منهما يدي صاحبه ويصمتان ، بهما غصة
من أثر العاصفة الداخلية ... صوفى تبتعد فجأة ، تنهض ،
تستند على ظهر المعزف ، تنتظر ريثما تهدأ دقات قلبها ،
فى مواجهتها ، فالليه ، جالسا ، مائلا إلى الامام يرمق
الأرض بنظرة قاسية ينوب فيها العنف ، لم يتحرك)
صوفى : (تملك زمام نفسها وتعود إلى فالليه :) حبيبى .
حبيبى الغالى .. إننى أشكر

فالليه : (رافعا رأسه فى غضب) ليس شكرك الذى أريد
صوفى : (بعد وقفة قصيرة) إننى أرتعد إذ أفكر أنك موجود فى
هذه المدينة ، فى هذا المنزل ، حيث يمر أناس كثيرون
يمكن أن يتعرفوك
فالليه : الآن ، ماذا يهمنى ؟

صوفى : ولكن يهمنى أنا ! لقد جنّت إلى هنا تضع نفسك تحت
حمايتى . ويجب علىّ ، بل أريد أن أنقذك .
فالليه : ليس هناك من خلاص ، لم يعد على الأرض من ملجأ
للإنسان الذى أراد أن يخلص الناس

صوفى : يجب أن تلغى الصنود . يجب أن تدخر نفسك لأوقات
أفضل . سوف يحتاجون إليك قضيتك . وطنك
فالليه : أما أنا فلم تعد لى حاجة إليهم . ليست لى حاجة إلا إليك .
صوفى : فالليه ، أتوسل إليك ! لا تضيق بحياتك ! فلنبحث عن
مكان تختبئ فيه ، وطريقة لهربك .

فإليهِ : الهرب ! هل تتصورين أننى سأعود إلى الهرب مرة أخرى ؟
هل تعتقدين أن فى الإمكان تكرار المحنة التى مررت بها ؟
تلك الشهور الخمسة من الاحتضار ! إن العقل والقوى
البشرية لا تكفى لذلك . إننا لا نستطيع ذلك بغير عهد
كذلك الذى كان ينير لى وأنا فى طريقى إليك . فما الذى
يمكن أن يشد من عزمى وأنا أبعد عنك ؟

صوفى : (بعاطفة) أنا !

فإليهِ : أنت .

صوفى : أنا ! ... يا حبيبى !

فإليهِ : (ناهضا) حبيبك ؟

صوفى : لن أستطيع الحياة دونك !

فإليهِ : تحبيننى إذن ! أنت تحبيننى !

صوفى : أنت تعلم ذلك ، فلماذا أرغمتنى على أن أقوله لك ؟

لقد قلته ! أعيديه !

صوفى : لا يجب ذلك .

فإليهِ : بل يجب ذلك . أعيدى ما قلته .

صوفى : أحبك !

(يتعانقان)

فإليهِ : شفتاك ! آه ! أخيرا أرتوى من نبعهما ! ... ابقى !

لا تبتعدى ! لا تنفرى منى ! اغفرى لبؤسى ، لثيابى

الرثة ، ويدى ، وقدمى الموحلتين ، وجسدى الذى يفوح

عرقا وغبارا . إننى أشعر بالخجل ! ...

صوفى : إننى أحبك ! أحب بؤسك ، أحب حتى غبار يديك ووجل قدميك !

(تنحنى لتقبل يديه وثيابه)

فالييه : (يجتجزها ، يرفع رأسها بيديه ، يفرق عينيه فى عيني صوفى ، التى تستسلم، متعلقة بنظرتة . بعد صمت عاطفى :)

أه ! ما أجمل الحياة ! ... سأعيش الآن . أريد ذلك . لن ينالونى ! إذا كنت قد استطعت ، وأنا وحيد ، أن أخترق عالما من الأعداء . فما الذى لا أقدم عليه الآن وقد حصلت عليك ؟ ...

اسمعى ما سنفعله ! ... من السهل عليك أن تحصلى لى على جواز سفر مزيف ورداء للتنكر ، سترة يعقوبية . ثم أخذ العربة العامة التى توصل من باريس إلى " دول " ، ومن هناك ، أسير على قدمى ، فأنا أعرف الطرق التى توصل إلى الحدود عبر الهضاب المرتفعة . قبل اجتيازها ، سأعثر لبضعة أيام على مأوى فى أحد أكواخ الحطابين . وبعد أسبوع ، تهربين من باريس ، وتأتين لتلحقى بى فى المأوى الذى سأحدده لك . خمس أو ست فراسخ على الأقدام . الطرق يغطيها الجليد . لكنك لا تخشين السير . سنتسلق سويا منحدرات جبال " جورا " ومن فوق القمة سنرى الأرض الحرة ، سويسرا . ساعات قليلة بعد ذلك ونكون قد نجونا .

صوفى : (مأخوذة بسيل هذه الإرادة ، ولكن تحاول أن تتمالك نفسها)

نحن ؟ أنا ؟ ... أنا ، أتبعك ؟

فالليه : مادمت لى !

صوفى : (فى أنين) لا أستطيع ! لا أستطيع !

فالليه : إذا كنت تريدين ، فأنت تستطيعين .

صوفى : لا أستطيع !

فالليه : من يمكنك ؟

صوفى : واجبى .

فالليه : (بمرارة) الواجب ! فى هذا العالم المشئوم ، هذه

الكلمة لا تستخدم إلا فى القتل . إنما باسمها راح

المنافق الكبير ، حقير أراس ، يذبح أنداده ، وراح

جبن الأصدقاء يسلم الأصدقاء للجلاد . الواجب !

ما أسوأ ما نستعمل هذه الكلمة الكاذبة ! ... انظرى فى

وجهى ! إن الحقيقة الوحيدة هنا فى عيوننا . أنت وأنا .

صوفى : إننى أرى أيضا زوجى . إنه مسن ، ويحبنى ، ويثق بى .

إذا تركته ، أكون مذنبه .

فالليه : مذنبه ، لقد كنت كذلك ، إذ تزوجته . إنها لجريمة أن

تربط الأجساد الشابة بالهرمة . لقد أعطيته أكثر من

اللازم . إننى أحقد على أنانيتى التى قبلت ذلك . هيا ،

لا ترثى له ! إنه يستطيع أن يحيا دونك . أن لديه علمه ،

ومجده ، وغروره وصداقة الطغاة . ماذا أنت فى حياتك

أكثر من ثمرة ، لا يستطيع حتى أن يقطعها ؟

صوفي : لقد وهبت نفسي له ، وهبتها ، بإرادتي . هل بوسعي الآن
أن أسترد نفسي ، دون أن أحتقر نفسي

فألييه : أحتقرني نفسك ! ففي مثل هذه الساعة ماذا يهم
الاحتقار ؟ إن كل ما حولنا يموت ، كل شيء حطام . كل
الروابط والقوانين التي كانت تقيم مجتمع الناس ، احترام
الشقاء ، وحب الخير وطيبة القلب ، كل شيء . وسط
الخرائب ، الحب وحده لا يزال يبرق . وكل ما عداه ليل
حالك .

صوفي : (يداها فوق صدرها ، بصوت خفيض ، تحرقها نشوة
داخلية)

يا أيها النور ،

فألييه : (يطوقها بذراعيه) هلي ستتبعينني ؟

(صوفي دون أن تنتظر إلى فألييه ، تظل في وضع النشوة ،
دون أن تجيب)

فألييه : (أمرا) اجيبي ، ، تتبعينني

(صوفي تدبر بيضاء نحو فألييه وجهها الذي يضيئه الحب .

يداها المعقودتان تحف أطراف أصابعها شففتاها

الفاغرتان ، اللتان تهمازان بالكلام . فجأة تخلص نفسها ،

وتنصت ، وتقول عن الفور :)

صوفي : شخص قادم يصعد السلم

(في عجل ، تدفع فألييه داخل الحجرة التي يفتح بابها

إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد الثالث

(يدخل چيروم دى كورفوازييه من باب السلم ، إلى اليمين. دون أن يرى صوفى ، التى لا تزال عند عتبة باب الحجرة التى دخل فيها فالليه ، يتوجه بخطوات مترنحة ومتعجلة ، ناحية المكتب إلى اليسار . إنه دون قبعة . شعره الرمادى المتطاير غير منظم ، رباط عنقه نو العقدة الكبيرة معقود بطريقة سيئة ، هيئته ، حركاته ، تعبيره ، تدل على ارتباك . تنفسه صعب ومختنق . يقول كلاما بلا بقية ، يصدر أنينا . يرتدى فوق أحد الكراسى أمام المكتب يتكى بمرفقيه وسط الأوراق . يخفى وجهه بيديه)

صوفى : (مندهشة من مظهره وهيئته) چيروم !

(لا يتحرك ، ويواصل أنينه بصوت خفيض)

صوفى : (قلقة ، تذهب نحوه) صديقى ...

(لا يجيب)

(تضع يدها فوق كتفه ، تسأل باهتمام زائد) ماذا بك ؟

(يرفع رأسه نحوها ، وهو يتنفس بشدة ، ينظر إليها

وينهار من جديد)

صوفى : (ماثلة ، ترفع جبينه بيديها وتقول بعاطفة يشوبها القلق :)

هل تتألم ؟ ماذا حدث لك ؟

(جيروم دى كورفوازيه يبذل مجهودا لكى يبتسم لزوجته

ويستعيد هدوءه ، يفتح فمه ليتكلم . لا يستطيع . يقف

نصف وقفه ويحاول أن يبلغ بيده شيئا يوجد فوق

المنضدة الصغيرة القريبة التى توجد فوقها فناجين

(القهوة)

صوفى : ماذا تريد أن أعطيك !

(جيروم يشير إلى زجاجة (قنينة)

صوفى : (تعطيه إياها) هذه الخمر ؟ إنك لا تشرب على الإطلاق !

(جيروم يتناول القنينة ، يصب لنفسه منها كأسا كاملة ،

يشربها جرعة واحدة)

جيروم : يا إلهى إننى أتردى ، فى هذه الإنسانية ...

صوفى : أية صدمة استطاعت أن تقل من عزمك ؟ ... يا صديقى ،

من أين أنت قادم ؟

جيروم : من لجنة الميثاق . -

صوفى : هل أنتهت الجلسة ؟

جيروم : كلا . لكننى لم أستطع البقاء حتى النهاية .

صوفى : ماذا حدث ؟ أى عنف جديد . هل هناك ما يمكن أن يفاجئك ؟

إنك تعرف طباع البشر .

جيروم : إنهم لم يعودوا بشرا . إنهم قطيع من البهائم ، ذليلة

متوحشة . كل غرائز الخسة والوحشية عارية تماما .

لحم مذبحة . كلاب جبانة تزحف وتتشمم رائحة الدماء .
وسط الحظيرة ، ذئاب وضباع ، تحوم . لقد خلت
الحجرة الواسعة تماما . أكثر من مائتين هربوا ، ماتوا ،
اختفوا . حزب اليمين أصبح خاويا . إن الذين بقوا
أحياء ممن كانوا يشغلونه هربوا من أماكنهم ، وراحوا
يتسلقون وهم منبطحون على وجوههم حتى قمة الجبل .
حتى أكثرهم حذرا ، كانوا لا يكفون عن تغيير أماكنهم
فما من مكان صار آمنا . لأننا لا نعلم على الإطلاق أين
ستتجه الضربة ، إلى أعلى أم إلى أسفل ؟ إنهم
يحاولون أن يظهروا وكأنهم لا شيء ، وأن يتواروا وراء
ستائر النسيان . إن عيونهم التي تتذبذب ، راحت ترصد
من تحتهم ، وعن شمالهم ، وعن يمينهم ، انتفاضات
القطيع ورمشات الذئاب - وبخاصة جبهة روبيسبير
الغامضة وعيناه الصفراوان تحت منظاره القديم ،
وجبهة " بيو " المنخفضة وعيناه اللتان يخطهما الاحمرار ،
وذلك الجمود فى عيني سان-جوست الزرقاوين فى
محجريه ، محجرى الصقر ، سان-جوست ... إنه فوق
المنصة . يتأهب للحديث . سكون . ها هو ذا برقبته
المشدودة يجيل نظرتة الباردة تحلق فوق هذه الظهور
التي تنحنى وتحاول أن تتجنبها . إنه يحصيهـم : على
أيهم يا ترى سينقض ؟ ليس هناك ما يستدعى العجلة .
فليديه الوقت . لن يجرؤ أحد على التحرك ... منذ ستة

شهور تزمجر فى هذه الحظيرة الأهواء المتناقضة كما
تزمجر الأمواج : الجيرونديون والجبليون فى فريقين
متأهيين ، يتناوآن باللفظ والحركة ، والسلاح فى أيديهم ،
وفى هذه الملحمة التى يتجلى فيها رعد المنصات ألفان
من الرعوس تزمجر . اليوم هو القبر . عندما يتحدث
واحد من الجزارين ، فكأنما نسمع الذئب يحوم فوق
الجثث . إن كل هذه الأجساد الثابتة ترتعد من الانتظار
المهووس . فما إن ندخل حظيرة الماشية ، لا يدرى أحد
ماذا سيفعل ، ولا ماذا سيفعل به . لا أحد يدرى إذا
كانت حياته ستطلب ، ولا حياة من سيتحتم عليه أن
يطلب . ما إن نجتاز العتبة ، (ولا بد من اجتيازها
لأننا لا يمكن أن نهرب ، دون أن ندل على أنفسنا) حتى
نتحول إلى أشخاص آخرين . فالزميل ، الصديق ، الذى
كان قبل لحظة يشد على يدك ، يصبح غريبا عنك ... ماذا
يظن بى ؟ وأنا ، ماذا أظن به ؟ ... إن كل فرد يصبح
لغزا بالنسبة للآخر ... ربما بعد لحظة ، أراه ينهض ،
وعيناه تتهددان ، وفمه يرغى ويزبد ، فيهاجمنى عاويا
ضدى ، مع سرب الكلاب ، ... أو ربما أسبقه أنا إلى ذلك
... لأنه تحل لحظة ، أعرف فيها أن زميلى سيطلب رأسى ،
إذا لم أبادر بطلب رأسه ، قبل ذلك ...

(قام چيروم بهذا السرد ، ويداها ترتعدان ، فى هياج
مهووس . فى هذه اللحظة يتوقف ويأتى حركة ليتناول

من جديد قنينة الخمر ، لكن صوفى ، فى عزم وحزم ،
تبعد القنينة عن يد زوجها وتجلس بالقرب منه ،
وتتحسس ذراعه فى حنان ، وتقول : (

صوفى : لا تتفعل ، هدى من روعك ! ... أخبرنى بما حدث . إننى
أحاول أن أفهم ...

تقول إن سان جوست قد تكلم ؟ هل هناك أحكام جديدة
بالنفى ؟ وهل فيها ما يمسك ؟

جـيـروم : (يقول نعم برأسه) أحكام جديدة ، نعم .

صوفى : ولكن ضد من ؟ لقد ضربوا كل أعدائهم . أعداء اليسار ،
وأعداء اليمين . إن جيروند التعيسة تختتم نهايتها .
ومجلس العموم قد تحطم . ولم تمر ثمانية أيام منذ
سقطت رعوس هيبير وشوميت و كلو . ماذابقى لهم لكى
يقضوا عليه ؟

جـيـروم : هم . إنهم يفترسون بعضهم بعضا . فبعد أن صنعوا
الفراغ حول الجمهورية ، يقتلون الجمهورية ... هذا
الصباح ، فى السادسة ، قبضوا على ...

صوفى : من ؟

جـيـروم : دانتون .

صوفى : دانتون ؟

جـيـروم : لم تكن صديقين . لم أكن أحب هذا الرجل . فإن ذلك
العنف الذى يرغى ويزيد وذلك السيل المحمل بالأوجال ،
وذلك الشيطان المجنون ، المريد ، وتلك الغرائز الوضيعة ،

وذلك الدهاء ، كل ذلك كان يوحى إلى بالنفسور والاشمئزاز منه . إن فحيحه كان يخفى وراءه فى أغلب الأحيان الاضطراب والشك . ولكن من ذا يستطيع أن ينكر الخدمات الهائلة التى أسداها بجرأته العظيمة للجمهورية ؟ ... من منا لم ير وسط الأيام المظلمة ذلك الوجه المخيف يشرب وسط السحاب يجلله البرق وكأنة روح الثورة نفسها ؟... عندما بلغت المجلس إشاعة الأمر بالقبض عليه . تجمد كل الحاضرين من الذهول . لم يبق واحد لم يشعر بأن هذا الرجل كان مقدسا ، وأنه يخص تراث الأمة الذى لا يمكن انتهاكه . وما أقل الذين لم يشعروا بفضله ! وكم منهم - فى الأيام العصيبة - احتذى به ! قطع كامل من العملاء كانوا يقتاتون على فتاته . لكن هذه الفئة وقد أصابها الذعر ، راحت تهمس ، ثم تلوذ بالصمت ، وقد لذت بالصمت مثلهم ... وأخيرا ، فإن أحد أفراد حزبه ، وكان معروفا من الجميع بأنه ممن يدورون فى فلك النجم الذى هوى ، وقد شعر بأنه يتردى فى الهاوية ، حاول بطريقة لا إرادية أن يقوم بحركة من أجل الحفاظ عليه . هذا الشخص هو لوجندر ، وهو رجل سوقى ، كان ، فى ظل " دانتون " ، يتألق معه ... لقد منحه الخوف قوة ، فصاح عاليا ، وطالب مزمجرا ، لكى يتشجع ، بحرية دانتون . وما إن اطمأن أغلب الحاضرين لهذه الصرخة المنبثقة من الصمت ، حتى

بدءوا يساندونه بطينهم . وذهبت الجراءة ببعضهم فجعلوا يصفقون . بضع دقائق أخرى ، وكان من الجائز أن تجد اللجنة الشجاعة الكافية لكى لا تسلم باغتيال نفسها ... وفجأة دخل " روبسبير " . فتجمد هدير القلوب فى الحال . وعلى طول طريقه راحت الفكرة تتعجل الارتداد والدخول تحت الوجوه . ومن جديد أحدق الصمت بالرجل الذى كان يتحدث . ورأى " لوجوندر " " روبسبير " . وساعده اندفاعه ، لحظة أخرى ، على إطلاق الصيحات التى راحت تقع فى الفراغ . ثم ، فقد اتزانه ، وتوقف ، واستأنف ، وتلعثم ، ووسط إحدى الجمل ضرب بقبضته فوق المنصة ، وتوقف وغاص . وفى بطن راح " روبسبير " يصعد من السلم الآخر . ودون أن يهتم بالرد على عواء البهيمة المذعورة التى كانت فى ذلك الوقت تسعى إلى الدخول فى ثنايا النسيان ، راح يقرأ بصوته الخالى من النبرات ، أمر القبض الذى أصدرته فى الليلة السابقة اللجان الثلاث . وجعل يتحدث بألفاظ جوفاء عن مكيدة كبرى . وهنا " مجلس الشيوخ الذى استطاع أن ينتزع من داخله جميع الأعضاء غير الأكفاء الذين خانوا القضية ... " وعلى حين بغتة ، أصبح صوته مهددا ، والتفت ناحية " لوجوندر " الذى كان منزويا وراء شخص آخر ، وراح ، وهو يتظاهر بأنه لا يراه ، يهاجم المتأمرين المختفين الذين يدفعون عن الخونة سيف

القانون . فطلب "لوجوندر" ، وهو يتلعثم ، أن يرد .
ولكن الآخر ، دون أن يتأثر ، تظاهر بأنه لم يسمعه
وانتهى من عرض جملة المطننة الموزونة التى تتردد فيها
كلمة الموت ، ثم انصرف تاركاً البلمبة المطوقة بالغار
معلقة على رعوس أعضاء المجلس ...

كان الصمت يزداد عمقا أشبه بالهوة السحيقة . ومن
الأعماق ، ارتفع مرة أخرى عواء "لوجوندر" نابحا
على الموت . ولكن هذه المرة ، لم يعد لدى الكلب سوى
فكرة واحدة . أن ينبطح ويجثو تحت السوط وينال العفو
بلعق القدم التى كانت تركله . اعتذر والغصة تملأ صدره
متعللاً بأنه لم يكن يدرى ، ولم يكن يعرف ... ، دافعا
باستعداده لأن يسلم صديقه أو شقيقه إذا كانا جانبيين ،
متنكرا للرجل المغلوب مستشهدا بجبن المجلس على
تكرانه الخسيس ... حدث ذلك ودون أن يجروا واحد
فقط على أن ييسط له يده أو تنفجر أسارير الرجل
الغامض بتهديده الصامت ، وهو يتأمل الشقى الذى
كان يغوص ويفرق ...

واختفى الرجل . فقد غطاه سباط من الازدراء والخوف .
وعندئذ ، راح واحد من حزب المونتاني ، باسم المجلس ،
يهنئ اللجان التى أحبطت بيقظتها المؤامرات الجديدة .
ومن جهات مختلفة فى القاعة ، انضمت إليه بعض
الأصوات تؤيده . لكن "روبسبيير" ، الذى يعلم تقلب

المجالس ، لم يكتف بهذه الأصوات التى لم تصدر عن العقول . بل أراد أن تصدر اللجنة حكمها عن طريق الاقتراع بالاسم ، وأن تقرر محاكمة "دانتون" - أى القضاء عليه ، لأن الحكم كان قد صدر مقدما .

صوفى : واقتربت أنت !

جيمروم : راحوا جميعا يقتربون . كلهم كانوا يسرعون إلى المنصة ، تحت أعين أصحاب الأمر . بعضهم بظهور مستديرة ، وبصوت غير مطمئن . أما الأغلبية فقد تظاهرت بالصلابة الرومانية ، وجعل صوتها يجلجل فى القاعة ، بينما الرعب يصيح فى أحشائهم . واقترب "لوجوندر" . باع يده . كنا خمسة أو ستة ننظر فى ألم . كان كل منا ينتظر دوره فى الاقتراع . وعندما كان يأتى دور أحدها ، كان ينهض ويذهب ، يذهب ليلقى بصوته ، يلقي بحجره على المهزوم .

صوفى : وأنت ألقيته !

جيمروم : عندما حان دورى ، نهضت وانصرفت .

صوفى : لم تقترب ! ...

جيمروم : كنت قريبا من باب الخروج . نادوا باسمى . وكرر شخص خلفى قائلا ، وهو يمس كتفى : " كورفوازييه ! " ... وكان هناك رجل (من كان يا ترى ؟) يقف أمام الباب . فنحيت عن العتبة ، وخرجت من القاعة . وعندما بلغت الشارع ، أصابنى دوار ، وكدت أسقط . وأقبل على عابر رأتى

أترنح ، فأخذنى من ذراعى وصحبنى إلى مقهى ،
وسقانى مشروباً منعشاً . استجمعت قواى كى لا يتفرج
على الناس ، وعدت إلى المنزل ... كنت أتمنى أن أرقد
فوق الأرض ، فى التراب وألا أنهض بعد ذلك ... تقززاً ،
تقززاً من الناس ومن نفسى . إنسانية ، حق ، حرية ...
يا لها من سخرية ! سخرية عهدى وإيمانى . لقد ولد
الإنسان لكى يستعبد . لقد ولد الإنسان لكى يخون . إن
كل ما نفعله لتحريره ، كل ما نحاول من أجل إنهاضه ،
لا يجدى إلا فى إظهار حيوانيته . ماذا صنعت ؟ لقد
فقدت حياتى ! ...

(يسقط من جديد فوق المنضدة ، رأسه بين يديه)

صوفى : (التى أنصتت إليه بانقباض وشفقة متزايدة) الرجل
المسكين ! الرجل المسكين !

(تميل عليه تأخذ بيده) **جيروم ،** أى صديقى ! ...
زوجى العزيز ! ... لا تستسلم ! إننى أفهمك ، وأرثى لك .
إن ما قاسيته أنت أقاسيه معك ... ولكننى لا أريد لد أن
تفقد إيمانك ... إيماننا ...

جيروم : (يرفع رأسه ، بلهجة شك :) إيماننا ؟

صوفى : إنه إيمانى أنا أيضاً . - لا شك أن الناس منحطون ،
متوحشون ، منافقون ... وا أسفاه ! إننا ندرك تماماً كم
نحمل فى ذواتنا من وحوش ، من أفكار وضيعة
لا نجرؤ على ذكرها ، وتحط كرامتنا ' ولكن لأننا كنا نعلم

ذلك ، قمنا بهذه الثورة ، من أجل تحرير الناس ومن أجل رفعتهم . إننا لم نحاول أن نخفف عن أنفسنا لا المصاعب ولا الأخطار . ربما كل خطئنا أننا اعتقدنا قبل الآوان أننا كسبنا المعركة . ولكن فى تلك الأيام الأولى من التحرير ، كان جميلا أن نستسلم لمعانقة كل من فى فرنسا . هل لنا أن نأسف على ذلك ؟ كان لا يمكن أن يستمر ذلك . ولكن من ذا الذى لم يحسدنا ، من ذا الذى لن يحسدنا لأننا عرفنا هذه السعادة ، مرة فى حياتنا ؟ لقد قطفنا زهرتها . والزهرة ذوت . إن البهجة النى تمتعنا بها لحظة ، دفعنا ثمنها بعد ذلك . أمر شاق . ولكن كان لابد من ذلك . أنت ، يا من تعلمت فى خلال ممارستك للعلم ، الاعتراف بقوانين الطبيعة الثابتة التى لا تتحول ، أهذا سبب يجعلك تشك أو تتخلى عن موقفك ؟ لقد أتاحت لك القوة لكى تصعد عاليا لتحضن فى نظرة واسعة الأرض وراء الجبال والنهر الذى يتعرج والذى يمثل تقدم الفكر الإنسانى . ولم تتصور يوما من الأيام ، أنه لكى يواصل مجراه ، تكفى لذلك بضع سنوات . بل كنت تتوقع قرونا مع أكثر من توقف وعودة إلى الوراء . كلا ، إننا لن نرى ، بأعيننا ، أرض الميعاد . ولكن ، أليس كثيرا أن نعرف مكانها وأن ندل على طريقها ؟ سوف يأتى آخرون ، أكثر شبابا ، فيواصلون السباق المقطوع . أما نحن ، المقيدين بالعصر الحاضر ، فلنجد

فيهم عزاءنا . يا صديقي ، فى مقابل المشهد الرهيب
الذى يخنفك ، تبقى لك فى ذاتك ملاجئ كثيرة تستطيع
أن تجد فيها عزاءك ! مجهودك الشخصى ، وأبحاثك
واكتشافاتك ، مملكة العلم هذه ، التى هى بمنأى عن
نزقات الناس وشورورهم ، والتى ستحررهم ، شاعوا ذلك
أو لم يشاعوا ...

جيسروم : (انتصب واقفا شيئا فشيئا ، يداه فى يدي زوجته ،
لا يحول عنها عينيه)

أه ! شىء مريع ! ... من فمك ، هذه الأفكار ... هذا
الإيمان ، إيمانى ! إيمانى المفقود ، الذى يعود إلى عن
طريقك ... زوجتى ! ... إذن فأنت تحبيننى ؟ ... كنت أظن
عكس ذلك ! ...

(يقبل يديها)

(صوفى ، مضطربة ، تحول رأسها ، بينما زوجها
ماثل على يديها)

جيسروم : (يرفع عينيه نحوها ، يتوسمها بعرفان ويترقب الإجابة
بانكسار :)

صوفى ، هل تشعرين نحوى حقا بشىء من الحب ؟

صوفى : (محاولة الهرب) أه ! انتابتنى رعدة قبل برهة ، خلال
حديثك ... كنت أخشى ... كنت أخشى ...

جيسروم : (بابتسامة حزينة) كنت تخشين جبنى ؟

صوفى : كلا ، لا تقل هذه الكلمة !

جيسروم : أولم أظهره بما فيه الكفاية ؟

صوفى : لقد رفضت أن تتردى فى خزى الآخرين .

جيسروم : أه ، كان ينبغى أن أتكلم . لقد هربت . إننى رجل ضعيف ، لا يملك سوى شجاعة ضعيفة لا تجدى ...

(قالليه يظهر عند عتبة الحجرة وبون أن يلحظه ، ينظر إليهما فى غيرة وحقد . عندما تتحول عيونهما أليا ناحيته ، يتراجع إلى داخل الحجرة)

صوفى : (فى ود صادق) إنك لرجل بائس ، ضعيف ، ومن أجل ذلك ... (تتوقف عن اندفاعها)

جيسروم : (يسحبها من يديها اللتين لم يتركهما) ومن أجل ذلك ؟ ... (لا تجيب فيلح)

ومن أجل ذلك ؟... قولى !... تشعرين نحوى بشيء من ... من العطف .

صوفى : (محرجة ، تفر ثانية) وذلك ، يا صديقى ، لأنك ضعيف فإن قيمتك ترتفع إذ تخاطر بحياتك . لأنك خاطرت بها . لا تحقر من شأن نفسك ، بالحديث عن الهرب .

جيسروم : هذا صحيح . وإننى أعلم أنهم سيطالبوننى بالحساب . فمئذ شهرين مضيا وأنا موضع شك . جميع خطواتى يراقبونها ، وكل أقوالى يسجلونها ، حتى حالات صمتى . إن الوشاة يرصدوننى . إن منهم أصدقاء لنا . ولقد استطعت اليوم بالذات (وكنت أنتظر حتى أتأكد لكى أخبرك بشكوكى فيه) استطعت أن أحصل على أدلة بأن العجوز دبنى بايو ...

صوفى : (مذعورة) يا إلهى !

چيروم : كل ما نقوله هنا ، ينقله ...

صوفى : كلا ، لا أستطيع أن أصدق ذلك ! ذلك الكهل ... ذلك

الرجل الرقيق الهياب ... وما الدافع ؟

چيروم : (وهو يهز كتفيه) ليشترى سلامته ... ثم ، فى عصر

كعصرنا ، فإن الخسة تنتشر كالبرص ، فنحن نرى من

كرام الناس من يشعرون على حين بغتة بحاجتهم إلى

الهبوط والتلوث ...

صوفى : (وهى فريسة الرعب) چيروم ! لقد كان هنا ! ...

چيروم : من ؟ بايو ؟ اليوم ؟

(تشير نعم برأسها ، لا يسمح لها تأثرها البالغ بالكلام)

چيروم : ماذا تخشين ، يا صوفى ؟ إننى أعرف حذرك ...

صوفى : ... كان هنا ، حينما دخل ...

چيروم : حينما دخل ؟ ...

صوفى : محكوم عليه ، يبحث عن مأوى ... قالليه ...

چيروم : (فى صيحة دهشة وفرح) قالليه ! ... حى ! جاء هنا ! ...

صوفى ، هل استقبلته ؟ ألم تغلقى فى وجهه بابنا ؟

أين هو ؟

صوفى : ها هو ذا !

(تشير إلى قالليه ، الذى جاء إلى عتبة الباب حين سماع اسمه .

ولكى تخفى اضطرابها ، تخرج من باب السلم ، تاركة

الرجلين وحدهما ، كما لو كانت تريد أن تراقب المدخل)

المشهد الرابع

جيروم : (يتقدم ناحية فالليه ، باسطا له ذراعيه) صديقى !
(فالليه لا يتحرك . بعد توقف قصير ، جيروم يواصل
التقدم نحوه)

استطعت أن تهرب ! ... كانوا يقولون ... الحمد لله ! ...
(وصل قرب فالليه ، يريد أن يعانقه ، ولكن فالليه يستدير
عائداً إلى حجرة الاستقبال ، يقف على بعد مسافة)
فالليه : (بسخرية باردة) فلندع الله وشئونه ! إنه لا يهتم
بشئونا ! إن الله مع روبسبير .

جيروم : (وقد توقف فى اندفاعه العاطفى ، يستطرد بعد صمته)
فالليه ! إننى أراك من جديد ! ... وسط الهموم والأحزان
السوداء التى تجتاحنى اليوم ، يلوح لى أن شعاعاً من
الشمس دخل معك ...

(يتقدم من جديد بضع خطوات ناحية فالليه وفى هذه
المرّة يمد إليه يده التى لا يتناولها فالليه)
فالليه : (باللهجة الساخرة الجامدة نفسها) لا تقترب ! فقد
تحترق !

جيسروم : (مأخوذاً ، يتراجع خطوة) فالليه ! أى صديقى ! ...
ماذا بك ؟ ... ألا تريد أن تصافح يدي ؟ ... هل تشك فى
أمرى ؟ ... إن منزلى لك . وأنا أشكرك لأنك اخترته مأوى
لك . هل تشك فى صداقتى ؟ لقد ظلت وفية لك .
فبالليه : (بمرارة) إننى أعرف هذه الصداقات التى سلمنا
وفاءها قبل عام إلى القتلة .

جيسروم : (محزوناً) فالليه ، الواقع أننى قمت بالقليل جداً ، من
أجل الدفاع عنكم ؛ ولكن (إننى لا أعتذر ، أدنى إذا
شئت !) ولكنك لا تعمل حساباً لهذا الجو ، مستشفى
المجاذيب ، الذى نعيش فيه سجناء ، واستحالة كلمة عقل
فيه . إنه وباء . وإن أسلم العقول لتصاب به شيئاً فشيئاً .
أربع سنوات من التوتر البالغ ، من الخطب الجنونية ،
من الكتابات المحمومة ، من الرعب ، من الشكوك ومن
الآلام التى تشبه آلام المسيح وخيبة الآمال المريرة ، كل
ذلك خلق جواً مشحوناً بالسموم . إن التهديد بالموت
يفسد كل تفكير . والإنسان لا يستطيع دون خطر أن
يظل سنوات فوق حد السيف هذا : " الانتصار أو الموت " .
إنه يضرج بالدم ويتمزق غيظاً . ومن يحاول إعادته إلى
المشاعر الإنسانية ، تمزقه أسنان هذه النمرات ...
وا أسفاه ، إنهم أصدقاؤك ، يا فالليه ، أعضاء حزبك ،
وأنت معهم ، الذين كنتم - بإعلانكم الحرب ضد أوروبا

والقاء الدولة فى الصراعات الوطنية - أول من أثار
الهباء والثوره والغضب الذى راح يلتهمكم .

فالىيه : (جارها) لقد رفضنا التحالف مع الجريمة . أما غيرنا
فقد تواطأ معها إبقاءً على حياته .

جىروم : (مجروحا ، لكن مالكا زمام نفسه) فوق حياتنا ،
توجد منجزات حياتنا : ثورتنا الشابة . وأعداؤها
كثيرون ! فعلينا ألا نضيف إليهم أحقادنا ! يجب علينا أن
نضحي فى سبيلها بكل عواطفنا .

فالىيه : (بلهجة مهينة) إن التضحية لا تكلف شيئا أولئك الذين
ليست لهم عواطف ، وليس لهم سوى مصالح .

جىروم : (الذى لا يريد أن يفهم) إننا لا نتحدث عن هذه الفئة .
فلندع النفوس الوضيعة ! إن ما بيننا ، أنت وأنا ، لا يمكن
أن يكون سوى ما بين الذين يعيشون من أجل الأفكار .

فالىيه : هناك من يموتون من أجلها ، وهناك من يعيشون على
حسابها .

جىروم : (يصيح) فالىيه ! ... ماذا تريد أن تقول ؟ ... وأخيرا ،
ماذا بك ؟ ... كأنك ناقم على ؟

فالىيه : (بعد لحظة ، بحقد) أجل !

جىروم : (محزونا) فى هذه الساعة ، التى تتهدد فيها الأخطار
حياتك فى كل مكان ، فى باريس الحافلة بأعدائك ،
ألا يجدر بك أن تقدم العرفان لرجل يحبك ، لا يشاركك
أراءك ، ويحترمها ويود أن ينقذك ؟

فألييه : (باحتداد) لا ، إننى لا أقدم العرفان ! إن حبك كذب !
أنك لا تحب إلا نفسك . وخلصك أعمالك الحذرة وحيادك .
لعنة الله على الطغاة الذين يقتلون فرنسا ! وسحقا
للمحايدين ! ...ألا فاعلم أننى أبغض "روبسبير" ، ذلك
الوحش ، ذلك الطاغية المستبد ، جلاد الجمهورية الذى
باع نفسه للنمسا . إننى أتمنى أن تجيء "شارلوك
كوردى" أخرى تغتاله عندئذ أقبل الخنجر الذى ينزع قلبه
من صدره . ولكن حقدى هذا ليس أقل من حقدى على
أهل الحذر والحيلة ، الذين يلزمون الصمت . يلعبون
بالجريمة والفضيلة فى مثل هذا الصراع الرهيب ،
لا يكثرثون بشيء ولا يهتمون إلا بدورهم الذى يشبه دور
زقاص الساعة ، مستعدين دائما لخدمة هذا على حساب
ذلك وخيانتته فى اليوم التالى ! ...

جيروم : (متعالكا نفسه ، بالغ الهدوء ، مع ارتجاف فى الأعماق)
فألييه ، هذا الكلام لا يوجه إلى مثلى .

فألييه : (ثائرا) بل إليك !

جيروم : (منعورا ، يظل لحظة نون أن يجيب) ولكن إذا كنت تبغضنى

إلى هذا الحد ، فلماذا جئت فى منزلى تبحث لك عن ملوى ؟

فألييه لا يجيب ، ولكن نظرته تذهب من فوق

كورفوازييه ناحية باب السلم الذى يفتح من جديد :

صوفى تعود ، يتعلق بها بواسطة إشعاع عاطفى .

جيروم يلاحظ التغير المفاجئ فى تعبير وجهه . وعندما

يلتفت ليبحث عن سببه ، يرى زوجته مقبلة نحوه)

المشهد الخامس

صوفى : (فريسة لانفعال حاد ، أغلقت الباب وتسرع ناحية چيروم)

إنهم قادمون !إنهم قادمون ! ... چيروم ! ... لقد ضاع ! ...

(چيروم يلاحظ عيني فالليه ، الذى لا يبدو عليه أى تأثير

لكلام صوفى ، والذى لا يخفى ابتهاجه إذ رآها ،

ثم يلتفت ناحية صوفى ويفحص اضطرابها . ويصرفه ذلك

عن الاهتمام بمعنى ما تقول)

صوفى : (تجذب ذراعه) أسرع ! أسرع ! يا چيروم ! ...

ألا تسمعنى ؟

چيروم : من القادم ؟ ماذا رأيت ؟

صوفى : الشارع مقلوب ، فرق من الرجال المسلحين يذهبون من

منزل إلى آخر . وبابنا عليه حرس ... تعال ، انظر !

(تقود چيروم إلى النافذة اليمنى التى تحجبها ستائر

سميكة . ترفع جانباً من الستار فيميل چيروم لكى يرى ،

فالليه يتبعهما ولكنه لا ينظر إلا إلى صوفى)

چيروم : يقومون فى الحى بزيارات للمنازل .

صوفى : هل تعتقد أن هذا الرجل قد أبلغ عنا ؟

جيروم : من ؟ دينى بايو ؟ ... كلا ... على الأقل ، ليس بعد . إن الأمر فى هذه الساعة يتعلق بإجراء عام ، لا يخصنا نحن فقط ... انظرى إلى هذه الفرقة التى تدخل المنزل المواجه ... هذا بالطبع أمر تفتيش نظامى ، أصدرته لجنة مراقبة القسم ... جميع المنازل تفتش . ولكن قد يحدث ، بعد حوادث اليوم ، أن يفتش منزلنا بنوع خاص .

صوفى : (مضطربة) اهرب ، يا كلود !

جيروم : كلود ؟ ... أه ! أجل ، فالليه ... الهرب مستحيل ... انظرى فى آخر الشارع ، إن الحاجز مقفل ، موظف واقف هناك . لا أحد يستطيع الخروج قبل أن يتم التفتيش ... إنهم يقومون بالتفتيش صفا صفا . بعد المنزل المواجه ، يأتى دور منزلنا . أمامنا ربع ساعة .

صوفى : (تفقد شيئا فشيئا السيطرة على نفسها) جيروم ، يجب إنقاذه !

جيروم : (لا يزال هادئا) عزيزتى . إن حياتنا جميعا مهددة أيضا .

صوفى : (متحمسة) ولكن هو ، إذا وجدوه فقد هلك !

جيروم : ليس وضعك أحسن من وضعه ، إذا وجدوه هنا .

صوفى : (مدفوعة بعاطفتها) إننى لا أهتم بحياتى ، بشرط أن أنقذ حياته .

فالليه : (عيناه مشعتان) لم أعد أخشى شيئا ، الآن وقد بلغت هدفى .

صوفى : كلا ، الهدف هو أن تعيش . لا أريد أن تموت !

فاللييه : نحيا أو نموت معا !

صوفى : (بعاطفة) نحيا ! ...

فاللييه : (يفيض سرورا) سنحيا ! ...

(لقد نسيا كل شيء ، كل ما حولهما ، الخطر و جيروم)

الذى يتأملهما ، وكلاهما ، يده فى يد الآخر وعيناه فى

عينيه)

جيروم : (بعد صمت ، ببرود بالغ) إن الدقائق معدودة وإذا

أردتما الحياة فلا تفقدا الوقت ، ولو أنتنى أرى أنكما

تستفيدان كثيرا من الوقت .

(عند سماع هذه الكلمات ، تفيق صوفى ، تترك يد

فاللييه الذى يتراجع من ناحيته وتلتفت ناحية جيروم

- لكن دون أن تجرؤ على النظر إليه مواجهة - عيناها

مليئتان بالاضطراب)

صوفى ، أنت تعلمين أن فى نهاية هذه الحجرة (يشير

إلى الحجرة اليسرى قرب الدرايزين) داخل جدار القبو ،

فى الخلوة الخشبية التى صنعتها بنفسى لأضع فيها

الوثائق التى لا يخلو وقوعها فى جميع الأيدى من خطر .

يوجد مكان لإنسان وهو متمدّد . أدخلى فيه فاللييه ،

وأغلقى عليه الجدار بعناية ، والغطاء . إذا اقتصر

التفتيش - كما هى العادة - على مجرد زيارة عامة للقسم ،

فسيملكون فقط ، وتكون لدينا فرصة للهرب .

صوفى : تعال ! فلنسرع يا فالليه !

جيروم : انتظرا ! ... يجب أن نتوقع كل شىء . إذا كان التفتيش

بأمر صادر من لجنة الأمن ، وإذا كان ذلك الرجل - بايو

هذا - قد أبلغ عنا ، فلا ركن ، ولا جدار سيترك

بلا تفتيش . عندئذ لا شىء يمكن عمله . شىء واحد يبقى

أمامنا ... خدا .

(من ثنية فى رباط عنقه العريض ، يخرج كيسا صغيرا

يفتحه ويقسم ما فيه) هذا السم أكيد المفعول . لقد أتانى

من " كابانى " ... هذا نصيبك يا فالليه وهذا نصيبك

يا صوفى ... وأنا أحتفظ بنصيبى ... اذهبا !

(صوفى متأثرة ، فالليه مضطرب ، كلاهما نهب

لعواطف متناقضة ، ينظران إلى جيروم الذى لا ينظر

إليهما ويذهب ناحية النافذة . يخرجان من باب الحجرة ،

إلى اليسار قرب الدرايزين)

المشهد السادس

(جيروم دى كورفوازييه يلتفت ، ثم ، وعيناه مثبتتان على الباب الذى خرجا منه ، يعود ببطء إلى وسط المسرح)
جيروم : (بسخرية مريرة) إنهما عاشقان . إلى أى هياج عنيف دفعت الغيرة وقرب الموت بأعز أصدقائى ! إنه قد لا يتردد فى قتلى لكى يسلبنى زوجتى ... أما هى ، التى كنت قبل برهة وجيزة أفضى إليها بشقائى ، فقد كانت شريكته فى الجرم ، وربما كانت تنذر النذور من أجل موتى ... ولم لا ؟ إننى العقبة التى تقف فى طريق هوائهما !
إيه حسن ، فلتطب نفساهما ! لن أظل طويلا أمثل هذه العقبة ... إننى لا أحب أن أرغم على احتجاز شخص للبقاء معى وهو يتوق إلى التخلص منى . كذلك لم أعد أحب أن أستمّر مقيدا إلى هذه البشرية الوضيعة ...
الوضيعة ؟ كلا السخيفة . إنها حتى لا تستحق الاحتقار ...
كائن واحد كان لا يزال يمنحنى سببا للإيمان بها . ولقد انتزعها منى ... حسن ... إذا كان هذان التعيسان لا يزالان يجدان لذة فى الحياة ، فهنيئا لهما ! أما أنا ، فإننى أهب حياتى ...

(يذهب إلى مكتبه ، ومن مجلد كبير ، يسحب

مخطوطات مخبأة تحت الغلاف الجلدى)

فى هذه الأوراق التى تدينهم سيعثر الجلادون على قرار
إدانتى جاهزاً .

(يضع المخطوطات ظاهرة فوق المنضدة ، وسط حجرة

الاستقبال)

(ثم يعود إلى النافذة المطلة على الشارع وينظر إلى

الخارج)

يخرجون من المنزل الآخر ... يعبرون الشارع ... يدخلون

... وأنا مستعد .

المشهد السابع

(تسمع مجموعة من الرجال تصعد السلم فى ثقل .
طرقات عنيفة على الباب .

چيروم ، نون عجلة ، يذهب ليفتح . يدخل مندوب
وعشرة رجال مسلحين .

ملابس المندوب : " بنطلون واسع من الصوف الأسود ،
سترة قصيرة مثله ، صديرية ذات ثلاثة ألوان ، باروكة
يعقوبية ذات شعر قصير أسود مرسل ، قبعة حمراء ،
سيف ، شاربان ضخمان "

" الرجال ليس عليهم سوى قطع من هذا الزى . كثيرون
منهم نون سترة ولا صديرية ، يلبسون الصنادل ،
يتسلحون بالحراپ)

كرابار : لجنة الأمن ! ...

چيروم : تفضلوا !... أهذا أنت ، أيها المواطن كرابار ؟

كرابار : (منذ البداية ، بيدى عداه) لم تكن تتوقع ذلك ؟

چيروم : (بهدوء وأذراء) إننى أتوقع كل شىء .

كرابار : (ساخرا ومهددا) أترى ، كيف نتلاقى ، هيه ؟

چيروم : (بهنوہ وازدراء) خاصة حينما يكون أحدنا (ليس أنا !)
يبحث عن الآخر .

كرابار : لم تخطئ أبدا ... ولكننى لم أت لكى أجفف حلقى فى
الكلام .

هل رأسك مثبت جيدا ؟

چيروم : عليك أنت أن تتأكد من ذلك !

كرابار : (مخاطبا الآخرين) هيا (يصفر وكأنه يصفر لكلاب)
ابحث ! ابحث !

انهب !

چيروم : هذه هى الكلمة . لقد قلتها بالضبط .

كرابار : ... الذى يضحك فى النهاية هو الرابع .

(الرجال يبدؤون فى تفتيش الاثاث بغلظة ، ينزعون
الأدراج ، يقلبونها رأسا على عقب فوق الأرضية ،
ينثرون الأوراق ، على الصوت ، صوفى تقبل من الحجرة
المجاورة ، تقترب من چيروم الذى يقف ثابتا وسط
الحجرة ، موليا ظهره للمقتحمين)

چيروم : (نون أن يتحرك ، ودون أن يفتح فمه تقريبا) خلاص ؟
صوفى : (تشير برأسها ، نعم ، نون أن تتكلم ، ثم ، بصوت
خفيض)

هل هناك أمل ؟

چيروم : (بصوت خفيض) أبدا .

صوفى : (بصوت خفيض) من هذا ؟

چيروم : (بصوت خفيض) كرابار . أفأق أمرت بالقبض عليه ،
قبل عامين ، فى الحى العربى ، بوصفه بائع فضة .

كرابار : (مخاطبا أحد الرجال) تيموليون ، نظف المدفأة !
(الرجل يفرس حربته داخل المدفأة ويحركها بقوة)

قليل من القش المبلل ! ... " دوسان " ، أشعل هنا ، فإذا
كان الثعلب بالداخل فسنسمع سعاله !

صوفى : (بصوت خفيض إلى چيروم) هل يعرفون ؟
(چيروم يهز كتفيه)

كرابار : (مخاطبا رجاله) فتشوا ! فتشوا !

چيروم : (مخاطبا كرابار) ارحم على الأقل هذه التحف الفنية
الهشة !

(أحد الرجال بعد أن سبر أغوار الجدران بحربته ،
يفرسها فى إحدى اللوحات الكبيرة)
(صوفى تطلق صرخة)

كرابار : (يهرول ناحية الرجل) ها ! ها ! ... اغرسها مرة أخرى ! ...
(الرجل يفرس حربته فى اللوحة من جديد)

هل تشعر بشيء ، خلفها ؟ ... أبدا ...

(يلتفت إلى صوفى)

لماذا صرخت ؟

صوفى (تتأمله بازدراء)

كرابار : (هائجا) لا تتفضلين بالرد على ؟ ... إنها تنتظر إليك
كالكلب ... أعوذ بالله !

... أيتها المواطنة ، سنرى إذا كنت تخفين شيئاً تحت
لوحتك ... ليس هذه ... بل جلدك ... سنبحث بداخلك عن
البراغيث ...

(**جيروم يأتى حركة ليدفع كرابار . كرابار ينحيه . يدفعه)**
أما أنت ، أيها العجوز . فالزم مكانك ! ... انتظر حتى
يحين دورك . إن لدى أمرا بتفتيش كل شيء ... وإننى
أفتش ... ولكننا ندرك واجبنا بالنسبة لعفة الجنس الآخر ...
لسنا نحن أيتها المواطنة ، الذين سننقب بين مفاتك ...
"بودان " ! (يصيح) ... أين تلك المرأة ؟ ... بودان !
(تظهر عند باب السلم ، بودان ، فتاة مسدلة الشعر ،
ذات وجه متودج وصدر ضخم)

هل كنت منهمكة فى إغراء شاب من المغرورين ؟ إياك أن
أضبطك ! ... تقدمى ! اصطحبى هذه الكتكوتة إلى
الحجرة المجاورة وانظرى إذا كان هناك مهاجر تحت
قميصها !

(يضحكون . صوفى تأتى حركة تمرد ، ولكنها تلقى
نظرة على باب الحجرة التى أغلقتها دون فاليه ، وتذهب
إلى الحجرة الأخرى ، قرب الحديقة ، تتبعها بودان)

جيروم : (يحدث نفسه) آه ! كالعادة ، سيبحثون فى كل الأماكن
التي لا يوجد فيها شيء يمكن العثور عليه ، ولكن يجب
إرغامهم على النظر إلى ما تحت أعينهم . (يقترب من
المنضدة التى فى وسط الحجرة ، حيث لا تزال ظاهرة

للعيان الأوراق التى تركها نون أن يفكر أحد الرجال فى
النظر إليها ، يتصرف بطريقة تجذب انتباه كرابار
فيجذب الأوراق ، كما لو كان يريد أن يخفيها)

كرابار : (منقضا عليه) مكانك ! ... ناولنى هذا ! ناولنى هذا ! ...

(ينتزع منه الأوراق ، يتصفحها بسرعة ويقرأ :)

" بحث فى العبودية " ... الجمهورية المستعبدة " ...

إننى أحتفظ بذلك !

(يلوح له بالأوراق تحت أنفه)

لا بد وأنه يخفى غيرها ... " تافتا " أمسك يديه ! " فاشار "

أخرج ما فى جيوبه !

(رجل يمسك بقبضة چيروم ، وهما خلفه ، بينما الآخر

يفتشه ، تحت نظر كرابار)

كرابار : رأسك فى يدي ، رأس الخنزير !

چيروم : (بازدرأ غير مكتوث) كله !

(يدخل لازار كارنو فى ثياب عضو من لجنة الخلاص

العامة ، طويل ، نو عينين زرقاوين ، جبهة عريضة ،

كثيف الحاجبين ، خشن ، متغطرس ، متهمك)

المشهد الثامن

كارنو : (يتوقف لحظة عند العتبة ، ينظر بدهشة ، يتبين الأمر ،

ويصيح بصوت ممو :) أيها الأغبياء ، ماذا تفعلون هنا ؟

(الرجال يلتفتون ناحية الباب)

الرجال : كارنو ! ... كارنو عضو اللجنة العليا !

كارنو : (بخطى واسعة أقبل ناحية كرابار ، فينحيه بغلظة ،

ينتزع جيروم من الأيدي التي تمسك به) " جان فوتر "

اتركه .

كرابار : (ثائرا) لقد جئت بناء على أمر !

كارنو : وأنا ، أعطيه .

كرابار : إن واجبي أن أفتش .

كارنو : إن واجبك أن تحترم المحترمين . دع هذا الرجل !

كرابار : أهنأك امتيازات بالنسبة لأعداء الجمهورية ؟

كارنو : أيها الغبي ! إن الجمهورية تدين لهذا الرأس بأكثر

مما تدين لمائة رأس حمار من نوعك . إن اكتشافاته هي

التي أمدت جيوش الثورة بالأجهزة المدمرة التي جعلتها

تنتصر في معركة واتيني .

كرابار : إن الانتصار ليس شهادة في الوطنية . إننى لا أطمئن إلى النسور .

كارنو : هل ترى أنهم يخلقون أعلى من اللازم ؟

كرابار : إنهم يتجاوزون الحدود . فلنزع أجنحتهم ! كلهم سواء !

كارنو : كلهم ضفادع ! (رجال كرابار يضحكون) يا كرابار ،

والى أن ينزل العالم إلى مستواك ، فإن الجمهورية فى

حاجة إلى قادة . وأنا واحد منهم ، اترك هذا المكان .

كرابار : سأرحل ، إذا تراءى لى ذلك . إنك لست السيد ، هنا .

إننى ممثل لجنة الأمن ، ولا أسمح أبدا بالسخرية ...

كارنو : إن لجنة الأمن ليس من عاداتها أن تمزح . الويل لمن يقاوم

أوامرها !

كرابار : حسن . سأرحل ، لأننى أريد ذلك . ولكن لجنة الأمن

ستعلم . وإذا كانت رأسى أنا فى يديك ، فإننى أقبض

على رأس الآخر .

(يلوح بالأوراق التى أخذها من جيروم ، ويخرج مع

رجاله وتلحق بهم بودان)

(جيروم وكارنو يبقيان وحدهما)

المشهد التاسع

كارنو : ماذا أخذ ؟

جيروم : قرار الاتهام .

كارنو : بوصفك متهماً أو متهما ؟

جيروم : الاثنان ، أتهم فى هذه الأوراق مفسد الدستور ،
والطغاة الذين يستغلونه .

كارنو : إنك ترجم السماء . الحجر يسقط فوق رأسك .

جيروم : أنا أعلم ذلك . إن الحقيقة قاتلة .

كارنو : كورفوازييه ، إن الوقت يمضى بسرعة . كنت أعلم ذلك ،

وأنا فى طريقى إلى هنا . لكن الأمور تمضى أسرع

مما قدرت لها . فلم أكن أتصور أننى سأجد هنا الوحشة

والجواسيس .

جيروم : إذن ، أليست لجنة الخلاص العامة هى التى أرسلتهم ؟

كارنو : إن لجنة الخلاص العامة ليست فى حاجة إلى جواسيس .

يكفيها أصدقاؤك . .

جيروم : هل تكلم دينى بايو ؟

كارنو : نعم .

جـيـروم : ليس لدى إذن ما أخبرك به .

كـارنو : إنك تخفى هنا أحد كلاب الجيرونديين .

جـيـروم : تنتظر منى أن أسلمه ؟

كـارنو : كلا . بل ألق به فى الخارج ! وليلق حتفه فى مكان آخر !

إننى لم أحضر لأحدثك عنه . فحيثما كان هذا الشقى ،

وحيثما ذهب ، فإن حياته لا قيمة لها فى هذه الساعة .

لقد جئت لأحدثك عن نفسك .

جـيـروم : ماذا تريد ؟

كـارنو : كورفوازييه ، أنت تعلم أنك جعلت نفسك موضع شبهة

ولم يبدأ ذلك اليوم فقط . فإن موقفك المثير للشك قبل

عدة شهور ، واستنكارك الصامت لتصرفات اللجنة ،

وامتناعك عن التصويت ، جعل منك عدوا . لم يجدوا

مشقة فى استشفاف مشاعرك الخفية . إن ما استطاع

أن ينقذك إنما هى الخدمات التى أسديتها للوطن وتدخل

" بريور " و " جان بون " وأنا ، نحن الراغبين فى إنقاذ

رأسك من أجل الدفاع الوطنى . ولكن اليوم ، قد فاض

الكيل . إن ما أثارته أقوالك الطائشة فى جلسة المجلس ،

وخروجك المتعجل قد فجر غيظ اللجنة . فلقد وقع هناك

منذ قليل مشهد عنيف . والموقف أصبح فوق طاقتنا . إن

الأغلبية تريد التخلص من المقاومة التى تلزم الصمت ،

وهى أكثر خطرا من التى تتكلم . وهم يخبرونك : فإما أن

تؤيد صراحة القرارات الجديدة ضد المحكوم عليهم ،

وإما أن تلحق بهم . ولقد جئت لكى أبلغك بأن تذهب هذا المساء ، إلى المجلس وتصعد المنصة وتعلن تأييدك للقرارات . هذا هو الشرط الذى وضعوه لنجاتك .

جيروم : (بهدوء) وأنا أرفضه : أنا أعلم أنى أثير الشك منذ عام مضى . واليوم أيضا ، أبديت اضطرابا لم يكن جديرا بى . ولكن منذ ذلك الحين فإن ظروفنا معينة ، لا فائدة من ذكرها ، أعادت إلى وضوح الرؤية واطمئنان النفس . وسأكون سعيدا فى النهاية أن أمارس مسئولياتى .

كارنو : وما هى ؟

جيروم : سأندد بالأحكام الجائرة ويدكتاتورية الدماء .

كارنو : لن تفعل ذلك أبدا . إنك لا تملك الحق فى ذلك ، ولا القدرة أيضا .

جيروم : إننى أملك حق ضميرى ، والقدرة على أن أضحى بنفسى من أجله .

كارنو : أيها المجنون ، إنك لا تدرك إطلاقا أننا لا نستطيع فى هذه الساعة أن نهاجم اللجنة ، دون أن نهدم ما أنجزناه وهو الجمهورية .

جيروم : إن إنجازاتنا كانت إقامة حقوق الإنسان الحر .

كارنو : لكى يكون الإنسان حرا ، يجب أولا أن نحمله من أولئك الذين يستعبدونه .

إن حقوق الفرد لا تُعد شيئا دون قوة الدولة .

جيروم : إنها لا تعد شيئا إذا ضحينا بها فى سبيل قوة الدولة .

كارنو : إنها ليست شيئا الآن . ولكنها ستكون . فلنتعلم كيف
نضحي بالحاضر فى سبيل المستقبل .

جيروم : إننا إذ نضحى فى سبيل المستقبل بالحقيقة ، والحب ،
وكل فضائل الإنسان ، واحترام الذات ، فإننا نضحى
بالمستقبل . إن العدالة لا تنبت فى تربة الرذيلة .

كارنو : لنتكلم بصراحة ، يا كورفوازييه ! نحن رجال علم .
وكلانا يعلم قسوة قوانين الطبيعة . فهى لا تهتم
بالعاطفة على الإطلاق . وفضائل الإنسان تركلها
بقدميها ، لكى تحقق غاياتها . إن الفضيلة هى الغاية ،
وأنا أريد الغاية . أيا كان الثمن الذى أدفعه فى سبيلها .
وهذا الثمن لست أنا الذى وضعته . ولكنى أقبله . إننى
أتقرز ، مثلك ، وربما أكثر منك ، من هؤلاء الرجال ،
أهل الدهاء والدماء . وأكثر منك ، يتحتم على أن أعيش
معهم جنبا إلى جنب . إننى أتقرز من ألوان العنف التى
يطلبون منى أن أوقع عليها كل يوم . لكننى لا أظننى
قادرا على رفضها والهرب من المعركة ، لأنها تلوث يدي .
فإننى أضع فى الحسبان هدف المعركة التى نخوضها .
إن تقدم الإنسانية يستحق منا بعض القذارات - وإذا
لزم الأمر ، بعض الجرائم .

جيروم : إننى أفهمك يا كارنو . فأننا لا أهاجم فيك خلوك من
الشفقة . لأن العلم ، كما قلت أنت ، لا يهتم بالشفقة .
وأنا مثلك ، لا أثق بالعاطفية . ولكننى لا أثق أيضا

بالأيدولوجيات . ولما كنت أكبر منك سنا ، فإننى لم أعد
أؤمن مثلك بالتقدم البشرى . إننى رجل علم إلى درجة
لا أستطيع معها أن أؤمن دون تحفظات بإحدى
نظريائنا (لأن الأمر لا يعدو أكثر من ذلك) ومهما بلغ
إطراؤها لعبقرية الإنسان وأمله الحار ، فإننى لن أجعل
منها فى حياتى إله فوق هيك ، يتغذى على رائحة دماء
القرايين . فما من شئ مقدس فى نظرى سوى الحياة ،
الحياة الحاضرة .

كارنو : وتسلمهم حياتك ؟

جيروم : إننى أرفض ، فى سبيلها ، تسليم حياة الآخرين .

كارنو : إن حياتهم ، على أية حال ، ضائعة .

جيروم : أما حياتى فليست كذلك على الإطلاق ، إذا كانت تضع
فى مواجهة عصر دنىء حافل بالجبناء والطفاة ، روحا
طاهرة حرة .

كارنو : إننى لا أكثرث لروحك ! لكننى أتمسك بحياتك . إننى فى
حاجة إلى عقلك .

كورفوازييه ، إننا فى حاجة إلى نشاطك ، إلى عبقريتك .
إن الدولة تطالب بهما . وأنت مجند . وليس من حقك
الهروب . إنك تسلب الأمة ثمارا هى من حقها .

جيروم : إننى آسف لقطع سلسلة الأعمال التى بدأتها . إن حب
الحقيقة هو الوحيد الذى لا يخدع . إن البحث الصبور
المخلص فى سبيلها هو العرض الوحيد الذى يمكن أن

يدوم . ولكننا تعلمنا ، فى هذه السنين الأخيرة ، أن علينا دائما أن نكون على استعداد ، بين يوم وليلة ، لأن نزهد فى كل ما نملك : الثروة ، والشرف ، والسعادة ، والحب ، والعمل ، والحياة . وأنا على استعداد .

كارنو : أيها الأثنى ! إنك لا تفكر إلا فى نفسك ، وأنت تهب نفسك ! ... أنا أيضا مستعد بالنسبة لنفسى . ولكنى لست كذلك بالنسبة لك . إننى لن أذعن لذلك . كورفوازييه ! ... باسم الاحترام القديم والمشاركة فى العمل الذين يربطان بيننا ! ... اقبل شروط الخلاص والنجاة التى أحملها إليك .

جيروم : لا أستطيع .
(يبتعد)

كارنو : (يهز كتفيه) كلام نظريات ! ... غباء وعناد !
(ينتظر لحظة ، ثم يتقدم بضع خطوات نحو جيروم ، ويقدم إليه أوراقا)
خذ ! أمسك !

جيروم : (يتناول الأوراق) ما هذا ؟
كارنو : كنت متأكداً من ذلك مقدما ! إننى أعرف عناد علماء الرياضة ... هيا ، ضعها فى جيبك ! ... جوازان للسفر !
باسمين مستعارين ، لك ولزوجك . ولكن ليس هناك يوم واحد يمكن تضييعه ! غادر باريس هذا المساء ! فى

الحال ، إذا أمكن . إن مكاينكما محجوزان فى العربة
القامة ، من باريس إلى ديجون، ومن هناك إلى سان
كلود . وداعا . لا يجب أن يراكما أى إنسان بعد الآن ! .
چيروم : (متأثرا) كارنو ! ... (يشد على يده) ... ولكن فيم يفيد
الهروب ؟ سيقبض علينا فى الحال ... هل نفلت من
مخبرى اللجنة وحقد روبسبير ؟

كارنو : إنه على علم بالموضوع .

چيروم : من ؟ هو ؟

كارنو : المنزه عن الهوى والفساد . أجل . إن المبادرة جاءت من
جانبى . ولكن على الرغم من أنه تظاهر بجهله التام ،
فإننى جئت بموافقته الصامتة . إن موتك يحزننا
يا كورفوازييه . إن الجمهورية لا تحب أن تحمل جثتك
فوق ذراعيها . إنها بالغة الثقل . اخدمننا واحملها عنا ! إن
اللجنة تغمض عينيها . ولكن لا ترغمنا على إعادة
فتحهما ! لا تعرض نفسك للخطر ! فلن يغفروا لك ذلك
أبدا .

(يخرج)

المشهد العاشر

(جيروم دى كورفوازييه يجلس إلى مكتبه مفكرا . باب
حجرة صوفى يفتح بحیطة ، صوفى تظهر . تنظر إلى
الحجرة الخالية وزوجها الذى يوليها ظهره)

صوفى : (بصوت خفيض) انصرفوا ؟

جيروم : (دون أن يلتفت) نعم .

صوفى : وماذا قال لك كارنو ؟

جيروم : لا شىء . (يلتفت) لا نضيع دقائقنا فى كلام لا يفيد !
فهى محسوبة علينا .

لننظر ماذا يجب أن نقول . اقتربى يا صوفى . إن
ما ستحدث فيه الآن لا يجب أن يسمعه رجل الجانب الآخر .
(يشير إلى الباب الذى خرج منه فالليه) هذا الرجل أنت
تحبيبه ... لا تردى ! إننى أعرف . إن صراحتك أكبر من
قدرتك على إخفاء ذلك . (بعد برهة) مع أنها كانت
ضئيلة جدا لأنك لم تعترفى لى بهذا الحب (تأتى من
جديد حركة ، يوقفها) ولكنى لا ألومك على شىء .
فإذا كنت لم تستطيعى ذلك فإن أية امرأة ، مكانك ،

ما كانت لتستطيع . لأننى أعرف إخلاصك وضعف القلب . إننى أرثى لك .

(صوفى واقفة أمام چيروم الجالس ، ويداها ملتصقتان بجسمها تطأطأ رأسها عند سماع هذه الكلمات الأخيرة ، كالمحطمة)

چيروم : (يتأملها بابتسامة حزينة) كم تحببته !
صوفى : (مطأطئة الرأس) إننى أحبه .
(صمت قصير)

اغفر لى !

چيروم : أنت حرة .

صوفى : (ترفع رأسها ، تمد يديها إلى چيروم) چيروم !
أخبرنى ... ما العمل ؟

چيروم : ليس لى أن أجيبك . كل فرد يقضى فى أمر نفسه . كل يجيب لنفسه .

صوفى : ولكنك سوف تحتقرنى !

چيروم : كلا . إننى لا أشعر بحقد ولا باحتقار لأى شىء . الخطأ ليس خطأ أحد .

الخطأ هو خطأ الحياة .

صوفى : (ويداها معدودتان نحوه) ولكن أنت ، أنت سوف تتألم .

چيروم : كلا . فى مثل سننى ، فى هذا الوقت ، لن يكون لدى الوقت ، لن يكون لدى الوقت . لا تفكرى إلا فى أمر نفسك ! اهنتى ، إن استطعت ذلك .

صوفى : (بيأس) جيروم !

(واقفة ، مستنده إلى حاجز المدفئة ، تنتحب ، وجهها بين يديها . جيروم متأثراً ، ينهض ، يذهب إليها ، ينحنى بطريقة أبوية)

صوفى : (رافعة وجهها المغطى بالدموع) وا أسفاه ! لقد أحب

كل منا الآخر . فلماذا يمضى الحب ؟ لماذا يتغير الحب ؟ ... أسفة ! إننى أجرحك مرة أخرى ... أى صديقى ، إننى لم أكف عن الاحتفاظ لك بأصدق الود . وبدلاً من أن أسبب لك اليوم شقاء ، كان أحرى بى أن أتحمّل وألزم الصمت حتى الموت ... ولكن العاطفة ، كالريح العاصفة ، أقبلت وفتحت الأبواب . استولت على ، وسأقتنى . ماذا أصنع ؟ قل لى ماذا بوسعى أن أصنع ؟ هل بوسعى مقاومتها ؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل هذا جميل ؟ هل هذا فى مقدورنا نحن البشر ؟

(جيروم ينظر إليها برثاء . يبتسم لها ، فى شفقة . ثم ، يتناول من فوق المكتب جوازى السفر ، اللذين تركهما كارنو ، ويقدمهما إليها)

(صوفى تأخذهما بطريقة آلية ، وتتنظر إليهما ، دون أن تفهم)

جيروم : سترحلان ، أنتما الاثنين ، هذا المساء . هذه الأوراق

تفتح لكما أبواب باريس وطرق فرنسا حتى الحدود السويسرية . لقد عمل حساب كل شئ . التأشيرات سليمة ، والأماكن محجوزة . سيكون من السهل عليكما

أن تجعللا ملابسكما وملامحكما مطابقة للمواصفات
المدونة . اذهبي وأخبري فإليه ، استعدا بسرعة !
لا ينبغي أن يأتى هذا المساء وهو مازال هنا . اذهبي !
أنقذى حياته ، وأنقذى سعادتك !

صوفى : (وهى فريسة لاضطراب بالغ) صديقى ! ... هل تريد
ذلك ؟ هل تريد ذلك ؟

... كلا ! هذا مستحيل .

جيروم : (هادئا) يجب إنقاذ فإليه . ألا تريدان ذلك ؟

صوفى : (متأثرة) بلى أريد ذلك .

جيروم : اذهبي إذن بصحبته ! فإنه لن يرحل بمفرده . ولا ينبغي
لك ذلك . إننى أعهد بكل منكما إلى الآخر . لا تتأخرا ! ارحلا !

صوفى : (تتحنى أمام جيروم دى كورفوازيه ، تأخذ يده وتقبلها .
جيروم يريد تخليص يده . صوفى تنتصب ، ولكن نون
أن تترك يد زوجها ، يلبثان واقفين ، كل فى مواجهة
الآخر ، وكل منهما ينظر إلى الآخر)

أنت إنسان طيب ! ... ولا أستطيع أن أقبل ذلك .

جيروم : تستطيعين ذلك صراحة ، كل شئ بيننا صريح .

صوفى : لا أستطيع أن أتركك .

جيروم : لقد تركنى قلبك . صوفى ، لا نحاول أن نخادع أنفسنا !
إن قلبك مع الآخر .

صوفى : ما أشد ألى إذ أتصور أن هذا القلب ، كنت قد وهبته لك ،
وأنتى أستعيده منك اليوم ! ... إنى لا أريد ! ... يا لألى !

إن قلبي ليس ملكا لى ! ... كل شىء يفر منى ، حتى
نفسى ! ... إننى أشعر بوطأة مرور الزمن . بالأمس
كنت لك ، كنت قد وعدتك بأن أحمل أترارك وأفراحك
حتى النهاية . ثم أتخلى عنك ، وسط الطريق ، لكى
أخذ على كاهلى عبء حب يبدأ من جديد ؟ ... أه ! ما دام
يبدأ ، فسينتهى أيضا ! ... هل سيتوافر لى من الإيمان
ما يكفى لكى أقيم حياة جديدة ؟ أين أجد ثقتى فى
نفسى وفى الحياة ؟ ما أشد ألى ! ...

چيروم : إن الحياة ، التى تموت كل مساء وتبعث كل صباح ،
سرعان ما ستقدم لك النسيان والأمل . لا تفكرى بعد ذلك !
إن الوقت يمضى حثيثا .

(يدفع صوفى برقة ناحية باب الحجرة التى أغلقت على
فأليه . يضع لها جوازى السفر فى يدها)

صوفى : (التى أخذت الجوازين وتنتظر إليهما أليا . وراحت فى
تفكير عميق)

ولكن هذين الجوازين ، كيف حصلت عليهما ؟

چيروم : ما أهمية ذلك ؟

صوفى : من أين حصلت عليهما ؟

چيروم : كارتو أعطاهما لى .

صوفى : لماذا ؟ ... لماذا أعطاهما لك ؟ إنهما من أجلك ، أنت وأنا .
لنا نحن الاثنين . كان علينا إذن أن نرحل ؟ ... هناك خطر
يتهددك ! ... أنت فى خطر ! ...

چيروم : (محاولا تغيير مجرى تفكيرها) كلا ، كلا ... لا خطر على الإطلاق .

صوفى : إذا لم يكن هناك خطر فلماذا جاء يحمل إليك وسائل هروبا ؟

چيروم : هيا ؟ لا تكونى مجنونة ! لا تختلقى هموما لا وجود لها !
كفانا همومنا الحقيقية . لا تفكرى إلا فى إنقاذ من تحبين !

صوفى : من أحب ؟ ... كورفوازييه ، إننى أحمل اسمك ، إننى لازلت زوجتك . وإلى أن يفصم الرباط الذى يربطنا ، فإننى أطالب بحقى ، حقى كزوجة ، والقانون الذى احترمانه فيما بيننا دائما كالحقيقة المطلقة ... أنت مدين لى به . تكلم ولا تخف شيئا .

چيروم : (بعد صمت قصير) لقد أبلغ عنا . لقد سلمنا بايو .
إنهم يعلمون من نخفى عندنا . وسيأتون فى الليل للقبض على فالليه .

صوفى : وعليك .
چيروم : إن صداقة كارنو ستكون كفيلة بحمايتى . كفى كلاما !
استعدى للرحيل !

ارتدى ملابس ثقيلة . اجمعى الحاجيات التى لا يمكن الاستغناء عنها . إننى ذاهب لآتى بفالليه .
(يهيم بفتح الباب ، عندما يظهر فالليه ، زائغا ، وملابسه فى فوضى)

المشهد الحادى عشر

فاليه : (يلقي نظرة حوله) انصرفوا ؟

جيروم : نعم ، لكنهم سيعودون .

فاليه : (قلقا) متى ؟

جيروم : لست أدرى .

فاليه : (يجوب الحجرة ، بخطى واسعة قلقة ، ينظر من

النافذة ، ينصت للباب ، دون أن يكف عن السير) أين

الفرار ؟ أين الملجأ ؟

جيروم : أريد أن أتحدث إليك .

فاليه : (الأداء نفسه دون أن ينصت) لن أعود أبدا إلى المخبأ

الصغير الذى حبستنى فيه . إننى لا أستطيع أن أبقى

هكذا ممنوعا من الحركة ! كنت هناك ، متمددا ، محشورا

وكأنتنى فى نعشى . وكنت أسمعهم وهم يسرون داخل

الحجرة .

ولقد احتكوا بالجدار الذى كنت مختبئا فيه ، وأنا أكاد

أختنق دون أن أستطيع إتيان حركة أَدافع بها عن نفسى ...

لا أستطيع أن أتحمل ذلك ! ... لن أعود أبدا .

جـيـروم : (جلس ، هادئا) لن تعود . اسمع ما سأقوله لك .
فالليـه : تقول إنهم سيعودون ؟

جـيـروم : (هادئا) لدينا وقت لكى نتحدث .

(يشير إليه بالجلوس . فالليه يجلس ، ولكنه ، وهو
يتابع كلام كورفوازييه يرصد فى قلق الضوضاء التى فى
الخارج)

جـيـروم : (هادئا) لقد أقنعت زوجتى بالابتعاد عن باريس ، لفترة
من الوقت . إن صحتها ، منذ الشتاء ، متوعكة . ستذهب
لقضاء شهرين ببلدتها " سون " ، جهة من أعمال " كلونى " .
كان ينبغى أن أصحابها . لكن الشئون العامة لا تسمح لى
بذلك ...

صـبـوفى : (هادئة) إنهم يصعدون إلى الطابق الذى فوقنا .
(فالليه يعود إلى الجلوس)

(فالليه نهض من فوق كرسيه ، عندما سمع خطوات
تصعد السلم)

جـيـروم : (يواصل وكأـه لم يقاطع) ... إننى لا أستطيع مصاحبتها .
هاهو ذا جواز سفرى . ستذهب أنت بدلا عنى .
(مذهولا) أنا !

فالليـه : (الأداء نفسه) وهكذا ، وأنت تقوم برعايتها ، ستمر من
جـيـروم : خلال الشبكة التى نُصبت لصيدك . وما إن تصلا عند
أهلها بوصفكما اثنين من سكان "كلونى" ، حتى تصبح
قريبا من الحدود . والباقى يخصك .

(فالليه نهض ، يأخذ جواز السفر الذى يقدمه إليه
كورفوازييه ، يطويه ويفضه ، وهو من الانفعال بحيث
لا يستطيع الكلام)

(وفى خلال ما فات صوفى تنصت ، تفكر ، تنظر إلى
الرجلين ، ثم ، بلا وضوءاء ، تمزق جواز سفرها
وتلقى به فى نار المدفأة . تنهض وتذهب ناحية فالليه)

صوفى : (مخاطبة چيروم ، الذى يشير إليها بالسكوت) كلا ،
يا صديقى ، دعنى أتكلم ، لا يجب أن تخفى شيئاً .

(مخاطبة فالليه ، برقة حازمة) كلود ، إن زوجى يعلم
بشعورنا . فلقد اعترفت له . وهو من الشهامة والنبيل
بحيث ترك لى حرية الذهاب معك .

ولقد اتخذت قرارى . إننى وقد أصبحت حرة ، سأظل
بجانب زوجى . لقد وهبته نفسى ، بملء حرىتى ، إلى
الأبد . وهو لم يفقد أبداً من قيمته فى نظرى . وإننى
لا أستطيع أن أسترد نفسى منه دون أن أفقد من قيمتى .
إن النفس الكريمة لا تتنكر لذاتها أبداً . لقد أردت أن
أقاسمه محنة حياته . وما أردته لازلت أريده (تذهب إلى
زوجها وتقدم له يدها)

چيروم : (متأثراً) لم يعد من حقى أن أستبقيك . فقد أجرك
معى فى الضياع الذى يتهددنى .

صوفى : (بسرعة وبصوت خفيض) أسكت ! لا يجب أن يعرف !

فالليه : (بعزاة) آه ! إنك لم تحبينى أبداً !

صوفى : إننى أحبك ، يا فالليه . وسأظل أحبك . ولكننا إذا لم نكن قادرين على ألا نتألم من الحب ، فإننا قادرون على ألا نكون لعبة للحب .

فالليه : (بمرارة) إنك لم تحبى فى حياتك أحدا ! إنك لا تحبين سوى كبريائك .

صوفى : (برقة) صديقى ، لو لم يكن بى هذا الكبرياء ، كما تقول ، ذلك الكبرياء التعيس المجرع ، فهل كنت ستحبنى إلى هذه الدرجة ؟ هل كنت ستحبنى طويلا ، لو كنت ضعيفة ، ضائعة ، نهبا للعاطفة التى تزول وتتقضى ، جاحدة لعهدى ؟ وهل كنا سننعم بالسعادة ؟ كنا سنعيش فى فزع السعادة التى تنتهى ، والحب الذى ينوى وحينما نسأم ونمل . نعود وحيدى ذابليين .

فالليه : (عنيفا) لا يهم ! فساكون قد حصلت عليك !

صوفى : (بابتسامة حزينة) وستكون قد حطمتنى... هيا ، يجب إنقاذك ، يا عصفورى المسكين الذى وقع فريسة ! بالنسبة لبعضهم ، فانت فى هذه الساعة فريسة .

كفى كلاما ! ولنفكر فى سبل الهرب !

فالليه : إننى لا أريد أن أرحل ! لا أرحل دونك !

صوفى : لقد أحرقت جواز سفرى . ولم أعد أستطيع الرحيل .

فالليه : على الأقل ، ليس هذه الليلة ! أريد أن أقضى هذه الليلة تحت سقف دارك .

جـيـروم : إنهم يعلمون أنني أويك عندي . قبل منتصف الليل
سيقبض عليك .

فالليـه : كلا ! إنك تخدعني ! إنك تكذب !

جـيـروم : ستتأكد من ذلك . إن من الممكن أن يصلوا بين دقيقة
وأخرى .

فالليـه : هذا خطأ ! (ينصت) إننى أسمعهم ! ... كلا ... لن أرحل
أبدا ، سأبقى .

جـيـروم : (هادئا) ابق إذن ! هل أنت مستعد لأن تموت ؟
فالليـه : (وقد هزته رعدة) أموت ! ... كلا ! كلا ! لا أريد ! ...
أموت ! ... يا للفضاعة !

جـيـروم : (هادئا) يقبض عليك بعد ساعة ، ويحكم عليك صباح
الغد ، وفى المساء تعدم بالمقصلة ...

فالليـه : (خارجا عن طوره) مساء غد ، فى تلك الساعة ،
أصبح كومة من اللحم ، تلقى فى العربة ويقذف بها فى
جب الموتى ... أنا ! ... أبدا ! ... لا أريد !
... أنقذونى ! ...

(يبدو كالتائه ويرتمى عند قوائم كرسى خال ، وتظل
يداه متعلقتين بمسند الكرسي)

جـيـروم : تهيا إذن للرحيل .

(نهض ، وكذلك زوجته ، يجمع بعض الأشياء ، ملابس
وغذاء ، التى ستكون بالنسبة لفالليـه متاع سفر . فالليـه
ينهض ببطء ، يتنفس بشدة مطأطئ الرأس ، لا يجرو

على النظر إلى صديقيه الذين يروحان ويجيئان داخل
الحجرة ، يوليها ظهره وهو واقف معتمد على مسند
الكرسى ووجهه ناحية الصلاة)

فـسـالـلـيـه : إننى أشعر بالخجل ...

صـوفـى : (تذهب إليه وتلقى بمعطف فوق كتفه) سننقذك أيها الصديق !

فـسـالـلـيـه : إننى أشعر بالخجل ...

صـوفـى : (تلبسه وكأنها أمه) كلا . لا تخجل أبدا ! إننى أحب أن
تكون لديك الرغبة فى الحياة . إننى سعيدة إذ أرى أن
الحياة لازالت غالية عندك .

فـسـالـلـيـه : إننى أبغضها ، وأريدها . إننى لا أستطيع ، لا أستطيع
أن أذعن لفقدتها ... أوه أيتها الالهة ! ماذا حدث ؟ إن
المهانة تحطمنى ... صوفى ، إننى لكى ألق بك ،
تحديث ألف موت ، إننى لم أرتعد بتاتا إلا خشية
ألا أراك مرة أخرى .

والآن ، والآن ! ... لم أعد أستطيع أن أتحمل فكرة
الموت ... كلا ، لا تنظرى إلى بعينين تملؤهما الشفقة ! أى
نفور أوحى إليك به !

صـوفـى : (بصوت خفيض) أيها الصديق ، إننى لم أحبك قط
كما أحبك الآن !

فـسـالـلـيـه : آه ! إن رؤيتى لك هى التى سلبتني حميتى لأننى أدركت
من جديد قيمة الحياة التى كنت قد زهدت فيها ، لم أعد
أريد أن أتخلى عنها .

(وهو منهار)

إننى جبان ، إننى خائف .

جيسزوم : (يقبل نحوه بحنان) لا تعذب نفسك ! لا تتهم ضعفك !

إننا نعلم يا صديقى ، أنه ما من إنسان أعظم منك شهامة . ولكن هذا الرجل الشهم هو إنسان . لقد استهلكت قواك حتى المستحيل . فقد واصلت خمسة أشهر كاملة ، كفاحا يفوق طاقة البشر . وحط عليك الإرهاق على حين فجأة ، مثل الحجر . فلمست الأرض . ولكن وأنت تناضل . انسحب من الميدان . فأنت تستطيع ذلك ، مرفوع الهامة . يجب أن تفعل ذلك . غادر باريس ! اخرج من فرنسا ! اهرب من أعدائك ! اذهب واستعد قواك لمعارك جديدة .

فاللييه : (مستعيدا قوته شيئا فشيئا بفعل هذا الكلام ، ينهض

ويتهيا للرحيل)

ولكنكما ستلحقان بى ؟

جيسزوم : إننى لست مخلصاً .

فاللييه : ولكن أنت يا صوفى ... ما قولك ؟ ربما ذات يوم ؟ ...

(يتوقف فجأة وهو يلقي بنظرة خاطفة على كورفوازييه ،

ينحنى كى يقبل طويلا بى صوفى ، يتوجه ناحية الباب ، فى

لحظة الخروج ، يلتفت ، يرى كورفوازييه الذى يمد له يده ،

يرتد لحظة ، يأخذ يده ، يلقي نظرة أخيرة على صوفى)

وداعا !

(يخرج)

المشهد الثانى عشر

(چيروم دى كورفوازييه وصوفى يمكثان وحدهما . وقد حل الليل تماما .

چيروم لا يزال ينظر إلى الباب الذى خرج منه فالليه . صوفى ، وهى تقترب من النافذة ، تنظر من خلال الستائر)

چيروم : (بطيبة) أعتقد أن الولد الطيب قد قدر قصر أيامى .

(يتوجه ناحية المدفأة ويشعل لها)

صوفى : (تترك مكانها الذى تراقب منه ، تقبل نحو المدفأة ،

بسخرية يشوبها ود وكآبة)

لكنه لم يدرك قدر أيامى .

(تلتفت إلى زوجها وتمد له يديها . يتناولها وينظر إليها

بحنان)

چيروم : أأست نادمة على شىء ؟

صوفى : هل أمر القبض أكيد ؟

چيروم : ليست هناك أية فرصة للهرب .

صوفى : إذن كل شىء على ما يرام . .

(تخلص يديها ، يجلسان ، حول النار التى تخمد !)

جيروم : سهرتنا الأخيرة .

صوفى : إننى أشعر بارتياح . لم أعد مشغولة باتخاذ أى قرار ،
لم يعد على أن أخوض أية معارك . لم أعد أرغب فى
شئ ، لم يعد هناك إلا أن أستسلم للأشياء التى تريد
بدلا عنا ، لجدول الليل .

(جيروم يقترب منها ويتأملها بود صادق . تضع رأسها
فوق كتف زوجها . وهى جالسة بالقرب منه ، سيقانها
تتلامس وأيديهما ثابتة فوق سيقانها : يلمان
ويبتسمان ، وهما ينظران إلى النار . كل الحوار الآتى
تقريبا يقال بصوت خفيض)

صوفى : (بحنان وهدهد) زوجى الطيب العزيز ، يا من كنت
تضحى بنفسك فى سبيلى ، بكل هذه البساطة !

جيروم : ليس من التضحية فى شئ أن نريد سعادة من نحب .

صوفى : إننى سعيدة الآن .

جيروم : تريد أن تواسينى .

صوفى : (هادئة ، بطيئة ولكن عند الكلام الأخير تنتابها رعدة
خفيفة)

كلا ، يا صديقى ، إننى أقول الحقيقة . لقد تركت
أشجانى على الشاطئ الآخر الذى تركناه . آه ! آه
ما أعظم ارتياحى إذ أراها تبتعد ، ورأسى فوق كتفك !
ابق ! لا تتحرك ! وهذا الجحيم البشرى ، ونزواته ومخاوفه ! .

جـيـروم : لم يسأم منها بعد صديقنا فالليه .
صـوفى : (الأداء نفسه ، وابتسامة خفيفة على شفثيها) الشاب
المسكين ! ... نعم ، كم كان متلهفا للخوض فيها من
جديد ! ... هل تظن أنه سينجح فى الهرب ؟

جـيـروم : أتعشم ذلك .
صـوفى : يا للسعادة ! ... لكننى أخشى عليه من الحزن حينما يعلم
بمصيرنا .

جـيـروم : ستكون الحياة هى الأقوى .
صـوفى : نعم ! أظن ذلك ... مسكين يا فالليه !
جـيـروم : هل تذكرين ، يا صوفى ، أمسياتنا الطويلة ، هنا فى
هذه الحجرة ؟ أنا جالس قرب المنضدة ، أقرأ ، وأنت
تنظرين إلىّ وأنا أعمل ، وأنا أنظر إليك وأنت تحلمين ،
وكلانا كان يحلم : لأن كل شيء ، الأفكار ، الأعمال ،
العلم ، الحب ، كلها حلم ، وكل بدوره ، يقدم لصاحبه
أحلامه ، وغالبا ، عندما كانت تصادفنى المصاعب ،
كنت ألجأ إلى فكر الصافى ، يا ناصحتى الطيبة ...

صـوفى : إننى أذكر كل شيء ، منذ أول مساء دخلت فيه وأنا
شابة هذا المنزل القديم .
كنا متزوجين حديثا ومع أنك كنت محاطا بالمجد ، فقد
كنت خائفا منى ، لأننى كنت شابة ، ولأنك لم تعد كذلك .
حينئذ ، كنا وحدنا ، فاقتربت منى وقلت لى بصوت
خفيض : " اغفرى لى أنى أحبك " .

جـيـروم : هل غفرت لى ؟

صـوفى : لقد سرى خلال قلبى عرفان ، عثرت عليه من جديد ،
هذا المساء ، هذا المساء الأخير . اغفر لى ، أنت ، أنى
نسيت .

(تقدم جبهتها لجيروم الذى يقبلها)

جـيـروم : أنا أيضا يا صوفى ، كنت قد نسيت نفسى ، كنت قد
نسيت واجبى من الشجاعة والصرافة . فى أية حال من
الضعف كنت لا أزال هذا المساء عندما عدت ! إن
الشعور بأنى فقدتك هو الذى أعاد إلى قوة قرارى .

صـوفى : كنا قد ضللنا - كلانا - فى متاهة هذا العالم المعذب ...
تباركت هذه الساعة الأخيرة التى جعلت كلينا يعثر على
صاحبه ، وعلى نفسه !

جـيـروم : والآن لتسدل الستارة . لقد وصلنا ... اسمعى ! فى
الشارع الخالى ، خطوات القادمين ...

صـوفى : (وقد استيقظ قلقها) وكل مشروعاتنا الكبرى ، وكل آمالنا
الخائبة ، وكل أعمالنا المحطمة ، كل ما يموت معنا ...

جـيـروم : (منصتا) إنهم يصعدون السلم ...

صـوفى : (بقلق) لو أننا على الأقل تركنا من بعدنا ، طفلا ! ...
لماذا ، لماذا وهبت لنا الحياة ؟

جـيـروم : (حازما) لكى نقهرها .

(صمت . ينهضان . صوفى ، معتمدة على جيروم ،

تتنظر إليه وتبتسم ، راضية - لا ينفصلان حتى النهاية ،

يقفان متقابلين ، رأس صوفى على كتف چيروم ، ينظر
كل منهما إلى الآخر . لا يعيران انتباها حتى للباب الذى
يفتح)

(تسمع أصوات مقبلة)

صوفى : (باكتئاب باسم) نقهرها ... وداعا ، يا صديقى " الغار
قطف ... "

(يطرق الباب بعنف)

چيروم : (بحنان بالغ) وهذه الجميلة ستذهب لجمعه ... "
صوفى : (وهى تشير فوق المنضدة إلى غصن زنبقة متروك منذ
مشهد البداية)

كلا ، بل أعطنى هذا العنقود النضير الذى يموت ، هذه
الزنبقة .

(كورفوازييه يعطيها الغصن المزدهر . تطبع عليه قبلة)
(الباب يفتح ... تدخل مجموعة من الرجال المسلحين)

النهاية

المترجم فى سطور

حماده إبراهيم محمد إسماعيل

دكتوراه الدولة من جامعة السوربون

رئيس قسم اللغة الفرنسية بمركز اللغات والترجمة بأكاديمية
الفنون ، مؤلف ومترجم وناقد مسرحى .

فى مجال الترجمة ترجم الأعمال الكاملة للكاتب المسرحى الفرنسى
أوجين بونسكو (٣٤ مسرحية) ، والأعمال المسرحية الكاملة للكاتب
الفرنسى ألفريد جارى . وعشر مسرحيات لجان تارديو وبعض
مسرحيات الإيطاليين إدوارد دى فيليبو وداريو فو . كما شارك فى
ترجمة ومراجعة موسوعة وصف مصر .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقي جلال	جورج جيمس	التراث المسروق	٣-
أحمد الحضرى	انجا كاريتنيكوف	كيف تتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل نصيح	ثريا فى غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ورواء كامل فايد	ميلكا إفيتش	اتجاهات البحث اللسانى	٦-
يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودى	التغيرات البيئية	٩-
محمد. منتمم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى	جيرار جينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هنا عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١٣-
حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيفى	إبنوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
بإشرافه أحمد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر السائى فى أمريكا اللاتينية	١٨-
نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة	١٩-
يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العنانى	صمد بهرنجى	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	٢١-
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	٢٢-
سميد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلي الجميل	٢٣-
بكر عباس	باتريك بارندر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى	٢٥-
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام	٢٦-
بإشرافه: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشرى الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة فى التسامع	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عبد الستار الطرعى وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	٣١-
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	الانقراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هوبكنز	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	٣٣-
حصه إبراهيم المنيف	روجر ألن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	بول ب. ديكسون	الأسطورة والحداثة	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثة	٣٦-

٣٧-	وأحة سبوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مقيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بتجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	الذهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدي أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بايلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	ه. ت. نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمان الميولد ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإنسانية أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بيناليستي	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التذمعي	ب. نوقاليس وس. روجسيفيتز ووجر بيل	لطفي قطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ. ف. ألنجنون	مرسي سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج. مايكل والتون	محسن مصباحي
٥٥-	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	بمحمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونيث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذة النص	رولان بارت	محمد خير البقاعي
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد العليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدي أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العلم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت. س. إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب. تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمالিক فى مصر	ل. إ. سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أنثريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاء لكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويلك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولة النظرية الاجتماعية والثقافة الكوبية	رونالد روبيرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	يوريس أوسينسكى	سعيد الغامى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بنذكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الآداب والنقد (ج١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شحبة
٨٥-	منصور العلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنطونى جينز	أحمد زايد ومحمد محبى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وأخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونيك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب وضاهى المسرح الإسباني أمريكى المعاصر	كارلوس ميغيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحتنا الحب الأول والصحبة	سمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو بايخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنيقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إنوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساطة العولة	بول هيرست وجراهام تومسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليت	رشيد بنحو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ما هوجنى (مسرحية)	برتول بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الآداب الأندلسى	ماريا خيسوس روبيرامتى	أشرف على دعور
١٠٧-	سيرة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانث
 ١١٤- مسرحيتا حماد كونجى سكان المستنقع رول شوينكا
 ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
 ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا تلسون
 ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد
 ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث بارون
 ١١٩- النساء والاسرة وقواعد الخلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل
 ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
 ١٢١- الأدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
 ١٢٢- نظام العصرية القديم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت
 ١٢٣- الإمبراطورية العشائرية وعلاقاتها الدولية أننيل ألكسندرو فنادولينا
 ١٢٤- الفجر الكاذب أوهام الرأسمالية العالمية جون جراى
 ١٢٥- تحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديفى
 ١٢٦- فعل القراءة فولفانج إيسر
 ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى
 ١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت
 ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا بولورس أسيس جارتو
 ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندرفرانك
 ١٣١- مصر القيمة التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين
 ١٣٢- ثقافة العولمة مايك فيذرستون
 ١٣٣- الخوف من الماريا (رواية) طارق على
 ١٣٤- تشريع حضارة بارى ج. كيمب
 ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت
 ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو
 ١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه
 ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان
 ١٣٩- باريسقال (مسرحية) ريتشارد فاچنر
 ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هيربرت ميسن
 ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
 ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
 ١٤٣- قضايا التطوير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر
 ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولدونى
 ١٤٥- ... تيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس
 ١٤٦- ... (رواية) ميغيل دى ليبس
 ١٤٧- ... تانكريد دورست
 ١٤٨- نسخة القصيدة النظرية والتقنية إنريكي أندرسون إمبرت
 ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأودونيس عاطف فضول
 ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
- أحمد حسان
 نسيم مجلى
 سميرة رمضان
 نهاد أحمد سالم
 منى إبراهيم وهالة كمال
 ليس النقاش
 بإشراف: روف عباس
 مجموعة من المترجمين
 محمد الجندى وإيزابيل كمال
 منيرة كروان
 أنور محمد إبراهيم
 أحمد فؤاد يليم
 سمحة الخولى
 عبد الوهاب غلوب
 بشير السباعى
 أميرة حسن نويرة
 محمد أبو العطا وأخرون
 شوقى جلال
 لويس يقطر
 عبد الوهاب غلوب
 طلعت الشايب
 أحمد محمود
 ماهر شفيق فريد
 سحر توفيق
 كاميليا صبحى
 وجيه سمعان عبد المسيح
 مصطفى ماهر
 أمل الجبورى
 نعيم عطية
 حسن بيومى
 عدلى السمرى
 سلامة محمد سليمان
 أحمد حسان
 على عبدالرؤف الببمى
 عبدالغفار مكارى
 على إبراهيم منوفى
 أسامة إسبر
 منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام القرائنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال ولان وأوديت فيرمو	مى التلمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزیز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسويى	صلاح عبدالعزیز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (ج١)	جوردون مارشال	بإشراف. محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاکوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسييفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين القنيتين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رايندرنا طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل ديليبس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرائك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	جبر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التيغزبون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حمدة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	الفن الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الستينيات	فنتسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	الغف والتبوءة (شعر)	و.ب. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العنصرى
١٨٤-	القاهرة: حالة لا تتام	هانز إيندورفر	دسوقي سميد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرض (رواية)	بُرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كورنان	بدر الديب

سعيد الغانمي	بول دي مان	الصي والبصرة مقالات في بلاغة النقد المعاصر	١٨٩-
محسن سيد فرجاني	كونفوشيوس	محاورات كونفوشيوس	١٩٠-
مصطفى حجازي السيد	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	الكلام وأسمال وقصص أخرى	١٩١-
محمود علاوي	زين العابدين الراعي	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	١٩٢-
محمد عبد الواحد محمد	بيتر أبراهامز	عامل النجم (رواية)	١٩٣-
ماهر شفيق فريد	مجموعة من النقاد	مختارات من النقد الأتلول-أمريكي الحديث	١٩٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	شتاء ٨٤ (رواية)	١٩٥-
أشرف الصباغ	فالتين راسبوتين	المهلة الأخيرة (رواية)	١٩٦-
جلال السعيد الحفناوي	شمس العلماء شبلي النعماني	سيرة الفاروق	١٩٧-
إبراهيم سلامة إبراهيم	إبرون إمري وآخرون	الاتصال الجماهيري	١٩٨-
جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد الطيف حماد	يعقوب لاندازو	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	١٩٩-
فخرى لبب	جيرمي سبيروك	ضحايا التنمية المقاومة والبدائل	٢٠٠-
أحمد الأنصاري	جوزايا رويس	الجانب الديني للفلسفة	٢٠١-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٤)	٢٠٢-
جلال السعيد الحفناوي	الطاف حسين حالي	الشعر والشاعرية	٢٠٣-
أحمد هويدي	زلمان شاراز	تاريخ نقد العهد القديم	٢٠٤-
أحمد مستجير	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	الجيئات والشعوب واللغات	٢٠٥-
علي يوسف علي	جيمس جلايك	الهيولية تصنع علماً جديداً	٢٠٦-
محمد أبو العلا	رامون خوتاسندير	ليل أفريقي (رواية)	٢٠٧-
محمد أحمد صالح	دان أوريان	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	٢٠٨-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	السرد والمسرح	٢٠٩-
يوسف عبد الفتاح فرج	سنائي الغزنوي	مثنويات حكيم سنائي (شعر)	٢١٠-
محمود حمدي عبد الفتى	جوناثان كلور	فرديتان دوسوسير	٢١١-
يوسف عبدالفتاح فرج	مرزيان بن رستم بن شروين	قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان	٢١٢-
سيد أحمد علي الناصري	ريمون فلور	مصر منذ قدم تاليلون حتى رحيل عبد الناصر	٢١٣-
محمد محيي الدين	أنتوني جيندنز	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	٢١٤-
محمود علاوي	زين العابدين الراعي	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	٢١٥-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	جوانب أخرى من حياتهم	٢١٦-
نادية البنهاوي	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	مسرحيتان طليعتان	٢١٧-
علي إبراهيم منوفي	خوليو كورتاغان	لعبة المجلة (رواية)	٢١٨-
طلعت الشايب	كازو إيشيجورو	بقايا اليوم (رواية)	٢١٩-
علي يوسف علي	باري باركر	الهيولية في الكون	٢٢٠-
رفعت سلام	جريجوري جوزداتيس	شعرية كفافى	٢٢١-
نسيم مجلى	رونالد جراي	فرانز كافكا	٢٢٢-
السيد محمد نقادى	باول فيرايند	العلم في مجتمع حر	٢٢٣-
منى عبدالظاهر إبراهيم	برانكا ماجاس	دمار يوغسلافيا	٢٢٤-
السيد عبدالظاهر السيد	جابريل جارتيا ماركيت	حكاية غريق (رواية)	٢٢٥-
طاهر محمد علي البربري	ديفيد هريت لورانس	أرض المساء وقصائد أخرى	٢٢٦-

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه ماريا ديث بوريكي	٢٢٧-	السرور الإسباني في القرن السابع عشر
ماري تيريزين عبدالمسيح وخالد حسن	جانيت وولف	٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيغان	٢٢٩-	مازق البطل الوحيد
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز جاكوب	٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	٢٣١-	الرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	٢٣٢-	ما بعد المعلومات
طلعت الشايب	آرثر هيرمان	٢٣٣-	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي
فؤاد محمد عكود	ج. سينسر تريمنجهام	٢٣٤-	الإسلام في السودان
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	٢٣٥-	ديوان شمس تبریزی (ج١)
أحمد الطيب	ميشيل شودكفيتش	٢٣٦-	الولاية
عنايات حسين طلعت	روين فيدين	٢٣٧-	مصر أرض الوادي
ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد	تقرير لمنظمة الانكباد	٢٣٨-	العولمة والتحرير
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فائق	جيلا راماز - رايوخ	٢٣٩-	العربي في الأدب الإسرائيلي
صلاح محبوب إدريس	كاي حافظ	٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
ابشام عبدالله	ج. م. كوتزي	٢٤١-	في انتظار البرابرة (رواية)
هبري محمد حسن	وليام إميسون	٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)
نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكييل	٢٤٤-	الغليان (رواية)
توفيق علي منصور	إليزابيتا أديس وآخرون	٢٤٥-	نساء مقالات
علي إبراهيم منوفي	جابريل جارثيا ماركيث	٢٤٦-	مختارات قصصية
محمد طارق الشراوى	والتر أرميرست	٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر
عبداللطيف عبدالحليم	أنطونيو جالا	٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)
رفعت سلام	دراجو شتامبوك	٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)
ماجدة محسن أباطة	دومنيك فينك	٢٥٠-	علم اجتماع العلوم
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
علي بدران	مارجو بدران	٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية
حسن بيومي	ل. أ. سيمينوفا	٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وجودي جروفز	٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وجودي جروفز	٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وكريس جارات	٢٥٦-	أقدم لك: ديكرات
محمود سيد أحمد	وليم كلى رايت	٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة
عبادة كحيلة	سير أنجوس فريزد	٢٥٨-	الفجر
فاروجان كازانجيان	نخبة	٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمي عبر العصور
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (ج٣)
إمام عبد الفتاح إمام	زكي نجيب محمود	٢٦١-	رحلة في فكر زكي نجيب محمود
محمد أبو العلا	إنوارو مندوثا	٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)
علي يوسف علي	چون جرين	٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن
لويس عوض	هوراس ويلي	٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة

روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض	٢٦٥-
مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمعتم على	٢٦٦-
فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروذكي	٢٦٧-
ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا	٢٦٨-
وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن	٢٦٩-
وسط الجزير العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن	٢٧٠-
الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سي. باترسون	شوقي جلال	٢٧١-
الأديرة الأثرية في مصر	سي. سي. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم	٢٧٢-
الاصول الاجتماعية والثقافية لحركة عراس في مصر	جوان كول	عنان الشهاوي	٢٧٣-
السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود علي مكي	٢٧٤-
ت. س. إلبرت شامير، رنقاذ، وكاتأ مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد	٢٧٥-
فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التمساني	٢٧٦-
الحيئات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي	٢٧٧-
الديابات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله	٢٧٨-
الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب	٢٧٩-
الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبد الحميد إبراهيم	٢٨٠-
الفربوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوي	٢٨١-
طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس رولبرت	سمير حنا صادق	٢٨٢-
السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	علي عبد الرزوق اليمبي	٢٨٣-
هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوربيديس	أحمد عثمان	٢٨٤-
رحلة خواجه حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم	٢٨٥-
سياحت نامه إبراهيم بك (ج٣)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي	٢٨٦-
الثقافة والعولة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون	٢٨٧-
الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي	٢٨٨-
ديوان منوچهری الدامغانی	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمعتم	٢٨٩-
علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم	٢٩٠-
تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩١-
تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩٢-
مقدمة للآداب العربي	روجر آلن	مجدي توفيق وآخرون	٢٩٣-
فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت	٢٩٤-
سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب	٢٩٥-
مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي	٢٩٦-
فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور	٢٩٧-
مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد	٢٩٨-
ثورة في التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد	٢٩٩-
أسطورة بينشيس في العهد الإسلامي والعرفس (ج١)	لويس عوض	جمال الجزيري وبها. جاهين وأربيل كمال	٣٠٠-
أسطورة بينشيس في العهد الإسلامي والعرفس (ج٢)	لويس عوض	جمال الجزيري ومحمد الجندي	٣٠١-
أقدم لك: فنجنشتين	جون هينتون وجودي جروفر	إمام عبد الفتاح إمام	٣٠٢-

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بايينو وهوارد سليلنا	محمود مكي
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورن فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	راج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديوبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجميدى
٣١٤-	مارسيل بوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسليم مجلى
٣١٧-	بلاغد	س. شير لايومفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الادب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى اسبيفال وكريستوفر نوريس	حسام نابل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٢، ١)	ليفى برو فنسال	بباشراف. صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دليلو يوجين كلينباور	خالد مقلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (ج١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السريدين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحي العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

حسن حلمي	رايتر ماريا رلكه	قصائد من رلكه (شعر)	٣٤١-
عبد العزيز بقروش	نور الدين عبدالرحمن الجامي	سلامان وأيسال (شعر)	٣٤٢-
سمير عبد ربه	نادين جورديمر	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	٣٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيو	الموت في الشمس (رواية)	٣٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	بونه ندائي	الركض خلف الزمان (شعر)	٣٤٥-
جمال الجزيري	رشاد رشدي	سحر مصر	٣٤٦-
بكر الحلو	جان كوككو	الصبية الطائشون (رواية)	٣٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كوبريلي	المتصورة الأولى في الأدب التركي (ج١)	٣٤٨-
أحمد عمر شاهين	أرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٣٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٣٥٠-
أحمد الانصاري	جوزايا رويس	مبادئ المنطق	٣٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٣٥٢-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو يابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس الزخرفة الهندسية	٣٥٣-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو يابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس الزخرفة النباتية	٣٥٤-
محمود علاوي	حجت مرتجي	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	٣٥٥-
بدر الرفاعي	بول سالم	الميراث المر	٣٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثي فريك وبيتر غاندي	متون هرمس	٣٥٧-
مصطفى حجازي السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامة	٣٥٨-
حبيب الشاروني	أفلاطون	محاوره بارمنيدس	٣٥٩-
ليلى الشربيني	أندريه جاكوب ونويلا باركان	أنثروبولوجيا اللغة	٣٦٠-
عاطف معتمد وأمال شاور	آلان جرينجر	التصحر: التهديد والمجابة	٣٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شبورل	تلميذ بابنبرج (رواية)	٣٦٢-
صبري محمد حسن	ريتشارد جيبسون	حركات التحرير الأفريقية	٣٦٣-
نجلاء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حدائق شكسبير	٣٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بودليير	سام باريس (شعر)	٣٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع الثئاب	٣٦٦-
البراق عبدالمهادي رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجريء	٣٦٧-
عابد خزندار	جيرالد برنس	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	٣٦٨-
فوزية العشماوي	فوزية العشماوي	المرأة في أدب نجيب محفوظ	٣٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليرلا لويت	الفن والحياة في مصر الفرعونية	٣٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كوبريلي	المتصورة الأولى في الأدب التركي (ج٢)	٣٧١-
وحيد السيد عبدالحيد	وانغ مينغ	عاش الشباب (رواية)	٣٧٢-
علي إبراهيم منوفي	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة مكتورة	٣٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	اليوم السادس (رواية)	٣٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٣٧٥-
إيوار الخراط	جان أنوي وآخرون	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	٣٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إنوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	٣٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٣٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٣٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جونتر جراس	٣٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٣٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادی	بهاء الدين محمد إسفنديار	٣٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٣٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادارد	٣٨٥- مشترى العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٣٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء چاهين	چون دن	٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٣٨٨- مواظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. روبرتس	٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٣٩١- الحافلة الليلية (رواية)
عبداللطيف عبدالحليم	فرناندو دي لاجرانجا	٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيري	ندوة لويس ماسينيون	٣٩٣- في قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٣٩٤- القوى الأربع الأساسية في الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٣٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٣٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتي شين	٣٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٣٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	٣٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
مملوح عبد المنعم	زياودن ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
مملوح عبد المنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكينج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان في القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فونشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغفرة	كارل بوبر	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينيغر أكرمان	٤١١- همس من الماضي
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٢، ٣- ج. ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوف	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العشانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشينخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسليم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميخاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء، والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسرارات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق.(شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثرىا شلبى
٤٢٨-	الخرانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سينسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليوفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجوى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زديرج	ناجي رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كويلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبللى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبيرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروسناد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللفة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستينغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	هسالم علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز نائل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وديبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	محى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	بسوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كويلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسني (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء في الفكر السياسي الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	المويسكيون الأندلسيون	مرويديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود ولتيزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك. لكن	داريان ليدر وجوى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السودان	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الثورة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية اللثة	مايكل بارنتى	حصه إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب ويطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة سيد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرنيسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)	ثلاثة من الرحالة	سيد الله عبد الرزاق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانييلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض العباب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصحن منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهسى (مسرحية)	لاى شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساي ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياكوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبابدى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هسّرل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هسّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسماء البقاع	محمد قادري	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفرقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

محند صالح الضالع	هارولد بالمر	خطابات إلى طالب الصوتيات	٤٩٣-
شريف الصيفي	نصوص مصرية قديمة	كتاب الموتى: الخروج في النهار	٤٩٤-
حسن عبد ربه المصري	إدوارد تيفان	اللوبي	٤٩٥-
مجموعة من المترجمين	إكادو بانولي	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	٤٩٦-
مصطفى رياض	نادية العلي	الطعمانية والنوع والذوق في الشرق الأوسط	٤٩٧-
أحمد علي بدوي	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	٤٩٨-
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	٤٩٩-
طلعت الشايب	تيتز روكي	في طقوس: دراسة في السيرة الذاتية العربية	٥٠٠-
سحر فراج	آرثر جولد هامر	تاريخ النساء في الغرب (ج١)	٥٠١-
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	أصوات بديلة	٥٠٢-
محمد نور الدين عبدالمعتم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	٥٠٣-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج١)	٥٠٤-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج٢)	٥٠٥-
عبدالحاميد فهمي الجمال	آن تيلر	ربما كان قديساً (رواية)	٥٠٦-
شوقي فهمي	بيتر شيفر	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	٥٠٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقي جلبنارلي	المولوية بعد جلال الدين الرومي	٥٠٨-
قاسم عبده قاسم	آدم صبرة	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	٥٠٩-
عبدالرازق عيد	كارلو جولوني	الأرملة الماكرة (مسرحية)	٥١٠-
عبدالحاميد فهمي الجمال *	آن تيلر	كوكب مرعق (رواية)	٥١١-
جمال عبد الناصر	تيموثي كوريغان	كتابة النقد السينمائي	٥١٢-
مصطفى إبراهيم فهمي	تيد أنتون	العلم الجسور	٥١٣-
مصطفى بيومي عبد السلام	چونثان كولر	مدخل إلى النظرية الأدبية	٥١٤-
فدوى مالطي بوجلاس	فدوى مالطي بوجلاس	من التقليد إلى ما بعد العداثة	٥١٥-
صبري محمد حسن	أرنولد واشنطن وديونا باوندي	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	٥١٦-
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	نقش على الماء وقصص أخرى	٥١٧-
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	استكشاف الأرض والكون	٥١٨-
أحمد الأنصاري	جوزايا رويس	محاضرات في المثالية الحديثة	٥١٩-
أمل الصبان	أحمد يوسف	الولع الفرنسي بمصر من العلم إلى المشروع	٥٢٠-
عبدالوهاب بكر	آرثر جولد سميث	قاموس تراجم مصر الحديثة	٥٢١-
علي إبراهيم منوفي	أميركو كاسترو	إسبانيا في تاريخها	٥٢٢-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو يابون مالدونادو	الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	٥٢٣-
محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	الملك لير (مسرحية)	٥٢٤-
نادية رفعت	دنيس جونسون	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	٥٢٥-
محيي الدين مزيد	ستيفن كروول ووليم رانكين	أقدم لك: السياسة البيئية	٥٢٦-
جمال الجزيري	ديفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب	أقدم لك: كافكا	٥٢٧-
جمال الجزيري *	طارق علي وفيل إيفانز	أقدم لك: تروتسكي والماركسية	٥٢٨-
حازم محفوظ وحسين نجيب المصري	محمد إقبال	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	٥٢٩-
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	منخل عام إلى فهم النظريات التراثية	٥٣٠-

٥٣١-	ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشراوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لبا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكتجوى	عبدالعزیز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالفار مكارى
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلز	محمد الحديدي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رؤف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مخفنة من الآداب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: سيلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسميس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وأن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبين ويون فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كويلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم ويبرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	على عبد الرؤوف اليمبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالمسيح عمر زين الدين
٥٥٥-	إستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أنتوني أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كزولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زويدون سارداروبوين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال انسعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال انسعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين ويلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	روود الخريف (مسرحية)	خايننتو بينابيتتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عش الغريب (مسرحية)	خايننتو بينابيتتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبور ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المقتضب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩ - موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠ - دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١ - تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢ - الطب في زمن الفراعنة	برونو ألبوا	كمال السيد
٥٧٣ - أقدم لك: فرويد	ريتشارد أيجنثانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤ - مصر القديمة في عين الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥ - الاقتصاد السياسي للعملة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦ - فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧ - مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨ - الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩ - أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودي جرونز	محبي الدين مزيد
٥٨٠ - دائرة المعارف الدولية (مج ١)	جور نيزر وبول سترجرز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١ - ألحقى يمتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢ - مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣ - الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤ - سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥ - الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦ - السينما العربية والأفريقية	ليزييت مالمكوس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧ - تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدي
٥٨٨ - أمموت الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩ - تمبكت العجبية (رواية)	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠ - أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١ - الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالقواب على وصالح رمضان السيد
٥٩٢ - الثورة المصرية (ج١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣ - قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الحلو
٥٩٤ - القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥ - الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦ - الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧ - مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨ - مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي على قنديل
٥٩٩ - فلسفة الشرق	هرداد مهري	محمود علاوى
٦٠٠ - الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١ - النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢ - ليوناردو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣ - النقد الثقافى	آرثر أيزنبرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس
٦٠٤ - الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥ - مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبورسكى (الصفير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦ - قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدججة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم متوفى
٦١١-	الفن والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولين مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى راحت من بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩	أليس بيسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	ألفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نمو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيليبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	الثوب المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبیه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادير جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد براءة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلز داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولا جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	العب وقنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكويدي وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنسالى
٦٣٥-	التبثيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج بولنده	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شامعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	مدوح عبد النعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدرايبادى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية وسابرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب غلوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سمير ذبيح	عبد الوهاب غلوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نيتيه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الغلبة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب غلوب
٦٥١-	ديليسيب الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبيان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستتر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاني
٦٥٧-	محاكم التفتيش والمؤرخيون	مرشديس غارثيا أرنال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالدبيار	صبرى التهامي
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وأنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد القاسم ومدحت الجبار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الآزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	رول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولوين	على عبد الأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إيتهاال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الغمىنى	آية الله العظمى الغمىنى	محمد علاه الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (ج٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (ج٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	رول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

صبرى محمد حسن	ت. م. ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأعمال القصصية الكاملة (٦ أجزاء)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأعمال القصصية الكاملة (المصممة) (٢ أجزاء)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امراة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة الغنائى	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تادوش روجيفيتش	الملف (مسرحة)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتاين: حياته وفرايماته	٦٩١-
حمدي الجابرى	ريتشارد أ. بيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حانيم برشيت وآخرون	أقدم لك القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدي الجابرى	جيف كوايفر وبيل مايرلين	أقدم لك ديدا	٦٩٤-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبد الفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروفس	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبد الفتاح إمام	ليود سينسر وأندريجي كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمه عبدالرحمن	ماريو فرجاش	الكاتب وواقعه	٧٠٠-
منى اليرنس	وليم رود فيفيان	الذاكرة والحدائق	٧٠١-
محمود علاوى	أحمد وكيليان	الأعمال الفارسية	٧٠٢-
أمين الشواربى	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (٢ أجزاء)	٧٠٣-
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	فيه ما فيه	٧٠٤-
عبد الحميد مذكور	الإمام الغزالى	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	٧٠٥-
عزت عامر	جونسون ف. يان	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	٧٠٦-
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليبج وآخرون	أقدم لك: فالتر بنيامين	٧٠٧-
رؤف عباس	دونالد مالكونم ريد	فراغة من؟	٧٠٨-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	معنى الحياة	٧٠٩-
دعاء محمد الخطيب	يان هاتشبائ وجوموران إليس	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	٧١٠-
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	درة التاج	٧١١-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (١ أجزاء)	٧١٢-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (٢ أجزاء)	٧١٣-
حناء صاره	لامنيه	ميراث الترجمة: حديث القلوب	٧١٤-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (١ أجزاء)	٧١٥-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (٢ أجزاء)	٧١٦-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (٣ أجزاء)	٧١٧-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (٤ أجزاء)	٧١٨-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (٥ أجزاء)	٧١٩-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (٦ أجزاء)	٧٢٠-
مصطفى لييب عبد الفتى	ه. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)	٧٢١-

الصفحة وقصص أخرى	٧٢٢-
تحديات ما بعد الصهيونية	٧٢٣-
اليسار الفرويدي	٧٢٤-
الاضطراب النفسي	٧٢٥-
المؤرخون في المغرب	٧٢٦-
حلم البحر (رواية)	٧٢٧-
العولمة: تدمير العمالة والنمو	٧٢٨-
الثورة الإسلامية في إيران	٧٢٩-
حكايات من السهول الأفريقية	٧٣٠-
النوع الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	٧٣١-
قصص بسيطة (رواية)	٧٣٢-
مأساة عطيل (مسرحية)	٧٣٣-
يونانيرت في الشرق الإسلامي	٧٣٤-
فن السيرة في العربية	٧٣٥-
التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (ج١)	٧٣٦-
الكوارث الطبيعية (مج٢)	٧٣٧-
دشيق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	٧٣٨-
دشيق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة العاصرية	٧٣٩-
خطابات القوة	٧٤٠-
الإسلام وأزمة العصر	٧٤١-
أرض حارة	٧٤٢-
الثقافة: منظور دارويني	٧٤٣-
ديوان الأسرار والرموز (شعر)	٧٤٤-
المآثر السلطانية	٧٤٥-
تاريخ التحليل الاقتصادي (مج١)	٧٤٦-
الاستعارة في لغة السينما	٧٤٧-
تدمير النظام العالمي	٧٤٨-
إيكولوجيا لغات العالم	٧٤٩-
الإلياذة	٧٥٠-
الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي	٧٥١-
ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	٧٥٢-
التعمية والقيم	٧٥٣-
الشرق والغرب	٧٥٤-
تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين	٧٥٥-
ذات العين الساحرة	٧٥٦-
تجارة مكة	٧٥٧-
الإحساس بالعولمة	٧٥٨-
النثر الأردني	٧٥٩-
الدين والتصور الشعبي للكون	٧٦٠-
يشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري
إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
بول روبنسون	عبد الريس
جون فينكس	مى مقلد
غريمو غوثاليس بوستو	مروة محمد إبراهيم
باچين	وحيد السعيد
موريس أليه	أميرة جمعة
صادق زيبا كلام	هويدا عزت
أن جاتي	عزت عامر
مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
إنجو شولتس	سمير جريس
وليم شكسبير	محمد مهدي طغى بدوى
أحمد يوسف	أمل الصبان
مايكل كوبرسون	محمود محمد مكي
هوارد زن	شعبان مكاي
باتريك ل. أبوت	توفيق علي منصور
جيرار دى جورج	محمد عواد
جيرار دى جورج	محمد عواد
باري هندس	مرفت باقوت
برنارد لويس	أحمد هيكل
خوسيه لاکوادرا	رزق بهنسى
روبرت أونجر	شوقي جلال
محمد إقبال	سمير عبد الحميد
بيك الدنبل	محمد أبو زيد
جوزيف آ. شوميتز	حسن النعمى
تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
فرانسيس بويل	سمير كريم
ل.ج. كافيه	باتسي جمال الدين
هوميروس	بإشراف: أحمد عثمان
نخبة	علاء السباعي
جمال قارصلى	نمر عارورى
إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
أنّا ماري شيميل	عبد السلام حيدر
أندرو ب. ديبكى	علي إبراهيم منوفى
إنريكي خاردييل يونثيلا	خالد محمد عباس
باتريشيا كرون	آمال الروبي
بروس روبنز	عاطف عبد الحميد
مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة ()	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	خواجه الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشوق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو و خليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريت جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سوميرا	ريكارنو جويزالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (ج٢)	جون فيزر وبول ستيرجيز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديوتراطية الأمريكية التاريخ والمنكرات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرأة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المذبح	مولانا محمد أحمد ورضا القادري	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط النكبت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣-	العولة والرعاية الإنسانية	فيك جودج وبول ويلدنچ	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأصلات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبه (رواية)	مارجريت أوتود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنز	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	الطغور ومعامل الطغور من مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفظة	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رؤف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)	هوارد زن	شعبان مكارى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإشباني (ج١)	نخبة	على عبد الروف البمبى
٧٩٦-	أفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة الزينى
٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرود ودافيد جيلدرود	سميرة أبو الحسن

٧٩٩-	سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٨٠٠-	قضايا في علم اللغة التطبيقي	ميشيل مكارثي	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقيل أفضل	تقرير دولي	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسنو غرناطة في الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعي
٨٠٣-	التغير والتنمية في القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الفميسي
٨٠٤-	سوسولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجييه وجان بول ويلام	درويش الطلوجي
٨٠٥-	من لا غناء لهم (رواية)	كانزو إيشيجورو	طاهر البربري
٨٠٦-	الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحي حقى: تشريح مفكر مصري	ميريام كوك	خيري بومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	ليو شتراوس وجوزيف كرويسي	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	ليو شتراوس وجوزيف كرويسي	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادي (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعمي
٨١٢-	نامل العالم العصرية والأسلوب في الحياة الاجتماعية	ميشيل ماينزولي	فريد الزاهي
٨١٣-	لم أخرج من ليلى (رواية)	آني إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية في مصر الرومانية	نافثال لويوس	آمال الروبي
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. لفسون	مصطفى لبيب عبدالغني
٨١٦-	العدو الأمريكي	فيليب روجيه	بدر الدين عروديكي
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام في الحب	أفلاطون	محمد لطفي جمعة
٨١٨-	العرفيين والتجار في القرن ١٨ (ج١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨١٩-	العرفيين والتجار في القرن ١٨ (ج٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨٢٠-	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندي
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز يقوش
٨٢٢-	فن الرباعي (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعي
٨٢٤-	لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج١)	ياكوب يوكهارت	عبد العزيز توفيق جارييد
٨٢٦-	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج٢)	ياكوب يوكهارت	عبد العزيز توفيق جارييد
٨٢٧-	أهل مطرح: الجوراسترينين رافين بختين المملات	دونالد ب.كول وثرثيا تركي	محمد علي فرج
٨٢٨-	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت آينشتين	رسميس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغاني	مجدي عبد الحافظ
٨٣٠-	رق الششق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت آينشتين وليو پولد إنغلند	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادي (ج٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعمي
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	ذبيح الله صفاء	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥-	تشخيخوف: حياة في صور	بيتر أوربان	علاء عزمي
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	مرشيدس غارثيا	منوح البستاي

٨٣٧-	عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨-	فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نورم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩-	أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين ويورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠-	الخواتم الثلاثة	جوتنهولاد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١-	هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢-	منظومة مصصبت نامه (مج ٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣-	من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤-	دراسات فى الفقر والعولة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥-	غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦-	الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧-	الحياة بعد الرأسعالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨-	ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس فلهووزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩-	سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠-	الخيال، الأسلوب، الحدائة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١-	ميراث الترجمة: الطب التجريبي	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢-	العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣-	المسارعة فى الأندلس: مسارة اللحن والمحسن (مجا ١)	باسيليو بايون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤-	المسارعة فى الأندلس: مسارة اللحن والمحسن (مج ٢)	باسيليو بايون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥-	فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد محمد
٨٥٦-	القضية المديسكية من وجهة نظر أخرى	فرانشيسكو ماركيت يانو بيانوبا	عائشة سويلم
٨٥٧-	نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨-	جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	ببومى قنديل
٨٥٩-	السياسة فى الشرق القديم	إيف شيميل	مصطفى ماهر
٨٦٠-	مصر وأوروبا	القاضى فان بملن	لطيفة سالم
٨٦١-	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى
٨٦٢-	بيغاء الكاكابو	أرتور شنييتسلر	محسن الدرمداش
٨٦٣-	لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤-	أوراق فلسطينية	بورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥-	فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦-	رسائل خمس فى الأفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧-	المهمة الاستوائية	ديفيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨-	الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩-	تطور الثقافة	روين نونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠-	عشر مسرحيات (جدا ١)	نخبة	حمادة إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٤٠٩ / ٢٠٠٥